السيّد مُحسِن الأمِين

رحلات السيّد محسن الأمين

الغدير
للدراسات والنشر

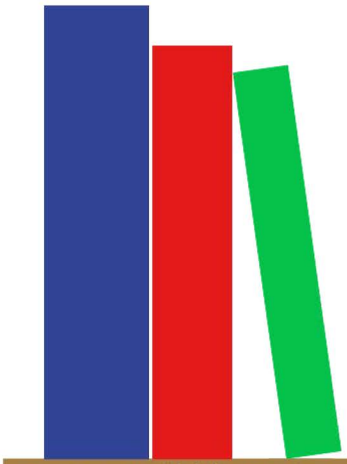

مكتبة
مؤمن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه.

الإمام الصادق (ع)

moamenquraish.blogspot.com

رحلات
السيد محسن الأمين

الغدير للدراسات والنشر

حارة حريك . بناية البنك اللبناني السويسري

هاتف ٠١/٥٥٨٢١٥ . ٠٣/٦٤٤٦٦٢

تلفاكس ٠١/٢٧٣٦٠٤

ص.ب ٢٤/٥٠ . بيروت لبنان

الرمز البريدي:٢٠١٠ ١٠١٧ برج البراجنة . بعبدا

E-mail:

magazine@alminhaj.org

fegh@islamicfeqh.org

Web page:

www.alminhaj.org

www.islamicfeqh.org

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

* الحقوق جميعها محفوظة *

لمركز الغدير للدراسات الإسلامية

ولا يحق لأي شخص، او مؤسسة ،أو جهة إعادة طبع الكتاب أو ترجمته إلا بترخيص من الناشر

رحلات السيد محسن الأمين

السيد محسن الأمين

الغدير
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المركز

السيد محسن الأمين العاملي ﷺ ليس رحّالة بالمعنىٰ المعروف، ولكنه سجل مشاهدات هامّة أثناء رحلته الىٰ مصر والحجاز بقصد الحج ورحلاته الىٰ كل من ايران والعراق وسوريا بقصد زيارة العتبات المقدسة وانجاز مؤلفه الضخم أعيان الشيعة، وخلال اسفاره بين مدن العراق ومدن ايران وسياحته في أرض واسعة سجّل مشاهداته وتأملاته، وبسبب ذهنيته وتوجهاته الاصلاحية واهتمامه بأمور المسلمين فقد كان يلاحظ بعض المظاهر الاجتماعية بشقيها السلبي والايجابي، فندد بالسلبي وأثنى علىٰ الآخر ولم يكتف بالتنديد سراً وجهاراً بل وأشار الىٰ طريق الاصلاح..

لاحظ مثلاً اختلاط النساء والرجال في زيارة الأضرحة والتي ما تزال ظاهرة مستمرة في العراق فيما هي الآن محلولة في ايران.. فاقترح وضع مشبكات حاجزة وتخصيص بابين أحدهما للرجال والآخر للنساء أو تحديد أيام خاصّة مرّة للنساء وأخرى للرجال.

من أجل هذا تأتي رحلاته في الاطار الاجتماعي غاية في الأهمية.. فهو يثني على شعب العراق واصفاً أياهم مثلاً:

«وأهل العراق أهل شهامة واباء وكرم وسخاء وشجاعة وشمم وغيرة علىٰ الأعراض، تتجلىٰ فيهم الأخلاق العربية الكريمة».

فيما يقول عن شعب ايران: «الايرانيون أهل آداب خاصّة.. ومن آدابهم الانحناء عند التسليم ويفشون السلام صغاراً وكباراً رجالاً ونساءً..

ويقول في موضع آخر: «الايرانيون أهل جلد وصبر وحذق في الصناعة والتصوير اليدوي واتقان في العمل دنيوياً وأخروياً واقتصاد في المعشية».

وهذه الملاحظات على قصرها تعكس نظرة عميقة في اكتشاف مؤهلات مجتمع ما أو عيوبه، انه لا يجامل أحداً وهو المعروف بدعواته الاصلاحية الجريئة.

وملاحظاته شاملة وقد أوتي قابلية في النظر النفاذ فهو لا يترك ملاحظات لها أهميتها.

والكتاب ممتع للغاية ومفيد وتطرّق فيه الىٰ كثير من معتقدات الشعوب واساطيرها فذكر بالتفصيل اسطورة «فرهاد وشيرين» الفارسية التي نفذت الىٰ الأدب الايراني بقوّة وهي من حكايات وقصص الحب العذري، كما تحدّث عن آثار ومعالم قديمة وحديثة، ولهذا فالكتاب قراءة ممتعة في جغرافيا وتاريخ وآداب شعوب حيّة ما تزال ترفد الحضارة الانسانية بالفكر والثقافة والابداع.

وقد قام مركز الغدير وبرغبة واذن من نجله الكريم السيد حسن الأمين بتصحيح طبعته القديمة وتنقيحها والتعليق على بعض ما ورد فيها، واخراجها في حلّة جديدة بهية لاتحاف المكتبة العربية الاسلامية بهذا السفر الجدير بالتقدير. ومن الله التوفيق.

مركز الغدير للدراسات الإسلامية

السيد محسن الأمين

أربعون يوماً مضت على الثلمة الكبرى والفاجعة العظمى، التي حلّت بالدين وعمّ مصابها الاسلام والمسلمين، بفقد مجتهدنا الأكبر المحسن الأمين.

أربعون يوماً مرت لا تخمد فيها لوعة ولا تسكن حسرة، ففي لبنان مناحات ومآتم، وقلوب أخذ الأسى بمجامعها فهي واهية، وفي دمشق صرخات هاجها الحزن فانطلقت داوية، وعيون قرّحها البكاء فسالت دامية، وفي العراق نفوس سلبها المصاب رشدها فهي حيرى وفي فارس لواعج وأشجان وفي الهند وباكستان نواح وأرنان، وفي اندنوسيا وسنغافورة ذكريات وحسرات، بلاد عرفت قدر الفقيد فألقت إليه أزمة تقليدها واسترشدت بفتاويه فهي عاملة عليها.

إنّ جبلنا العاملي المسمى سياسياً اليوم لبنان الجنوبي، ما زال منذ القرون الخالية، يطلع على العالم الإسلامي بنوابغ العلماء ومجتهدي الفقهاء الذين أشرقت في أفق الكيان الاسلامي آثارهم الساطعة بنور العلم وأشعة الهدى فخلدت أسماؤهم في هذه الدنيا ورفعت منزلتهم في الآخرة.

ففي أواسط القرن الثامن طلع نجم الشهيد الأول محمد بن مكي الجزيني، وتلاه في القرن العاشر الشهيد الثاني الشيخ زين الدين العاملي الجبعي، وانتشرت في القرن الحادي عشر مؤلفات الشيخ الحر العاملي، وأشرق القرن الرابع عشر بآثار فقيدنا العظيم الأمين، فكانت مصابيح يشع سناها بمختلف العلوم في أقطار الاسلام والمسلمين.

صحبت كثيراً من الفقهاء، وطالعت أخبار كثير من العلماء فما رأيت ولاسمعت بأكثر جامعية لفضائل العلم وأخلاق العالم وزهد العالم وتواضع العالم وعفة العالم من فقيدنا العظيم، تلك الصفات التي يجب أن يتحلى بها أو ببعضها العلماء.

كان يأخذ بلبّ محدثه بأخلاقه السهلة وحديثه العذب، لا يعرف عنجهية ولا يستمسك بكبر، مع اصيل نسبه وسعة علمه وعلو منزلته.

كان فينا كأحدنا لا يفسح لنا المجال لخدمة حتى يكون السابق عليها.

كان يتجنب مركب النفس، فلا تسمع منه كلمة أنا أنا، لان ذلك قول من يشعر بالنقص فيجبر بالتمدح لنفسه.

اماسيدنا العظيم فقدكان بعيدا عن هذا المركب لان فضائله تحدث عن نفسها.

كنا اذا تذاكرنا أمامه بالادب أو باللغة أو بالعلوم العربية، فجئنا بما فات نظره من هذه المفردات، لم يحجم عن ان يقول: هذه فائدة استفدناها، فتكبر بقوله هذا عظمته في أعيننا.

كان عف اللسان لم يسمع منه لأحد شتيمة ولو كان عدوا، صادق اللهجة فلم ينقل عنه غير الصدق مهما تقلبت الأحوال، أبياً للضيم، ولكن حلمه يسبق ثورة إبائه فيكفّ عن ظالمه ما استطاع، أو يصفح عنه إن كان أهلاً للصفح.

كان عف اليد لا يطمع فيما ليس له، ولا يتصرف لنفسه في الأموال العامة التي تقع في يده.

هذه جمعياته في دمشق ومدارسه فيها، التي ازدهرت باحسان المحسنين، فهل سمع عنه انه دنس يده بقرش واحد من أموالها؟ معاذ الله بل كان يمدّها بفضلة ماله، جهد المستطاع على قلة ذات يده.

كان ذا صبر وجلد على البحث العلمي، وكنت تراه وهو يطوف الفيافي بين الشام والعراق وبين العراق وفارس وخراسان طالبا في زوايا خزائنها ما يزود به مؤلفاته العديدة، وبما يستريح اليه من الحقائق الراهنة بفعل ذلك وهو في العقد الثامن من عمره وقد وهب شباب ناصيته الى شباب همته فزادت ضعفين.

كلمة الشيخ أحمد رضا
في أربعينية السيد الراحل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين وسلم تسليماً.

وبعد...

فيقول العبد الفقير الى عفو ربه الغني محسن ابن المرحوم السيد عبد الكريم الامين «الحسيني العاملي الشقرائي نزيل دمشق» إني ذاكر في هذه الأوراق[1] وصف رحلة لي من الشام الى العراق فبلاد ايران، قد استمرت ذهاباً وايابا نحو أحد عشر شهراً من ١٢ شعبان عام ١٣٥٢ الى أواخر رجب عام ١٣٥٣ (١٩٣٤ م).

أذكر فيها أكثر ما شاهدته واكثر ما جرى لي في العراق فايران من الحوادث الممتعة، وما شهدته من البلدان والخراب والعمران والأودية والانهار والفيافي والقفار، وعظيم الأبنية والآثار ممّا كان في سالف الأعصار، والسهول والجبال وعظماء الرجال، ولا سيما ما رأيته واستفدت منه من دور الكتب في البلدين ومكتباتهما الخاصة، ووصف المشاهد المشرفة فيهما وما استفدته من الفوائد والعبر، وما يوجب إلفات النظر وإعمال الفكر، وما اطلعت عليه من أخلاق العرب والعجم وسائر الامم، وموائدهم واطوارهم ومستملح اخبارهم ومستحسن آثارهم وما حسن وقبح من أعمالهم وأفعالهم وأحوالهم...

فإنّ في معرفة ذلك ما لا يخفى من الفوائد وترويح النفس والاقتداء بمحاسن الأمم في الأعمال والأخلاق وتجنب قبائحها فيهما وذلك حسبما أدى اليه اطلاعي واختباري ووصلت اليه معرفتي وعرفته فكرتي وربما يكون قد فاتني

---

(١) كتب المؤلف هذه مقدمة لرحلته العراقية الايرانية.

كثير مما كان ينبغي أن اطلع عليه وأعرفه.

وربما أكون قد أخطأت في أشياء وعندي أنّي عرفتها وعلمتها، فالعصمة ليست الا لأهلها والاحاطة بالاشياء ليست الا لله تعالى، ولا يكلف المرء فوق جهده وقدرته، لاسيما إنّني كنت في أكثر هذه المدة التي بقيتها في البلدين مشغولاً بالنسخ والتدوين، والفحص عن دور الكتب وما فيها من المخطوطات.

الرحلة الاولى الحجازية

عام ١٣٢١ هـ - ١٩٠٤ م بقصد الحج

خرجنا من دمشق يوم الاثنين سابع ذي القعدة الحرام سنة الف وثلاثماية وإحدى وعشرين، بقصد الحج الى بيت الله الحرام، فركبنا القطار الحديدي من دمشق قاصدين بيروت في الدرجة الثانية بأجرة أربع مجيديات[١] عن الشخص ودخلنا بيروت بعد غروب الشمس بربع ساعة، فبتنا بها ليلة الثلاثاء.

وفي مساء يومها ركبنا في الباخرة الافرنسية من شركة الميساجيري في الدرجة الثالثة، وفيها أربع درجات والأجرة ثلاثة أرباع ليرة افرنسية الى بور سعيد، فتحركت بنا من بيروت الساعة الثانية (غروبية) تقريبا من ليلة الأربعاء فوصلنا بور سعيد في الساعة الثامنة من يوم الاربعاء.

بور سعيد:

وهي بلدة جميلة ذات قصور عالية، وشوارع فسيحة وأبنية مزخرفة تجول العربات (العجلات) في أزقتها على الحديد أي (تراموای على الخيل) وعلى غير الحديد، وأهلها مسلمون ونصارى، وهي من الاقليم المصري أنشأها سعيد باشا أحد الخديويين في مصر فنسبت اليه (ومعنى البور) السد الذي يبنى على شاطىء البحر ليكون مرفأ للسفن.

---

(١) عملة متداولة في الدولة العثمانية على عهد السلطان عبد المجيد.

الخديوي:

والخديوي لفظة تركية معناها نائب الملك، أول من لقب به محمد علي باشا أمير مصر، عندما وقعت المعاهدة بينه وبين الدولة العثمانية على أن يكون أميراً للقطر المصري تحت رعايتها، ودفع لها مبلغاً في السنة، ويلقب بالخديوي رمزاً الى ان امارته تحت حماية السلطان العثماني.

وخيرات بور سعيد كثيرة وأسعارها لا تخلو من غلاء، فبتنا بها ليلة الخميس وخرجنا منها يومئذ في الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة[1] في القطار الحديدي الضيق، وهو بقدر عرض الخط الذي بين دمشق وبيروت قاصدين الاسماعيلية.

وكانت العَمَلة تشتغل في إبدال ذلك الخط الضيق بخط عريض كالذي بين الاسماعيلية والقاهرة ولما يتم كان قريب العام فوصلنا الاسماعيلية في الساعة الثامنة من يوم الخميس.

الاسماعيلية:

وهي بلدة في طريق القاصد من بور سعيد الى القاهرة، أحدثها اسماعيل باشا أحد الخديويين في مصر فنسبت اليه.

وانتقلنا في الاسماعيلية الى القطار الحديدي ذي الخط العريض وهو أسرع من الأول وأتقن لكون طريقه عريضاً.

ولا تسل عن شطط الحمالين الذين ينقلون الأمتعة من قطار بور سعيد الى قطار القاهرة في طلب الأجرة وبين القطارين بضعة أقدام.

فدخلنا مصر قبل غروب الشمس بنصف ساعة من يوم الخميس، وكانت الاجرة من بور سعيد الى مصر أربعين قرشاً صحيحا مصريا ونصف قرش، كل

---

(١) عندما يرد ذكر الساعة، فالمقصود بها دائماً الساعة الغروبية، لا الساعة الزوالية.

قرش عبارة عن قرشين ونصف رائج الشام.

فبقينا في مصر ستة أيام كنا نشتغل في خلالها بتصحيح ملازم رسالتنا (الروض الاريض في حكم تصرفات المريض).

المطبوعات أيام السلطان عبد الحميد:

وكنا أرسلناها لمصر لتطبع بسبب ما كانت تجريه الحكومة العثمانية من التشديد في أمر المطبوعات من طلب الرخصة الرسمية، التي كانت أخيراً لا تعطى الا من الاستانة بعد تقديم نسختين مخطوطتين للحكومة من الكتاب المراد طبعه: نسخة تبقى عندها، ونسخة تعاد لصاحبه.

وربما يحتاج صاحب الكتاب من النفقات لاستنساخه مرتين لاسيما اذا كان كبيراً وكم يصبر حتى يطلع الكتاب ويدقق وتمر اوارق الرخصة على الدوائر التي كا حالها معلوما في المماطلة والتسويف.

هذا مع قطع النظر عن التعصبات الدينية التي تمنع من اعطاء الرخصة وقد تؤدي الى مصادرة الكتاب ومنع نشره بعد اعطاء الرخصة كما وقع لكتاب (ينابيع المودة) وغيره.

فضلا عن الامور السياسية التي كان يتقرّب بها من أوكل اليهم ذلك الى السلطان عبد الحميد، ويتفننون في استنباطها، حتى نقل انه طلبت الرخصة بطبع كتاب في المنطق وفيه ما المراد بالقضية؟ فلم يرخص في طبعه حتى أبدل «المراد» بالمقصود وذلك لموافقته لاسم السلطان «مراد» الذي خلع ونصب مكانه أخوه السلطان عبد الحميد.

وكنا نكتب في أوراق الطلاق التي تقدم لمأموري القرعة العسكرية طلاقا (خلعيا) فيطلبون الينا ان نكتب (بائنا) بدل (خلعيا) حى لا يسمع سلطانهم بلفظ الخلع في مملكته.

ولكنه لاراد لقضاء الله، فقد خلع السلطان عبد الحميد ونفي الى سالونيك ثم

أعيد الى الاستانة بعد حرب البلقان ومات بها خليعا سجينا.

فسبحان من لا يدوم الا ملكه، ولم نتمكن من اكمال طبعها وتصحيحها لقصر المدة فطبع باقيها بعد ذهابنا، كما طبع أولها فجاءت مغلوطة واضطررنا الى عمل جدول للخطأ والصواب فيها.

مصر القاهرة:

ومصر القاهرة مدينة عظيمة رخيصة الأسعار، والأشياء فيها موفورة وامورها الدنيوية منتظمة، وأخلاق أهلها حسنة كسائر سكان القطر المصري، ولهم حب عظيم لأهل البيت عليهم السلام فتراهم لا يقسمون الا بهم ولا يلهجون الا بذكرهم، ويحترمون السادة الاشراف ويسمون العلوي شريفا وأبو هاشم.

وأذكر اننا لما وصلنا الى بور سعيد جعلت أتطلع من النافذة الى العَمَلة الذين يشتغلون بنقل الفحم الحجري الى المراكب والى النوتية، فلما رأوني وعلى رأسي عمامة خضراء، استبشروا وجعل يقول بعضهم لبعض: هذا شريف، هذا شريف.

ولكن الفسق والفجور والخلاعة منتشرة فيها. وجميع أصناف الناس فيها في راحة بسبب عدل الحكومة وتنظيم جميع الامور، ولم تترك الحكومة شيئاً كبيرا ولا حقيرا الا جعلت له حدا، لا يمكن احد تجاوزه وكتب ذلك في الشوارع، حتى انهم كتبوا في بعض الأمكنة التي تقف فيها الحمير المعدة للأجرة الى الامكنة القريبة، التي لا يصلها التراموای ولا العربات (هذا موقف خمس حمير) مثلا، فلا يجسر احد على ايقاف اكثر، ومن فعل يغرم بمال جزاء له ويسمون تلك الغرامة مخالفات.

والحمالون بها كل له رقم في عضده فاذا سلمه احد شيئاً وحفظ رقمه فقد أمن من ضياعه. وأجرة العربات مرسومة امام الراكب، وهكذا مما لا يحصى، حتى انهم كتبوا في بعض المواضع في قطعة: لا ينبغي هنا سير العربات بسرعة.

والسكك الحديدية تخترق جميع سهولها أو تصل الى جميع بلدانها وقراها

ومحطة السكة الحديدية فيها عظيمة فخمة، وليلها كالنهار من الأنوار الكهربائية، وأمام المحطة في الليل ينار مصباح عظيم من الكهرباء عال يخال انه بدر في السماء.

وفي شوارعها تسير العربات المتعارفة، التي تجرها الخيل بدون حديد ايضا شبيهة بعربات التراموای تسمى (سوارس) باسم صاحب تلك الشركة.

وتراموای كهربائي يسير في شوارعها وضواحيها وأمكنتها القريبة والبعيدة بأجرة رخيصة. ومع هذا كله ففي شوارعها حمير معدة للركوب بالأجرة.

ولما رأيناها عجبنا من وجودها وقلنا من الذي يركبها مع وجود العربات والتراموای في جميع الشوارع، فلما اردنا الذهاب الى القلعة ركبناها لان القلعة على جبل في وسط المدينة لا تصله العربات وغيرها.

وفيها عجائب كثيرة من أعظمها:

الاهرام: جمع هرم وهي كثيرة في أرض مصر رأينا منها ثلاثة متفاوتة: اكبرها ويعرف بهرم الجيزة عظيم جدا على هيئة مربعة، ويضيق قليلا بقدر درجة واحدة من جميع جوانبه حتى ينتهي الى مفرش حصير ويرى رأسه من بعيد مثل رأس الحربة، وهو كالجبل العظيم عال الى الغاية يبلغ ارتفاعه نحو ١٤٠ متراً، واسع القطر الى النهاية يصعد عليه الناس بسهولة لان له من جميع جهاته مثل الدرج الواسع، نعم اذا وصل الانسان الى منتصفه فما فوق يخاف على نفسه من قوة الريح.

ورمت الصعود الى أعلاه فمنعني رفاقي فوصلت الى قريب منتصفه ونزلت، ورأينا ونحن جلوس عليه امرأة انكليزية به صاعدة الى اعلاه يمسكها ثلاثة أشخاص من المسلمين ذوي العمائم الكبيرة الذين هم بمنزلة القوام على تلك الأمكنة، يرتزقون مما يدفعه اليهم السواح والزائرون، وكلهم ممسكون بمنطقتها التي هي من الجلد من ورائها وعن يمينها ويسارها، وجسمها المفرط في البياض

يلوح من تحت ثيابها الشفافة، فلما مروا علينا سلموا فسلمت هي اتباعا لهم.

وهذا الهرم مبني بالحجارة الصلبة المنحوتة الكبيرة لكنها ليست مفرطة في العظمة وفيه باب قريب من أسفله ينزل منه الى جهة الأسفل، وسقفه وأرضه وجوانبه من الحجارة العظيمة ينزل الرجل فيه منحنيا ثم يضيق حتى ينزل فيه زحفا، ويقال ان عمق الهرم في بطن الارض يعادل علوه على وجهها.

وفي وسطه من الداخل طريق يصعد منه الى اعلى الهرم، وفي أثناء الطريق تابوت من الصخر أعد للقبر الذي بني الهرم لأجله.

وكانت الناس قديما لا تعلم لماذا بنيت الاهرام فقيل خوفا من الطوفان وقيل إنها بيوت كتبت فيها الحكمة وقيل ضمت خزائن الملوك وقيل انها قبور الفراعنة، ولم يكن بها باب ليمكن الدخول اليها.

ورام المأمون لما دخل الى مصر فتح الهرم الأكبر فعجز عن ذلك لكثرة النفقات، ثم لم تزل تتداول الايدي على فتحها حتى فتحت في العصور الاخيرة فعم أنها قبور الفراعنة.

وقد بذل بانوها غاية الجهد في اخفاء ابوابها عن الناس حتى لا يدخلوا اليها وجعلوا مسالكها في بطونها غامضة مخوفة ورقم بعض طرقها بالصخور العظيمة وجعل فيها اشياء كثيرة توجب عدم الاهتداء الى القبور التي فيها. فلم يزل بنو الانسان يجتهدون حتى وصلوا الى تلك القبور واستخرجوا من فيها وجعلوهم عبرة للناظرين.

والى جانب الهرم الكبير هرم أصغر منه وثالث أصغر منهما وكلها بهيئة واحدة.

وبجانب ذلك أبنية قديمة متهدمة ويلوح للناظر أهرام آخر كثيرة بعيدة عن هذه لكن اعظم الكل أهرام الجيزة الثلاثة المذكورة وأعظمها هرم واحد.

أبو الهول:

وقريب من الهرم الكبير صورة عظيمة هائلة منقورة من الصخر على صورة انسان رأسه عظيم جدا، بقدر الربوة الصغيرة تسميه العامة (ابو الهول) وكان في مقابل ذلك تمثال آخر شبيه به.

الكنيسة:

وقريب منه مكان تسميه الناس (الكنيسة) سقفه من الحجر السماقي المصقول، وأرضه من البلاط الابيض مسقوف بالصخور العظيمة المربعة، وجميع الجدران التي يقوم عليها السقف من الحجر السماقي المصقول ويشتمل على حجر وأواوين ودهاليز.

ومن عجائب مصر:

حدائق الحيوانات:

وفيها جميع ما خلقه الله من حيوان بري وبحري أهلي ووحشي من أنواع السباع والنمور والفهد والذئب وسائر سباع الحيوان والطيور والقرود بأنواع شتى.

اما ملك السباع:

الاسد:

فترى فيه أبهة الملك في مشيه الهوينىٰ متأنيا مترفقا كما قال المتنبي:

يطأ الثرى مترفقا من تيهه

فكأنه آس يجس عليلا

وفي جلوسه رابضا تعلوه الهيبة لا يلتفت الى احد واذا تثاءب بدت لك سعة شدقه، الذي لا يضيق من ابتلاع الحمل فما فوقه.

وفي زئيره الذي ترتج له الارض فيمثل للاسماع الرعد القاصف، ويكون

ذلك غالبا عند جوعه أو غضبه، وبجانبه لبوته التي تشبهه في جميع ذلك وتظهر فيها الانوثة بملامح جسمها الذي ربما يكون اقرب من جسمه الى اللطافة.

وفيها:

الزرافة:

وهي قريبة الشكل من البعير، لكنها الطف منه وجلدها شبيه بجلد الخيل في قصر شعره، منقوش بنقش جميل وعلوها بقدر علو البعير، يداها اطول من رجليها واذا بصق عليها انسان تتركه حتى يغفل عنها ثم تبصق عليه.

وحيوان عجيب يسمى:

القنغر:

بقدر الكلب الكبير أزرق اللون يداه طول شبر ورجلاه طول ذراع، اذا مشى ثنى رجليه الى ورائه ومشى على ركبتيه، وعلى يديه كما يمشي الانسان على اربع وربما وقف ومشى على رجليه كالانسان ورفع يديه.

وفي جلده شيء كالكيس يضع فيه أولاده.

حمار الوحش:

بهيئة الحمار الكبير جميل الخلقة شعره اسود وأبيض فيكون البياض المكثف بالسواد على ظهره عريضا، فاذا وصل الى جهة يديه ورجليه تدق خطوطه، وخطوط السواد الذي يكتنفه، حتى تسعها يداه ورجلاه وتنتهي الى حوافره.

(والبقر الوحشي) بأنواعه الكثيرة، ومنه بقر يشبه الأهلي في شكله (والغزلان) و(أنواع الوعول) الطويلة القرون جدا (والنعام والدب) بأصنافه.

والفيل:

بخلقته العجيبة وخرطومه الذي يتناول به كل شيء حتى الابرة، ورأيناه يكسر به قصب السكر بضغطة واحدة كما يكسر أحدنا القثاء الدقيق، ثم يرفعه الى الثقب الذي في أسفل رقبته الذي منه يتغذى لا من فمه ويأكل الحشيش وغيره، وخرطومه مثقوب وفي طرفه كالشفتين يقبض بهما. وفي فمه نابان أبيضان طويلان، وله أذنان عظيمتان مدورتان يحركهما دائما ويقول له سائسه: (سلام) فيرفع خرطومه على وجهه كما يرفع الجندي يده عند السلام.

وقد طرحت له خشبة عظيمة على الارض فدحاها دحو الصبي الكرة، متى أشار اليه سائسه، ويلقي اليه المتفرجون الفلس الصغير فيتناوله بخرطومه، ويقدمه الى سائسه مما دل على ذكائه وقبوله للتسليم.

وليس له مفاصل ولذلك لا ينام على الارض بل يسّاند الى شيء وينام.

ولهذا يحتالون على اصطياده فيعمدون الى شجرة وينشرونها الا يسيرا فيستند اليها، فتنقلب به فيقع على الأرض ولا يقدر على القيام فيصيدونه.

ورقبته قصيرة وجثته عظيمة ولذلك جعل الله له خرطوما يتناول به غذاءه، ويدافع به عن نفسه ولولاه لمات جوعا، واذا لف خرطومه على انسان احتمله وألقى به ناحية.

فتبارك الله أحسن الخالقين الذي لا تحصى عجائب خلقه.

وفيها (جمل) له سنامان وفيها من انواع (السموك) و(التمساح) ودواب البحر والبر و(الحيات) و(اليرابيع) وغيرها من عجائب المخلوقات ما يطول الكلام بشرحه فسبحان الخالق القادر على ما يشاء.

قلعة الجبل:

وفيها قلعة كبيرة على جبل في نفس المدينة، وتسمى قلعة الجبل قد تهدم أكثرها وفيها شرذمة من عسكر الانكليز ومدافع موجهة الى البلد.

وفي القلعة مسجد من بناء محمد علي باشا، لم ير الراءون مثله سعة واتقان بناء ونقشا وزخرفة، وعليه قبة عظيمة كتب على داخلها أبيات من الشعر، لكنه خال من المصلين الا نادرا وجميع حيطانه وأعمدته من الرخام المزين بالحفر، وله صحن واسع في وسطه حوض من الرخام بأنابيب للوضوء وقد كتب عليه آيات من القرآن تناسب المقام.

وفي القلعة بئر بعيدة المدى ينزل اليها بدرج من خارج حائطها المدور يستخرج منها الماء بالدواليب الى أعلاها، ثم يجري في ساقية ويوهم قوام ذلك المحل على الغرباء فيقولون لهم هنا محل سجن يوسف عليه السلام.

ومن عجائب مصر والعجائب فيها كثيرة:

الانتيكة خانه:

وهي بناء فخم له طبقات فيه ما يعجز عنه الوصف من الآثار القديمة، مثل أجسام فراعنة مصر محنطة باقية بحالها بلحومها وشعورها وأظفارها وأكفانها، التي تشبه المبروم الذي كان ينسج في جبل عامل، والبردي الملفوفة به وتوابيتها وقد اسودت اجسامهم من طول المكث[1]، وقد أخرجت من التوابيت ووضعت في غيرها وغطيت بألواح وكتب عند بعضها: يظن ان هذا فرعون موسى.

وبعضها قد صورت صورها على التوابيت التي هي من شجر الدلب بأتقن صنع حتى يخال للناظر ان الصانع لها قد فرغ منها الآن، وقد نقشت بالنقوش الذهبية الصفراء ومن شدة اتقان التصوير يخيل للناظر انها ذو الصورة الحقيقي، وهي لا تزيد عن الاجسام الموجودة اليوم مما دل على ان بني الانسان قديما وحديثا بقدر واحد، وان ما يتوهمه البعض من ان اجسام السالفين اكبر من اجسامنا وهم باطل.

---

(١) وهي المومياءات وتطلى أجسامها المحنطة بالقطران الا أنها تسودّ بسبب المكث.

وهؤلاء الفراعنة بعدما كانوا ملوكا جبابرة وحافظوا على أجسادهم بعد الموت من الفناء، قد صاروا عبرة لمن اعتبر ومتفرجا لكل ناظر.

وهذا التحنيط الذي كان يستعمله المصريون القدماء ولم يهتد اليه أهل هذه الأعصار مع ما بلغوا من الرقي، يظهر انه كان شائعا سهلا وانه كان له أناس مخصوصون كالذين يتعاطون تغسيل الاموات وتكفينهم في هذا الزمان، ومن عجائبه انهم كانوا يستعملونه لحفظ كل جسم من الفناء، حتى الحبوب والفواكه والخبز والطعام وأجسام الحيوانات البرية والبحرية من الغزلان والغنم والمعزى والتمساح، الذي يظهر انه كان مقدسا عندهم فقد رأيناها كلها باقية من ذلك العهد.

ومما رأيناه صور جنود مجسمة في أيديهم القسي كانهم يمشون صفوفا، وصورة عجلة مجسمة وسررا، وغير ذلك مما يعجز القلم عن استيعابه واستيعاب وصفه.

وفيها صور اجسام ملوك وغيرهم من الحجارة المجسمة رجالا ونساء بهيئات ملابسهم، بأبدع ما يتصور واتقنه قد صنعت من الرخام والمرمر، فترى فيها انسان بكبره وضخامته، واكبر من خلقته الاصلية واضخم بكثير.

الخلفاء الفاطميون والجامع الازهر:

وفي مصر الجامع الازهر والجامع الأقمر، وهما من بناء الخلفاء الفاطميين، الذين ظهروا بالمغرب ثم انتقلوا الى مصر وبلغت دولتهم شاوا بعيدا، ودامت مائتين واثنتين وسبعين سنة وكان لها فضل عظيم في احياء آثار الاسلام.

والمحققون من علماء الاسلام ومؤرخيه يصححون نسبهم مثل صاحب عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب وابن خلدون وابن الاثير والمقريزي وغيرهم، ومما استدلوا به على صحة نسبهم قول الشريف الرضي رضي الله عنه:

ما مقامي على الهوان وعندي
مقول صادق وأنف حمي

وابـــاء مـــحلق بـــي عـــن الضـــيـ

ـــــم كـــما زاغ طـــائر وحشـــي

احمل الضيم في بـلاد الاعـادي

وبـــــمصر الخـــليفة العـــلوي

مـــن ابـــوه ابـــي ومـــولاه مـــولا

ي اذا ضـــامني البـــعيد القـــصي

لف عـــرقي بـــعرقه ســـيدا النـــا

س جـــــميعا: مـــحمد وعـــلي

ولا عبرة بمن انكر نسبهم امثال ياقوت الحموي الذي يعبر عنهم في معجم البلدان بالمتعلويين وغيره، فان الذين انكروا نسبهم هم بنو العباس خوفا عـلى ملكهم لما استفحل امرهم، مع ما يرونه من ميل الناس الى آل أبي طالب حـتى كتبوا محضرا ببغداد في نفي نسبهم أُجبر على ان يكتب فيه من علماء الامـامية الشيخ المفيد وتلميذاه السيد المرتضى والسيد الرضي ووالدهما.

وامتنع السيد الرضي من انكار الابيات السالفة فهدد وعـزل عـن النـقابة وامارة الحاج لا سيما ان القوم شيعة اسماعيلية والقول فـيهم سـيء حـتى قـال السيوطي في تاريخ الخلفاء: ان خلافتهم لا تصح لان خيارهم رافضة، او ما هذا معناه.

واذا أردت ان تعلم عظمة دولتهم وما لها من الفضل على الاسلام والعرب فراجع خطط المقريزي، فاني لم أرَ من فصل احوالهم مثله، ومما قاله في وصف خزانة الكتب التي كانت لهم: ان فيها عدة نسخ من كتاب العين احداها بخط مصنفه الخليل بن احمد.

والجامع الازهر من عهدهم الى اليوم مدرسة عظيمة اسلامية، وله اوقاف جليله وفيه أروقة يسكنها الطلاب، وينسب كل رواق الى قطر من الاقطار يسكنه

أهله، وتدر عليهم الأرزاق من الأوقاف وله رئيس يلقب بشيخ الجامع الازهر وهو اعظم جامع بمصر.

مشهد راس الحسين عليه السلام:

وفي مصر مشهد رأس الحسين عليه السلام، معظّم مزور وحالة المصريين فيه تشبه حالة العراقيين وغيرهم في مشاهد ائمة أهل البيت عليهم السلام التي بالعراق، وعنده مسجد كبير فخم متقن البنيان رأينا فيه رجلاً جالساً على كرسي يدرّس في علم النحو وحوله عدد كثير من الطلاب، وتصنع فيه كسوة الكعبة الشريفة التي يبعثها المصريون كل سنة، ولها أوقاف يصرف ريعها في ذلك.

وهذا الرأس استخرجه الخلفاء المصريون من عسقلان المدينة المشهورة التي هي في فلسطين، ودفنوه في مصر باحتفال عظيم وبنوا عليه هذا المشهد وقالوا انه رأس الحسين عليه السلام والله أعلم بحقيقة حاله.

مشهد السيدة زينب:

وبمصر مشهد السيدة زينب، وهي امرأة صالحة فاضلة علوية من نسل مولانا الامام زين العابدين عليه السلام لها مشهد عظيم، وبجانبه مسجد عظيم يزيد اتقان بنائه عن الجامع الازهر، لكن الازهر اكبر منه بكثير ويتوهم كثير من الناس انها زينب الكبرى بنت مولانا امير المؤمنين عليه السلام لتبادر الذهن الى الفرد الاكمل وهو وهم فاسد.

ومن الغريب انني رأيت في بعض الكتب المصرية المطبوعة هذا التوهم وحاول صاحبه تصحيح هذا الوهم بما هو اوهن من بيت العنكبوت، وهو ان يكون نقل جسدها الشريف خفية الى مصر.

ويشبه هذا الوهم انني رأيت كتابا طبع بمصر قال فيه صاحبه: ان الجراكسة من نسل رجل صحابي يسمى كسا وانهم كانوا يقولون سار كسا، ثم حرفوها

وقالوا سركس بالسين في اوله. وذلك لأنّ الفه لأمير جركسي.

مع انه مما لا ريب فيه ان الكلمة فارسية اصلها (كهاركس)[1] أي أربعة انفس ولذلك قصة معروفة.

مشهد السيدة نفيسة ومشهد الامام الشافعي وغيرهما:

وبمصر من المشاهد المشهورة مشهد السيدة نفيسة ومشهد الامام الشافعي وغيرهما.

وفيها قبر محمد بن ابي بكر. وفي خارجها قبر مالك الاشتر الذي سمه معاوية حين توجه الى مصر واليا عليها من قبل عليعليه السلام في قصة مشهورة. لم نتمكن من زيارته.

القناطر الخيرية:

وهي من عجائب مصر، وهي قناطر مبنية على النيل خارج مصر، يذهب اليها بالقطار الحديدي وعندها حديقة من اجمل حدائق الدنيا ومتنزّهاتها.

وهذه القناطر بناها اسماعيل باشا خديوي مصر وصرف عليها أموالاً طائلة وهي طويلة جدا، ولكل قنطرة باب من الحديد، اذا أرادوا سد النيل انزلوا تلك الابواب واذا أرادوا رفعها رفعوها بآلة تدار بالبخار.

الكبري:

وهي لفظة تركية معناها الجسر، وهذا الجسر قناطر تشبه القناطر الخيرية في طول كثير، وفي اولها وآخرها صورتا أسدين عظيمين من النحاس.

تمثال محمد علي باشا وابراهيم باشا:

وفي مصر تمثالا محمد علي باشا راكباً على جواده وولده ابراهيم باشا

---

(١) لعل الصحيح چهاركس لانها تؤدي المعنى المذكور.

اميري مصر مجسمين من النحاس، ويرى ابراهيم راكباً على جواد متقلداً سيفه يشير بيده وعلى رأسه طربوش مغربي مرتديا (الكبوت) لابسا السروال الشبيهين بما يلبسه قواصة القناصل.

الشيخ عبد المحسن الكاظمي:

وزارنا ونحن في مصر الشيخ عبد المحسن الكاظمي الشاعر الشهير، وكنا نعرفه من العراق، وأبوه تاجر من اهل الكاظمية يتجر بالفراء، ولذلك اشتهر بـ(بوست فروش) وهي كلمة فارسية معناها بائع الجلد.

ويقولون انهم من نسل الأمير أبي فراس الحمداني.

خرج من العراق في شبابه مغاضباً لأهله فهبط مصر، وذاع بها صيته ونظم فيها القصائد الرنانة، لاسيما في الاجتماع والسياسة واكثرها على البديهة، فان له في الشعر بديهة عجيبة.

واكثر قصائده نشرت في الجرائد والمجلات المصرية وغيرها، وله ديوان شعر كبير لم يطبع الى الان، فانسنا به كثيرا ورأينا صورته الجميلة التي كنا نعرفها ايام شبابه قد تغيرت ولسانه العراقي قد صار مصريا، وحكى لنا من وقائعه وما جرى له في محافل مصر الشيء الكثير وله عند افاضل المصريين مكانة سامية.

مناظرة مع نقيب اشراف مصر:

وكان بصحبته نقيب الاشراف، فسألني النقيب عن طريقة التعليم للعلوم العربية والدينية في سورية والعراق وعن الكتب التي يدرس فيها، فشرحت له ذلك وبينت له محاسنها ومعائبها، وشرحت له طريقة التعليم في مدرسة النجف الاشرف فاستحسنها على ما فيها من النقد، وشكا من طريقة التعليم في الجامع الازهر وذكر لها عيوباً جمة. (منها): انه في اول يوم من تعليم المبتدىء عند ابتدائه ببسم الله يلقنونه الاختلاف في ان الاسم عين المسمى أو غيره وغير ذلك، مع انها من

مسائل علم الكلام التي لا يتحملها ذهن المبتدىء، وليس المعلم فيها بأعرف من المتعلم، فقلت له ولماذا لا تسعون في اصلاح الخلل؟ فقال: قد بدانا نصلح ذلك لكنه يحتاج الى زمن طويل.

(الى ان قال): ويتعلمون علم الأصول في كتاب يستأهل الاحراق وهو (الجوامع)، فقلت له ان عندي منه نسخة مخطوطة.

ثم قلت له: وما الفائدة لاخواننا اهل السنة في تعلم علم اصول الفقه وعندهم ان باب الاجتهاد مسدود، وان كل انسان يجب ان يقلد احد الائمة الاربعة ولو بلغ من العلم ما بلغ، حتى ان مثل صاحب الكشاف والامام الرازي وغيرهما مقلدة للائمة الاربعة، وعليه فيكون اشتغالهم بعلم الاصول عبثاً وتضييعاً للعمر فيما لا فائدة فيه، لان علم الاصول مقدمة للاجتهاد واستنباط الاحكام الشرعية الممنوع منه. وقد ذكروا انه لابد من معرفة غاية العلم قبل الشروع لئلا يكون الطلب عبثا.

فقال: ان اهل السنة هم الذين فتحوا باب الاجتهاد دون غيرهم. فقلت: نعم ولكنهم بعد ان فتحوه اغلقوه.

فقال: لو تيسرت شروط الاجتهاد في احد منهم لا ينكرون اجتهاده، ولكن تيسرها في هذا الزمان غير ممكن.

فقلت: يلزمك اقامة للبرهان على دعواك هذه. فاول ما شرع فيه من اقامة البرهان ان ذكر شروط الاجتهاد من معرفة علم التوحيد والعربية والمنطق وآيات الاحكام، والناسخ والمنسوخ وعلم الاصول والحديث وغير ذلك.

فقلت له: لا ينكر احد ان الاجتهاد مشروط باغلب هذه الامور وان كان في بعضها نظر او منع كعلم المنطق، الا ان ذلك خارج عن محل الكلام، وكل هذه التي ذكرتها معرفتها متيسرة في هذا الزمان، بل لعلها فيه ايسر بسبب كثرة التصانيف وتيسرها بوجود المطابع وتعاقب الافكار، فطلب مني الصبر الى انتهاء كلامه فصبرت.

فذكر ان من جملة الشروط ان يكون المجتهد في غاية الورع وأعلى درجات التقوى بل ذكر له صفات هي العصمة أو قريب منها، وقال: اين يوجد صاحب هذه الصفات في هذه الأوقات؟

فقلت له: (أولا) المسلم اشتراطه في المجتهد العدالة، وما زاد عليها لم يشترطه أحد من العلماء بل لا يعتبر عندكم في الامام الاعظم أزيد من العدالة، بل الحنفية لا تعتبر في الامام العدالة وتجوز فسقه، اذا كان حافظاً لامور الرعية ضابطاً لها، صرح به النسفي في عقائده، ولذلك كانت الدولة العثمانية لا تقبل من موظفيها الا ان يكونوا أحنافاً، والقضاة كلهم على المذهب الحنفي.

(ثانيا) ان هذا غير محل الكلام فان الكلام على تقدير وجود شخص بصفة الاجتهاد بعد الائمة الاربعة، فهل يسوغ له العمل برأيه وللناس تقليده؟ انتم تمنعون من ذلك ونحن نجوزه.

فقال: لو وجد شخص كذلك فأهل السنة لا يمنعون من ذلك. فقلنا له: لو تكلمت بهذا في بلادنا لسمعت ما يسوءك. ولكنك تتكلم بهذا في بلاد مصر.

فقال الشيخ عبد المحسن الكاظمي: وفي مصر لا يتكلم بهذا الا قليل والناس تسلقهم بألسنة حداد.

ومما ذكره من شروط الاجتهاد ان يسلم له اهل عصره بالاجتهاد، فقلنا له: الاجتهاد صفة قائمة بالمجتهد لا دخل فيها لتسليم اهل العصر وعدمه فلو ان نبياً ارسل الى قوم فكذبوه أكان يقدح ذلك في نبوته، ولو أن اهل عصر سلموا باجتهاد رجل وهو ليس بمجتهد أكان ذلك يجعله مجتهدا؟ فسكت.

وبعدما اقمنا بالقاهرة ستة أيام ركبنا القطار الحديدي الى الاسماعيلية فالسويس.

السويس وبور توفيق:

فبقينا فيها يومين ثم ركبنا البحر في مركب يسمى عبد المنعم، من المراكب الخديوية وأكثر عماله من المصريين بأجرة ٢٥٠ قرشا صحيحاً مصرياً في الدرجة

الثانية و ١٥٠ قرشا في الدرجة الثالثة الاخيرة.

ومن حسن الترتيب في السويس ان ميناءها التي تسمى (بور توفيق) نسبة الى توفيق باشا الخديوي، وتبعد عن البلد مسافة ولها قطار حديدي مخصوص يذهب ويجيء في كل ساعة مرة، وقد جعل لها مرفأ تصل المراكب العظام الى جنبه فتخطو الركاب من البر الى المركب، بدون حاجة الى زورق.

وعند مدخل المرفأ باب كبير وعلى جانبيه جنديان يمنعان الدخول لأكثر من شخص واحد خوف الازدحام.

فأول ما تؤخذ أمتعة الركاب يأخذها الحمالون بالعدد، ويحفظ صاحبها رقم الحمال، ثم تدخل النساء واحدة واحدة ثم الرجال كذلك.

فأرسلنا أمتعتنا وذهبت مع بعض رفقائنا لعلنا نتمكن من الدخول، فنختار لنا مكانا موافقا لاننا أخذنا مكانا من الدرجة الثانية، وليس في المركب درجة ثانية بل جعلوا ظهر الدرجة الاولى بدل الدرجة الثانية، وكان خيرا من الدرجة الاولى.

فلما وصلنا الى الباب رأينا جماعة من المغاربة معممين عليهم البرانس يحاولون الدخول، فمنعهم الحرس فلم يقتنعوا فأعملوا فيهم ضرب السياط.

فوقفت مع رفيقي ناحية، فلما رآني الحرسيان أشارا الي ان تعال فأتيت فقالا: يا شريف تريد ان تدخل؟ قلت: نعم، قالا: تفضل. قلت: ورفيقي. قالا: ورفيقك.

فدخلنا وبأيدينا أوراق المركب والكرنتينا والجواز، وفي الطريق أناس في امكنة متعددة ينظرون ذلك، فدخلنا المركب قبل كل أحد واخترنا لانفسنا ولمن معنا من النساء والرجال أمكنة حسنة واسعة، ثم جاء رفقاؤنا وأقلع المركب بنا من السويس مساء، فوصل الطور ضحوة الغد، وبقي هناك ينقل ما حمله الى الطور من آلات البناء، لأجل بناء محجر في الطور بقية ذلك اليوم والليلة التي بعده وفي

غدها الى الليل ثم اقلع من الطور قاصدا جدة فوصلناها بتمام الراحة لان البحر كان ساكنا الا في موضع يدعى ببركة فرعون ورأس ام محمد فهاج البحر وهاجت المرة الصفراء بأكثر الحجاج وذلك بعدما أحرمنا بيسير.

وكنا في الليلة التي أحرمنا في صبيحتها اغتسلنا من حمام في المركب منار بالكهرباء يجيء ماؤه من البحر ويغسل فيه الانسان منفردا بأجرة قليلة ولبسنا ثوبي الاحرام بعدما خلعنا المخيط.

نذر الاحرام قبل الميقات:

وفي الصباح نذرنا الاحرام قبل محاذاة الميقات تخلصا من الاشكال بناء على ما هو الحق من جواز الاحرام قبل الميقات بالنذر للاخبار الصحيحة الصريحة في ذلك المعمول بها عند الاصحاب، حتى ان في بعضها ان رجلا نذر الإحرام من الكوفة قال عليه السلام: فليحرم من الكوفة.

ولا يلتفت الى إشكال من أشكل بان متعلق النذر يجب ان يكون راجحا قبل النذر.

وإذا كان الاحرام قبل الميقات غير مشروع فلا يكون راجحا حتى يتعلق به النذر لان ذلك اجتهاد في مقابل النص، والنص كاشف عن كفاية الرجحان ولو بالنذر.

ولكن لما كان الوارد في الاخبار: الإحرام من مكان معين قبل الميقات مثل (الكوفة).

وفي البحر لا يتيسر ذلك مع سير المركب وعدم وقوفه، فلأجل رفع هذا الاشكال عينا المكان بالساعة فعمدنا الى ساعة وقال الناذر: لله علي أن بقيت الى المكان الذي تكون فيه هذه الساعة ثلاثة مثلا ان احرم من ذلك المكان.

على انه يمكن تعيينه بالزمان مثل المكان الذي يكون فيه المركب عند الفجر او عند طلوع الشمس او عند الزوال او عند الغروب او نحو ذلك.

فلما صارت تلك الساعة كذلك، عقدنا الاحرام بالتلبية وبقينا مستحضرين للنية مكررين للتلبية حتى وصلنا الى المكان الذي قال الربان انه يحاذي الميقات وهو (الجحفة) القريبة من (رابغ) وأذن الربان بذلك بصفير المركب، وتجاوزناه كثيرا ونحن نلبي مستحضرين للنية، ولكن ظهر لنا بعد ذلك من يريد الاحتياط التام فلينذر الاحرام من السويس، وليحتط بتجديد النية عند محاذاة (مسجد الشجرة) ظنا ان امكن او احتمالا الذي تحصل المحاذاة له قبل محاذاة الجحفة، ثم في (جدة) لان الجحفة تصير على شماله عند توجهه الى مكة و(يلملم) عن يمينه ثم في (حدة) (بالحاء المهملة)، التي هي في منتصف الطريق الى مكة لاحتمال كون المحاذاة هناك للجحفة، التي هي شمالي جدة او يلملم الذي هو في جنوبها، ويعرف اليوم بـ(السعدية).

المغاربة في حلقة الذكر:

وكان في جوارنا في المركب جماعة مغاربة معممون لابسو البرانس، اجسامهم ضخمة ولعلهم هم الذين حاولوا الدخول الى ميناء السويس، فمنعهم الحرس وأوسعوهم ضربا كما مر، فكانوا بعد كل صلاة يعقدون حلقة ذكر يميلون فيها يمينا وشمالا بأجسادهم الضخمة ميلا شديدا منكراً مكررين: لا اله الا الله بنغم خاص معروف، فيجتمع أكثر اهل المركب للتفرج عليهم.

ويبتدئون الذكر بعد أداء فريضة الصلاة، بالصلاة على محمد ﷺ لكنهم لا ينطقون بها صحيحة بل تكون بهيأة: اللهم اصل.

وكان امام جماعتهم رجلا بدينا، تظهر له عند ميلاته يمينا وشمالا هيأة قبيحة وكأنه كان يدرك ذلك، فكان يقلل من ميلاته.

وكان فيهم رجل نحيف طويل كان أشدهم حركة في حالة الذكر، وفي بعض الايام هاج به الحال فضرب رأسه بحائط المركب.

ورأى يوما الامام يتحرك حركة خفيفة فجاء اليه وجعل يحركه بيديه يمينا

وشمالا أعنف حركة.

وجاء في بعض الايام رجل تركي اناضولي يحسن العربية، كان حاجاً وكان معنا في المركب، وتظهر عليه امارات الدين والصلاح فوقف الى جنبي في جملة المتفرجين، فقال: ما هذا الذي يفعله هؤلاء فأنشدت:

واذا حـــلت الهـدايـة قـلبا

نشـــطت للـعبادة الاعـضاء

فقال لي: وهل هذه عبادة؟! فقلت: بنظرهم عبادة. فقال: هذه بدعة وضلالة وليست العبادة تابعة لنظرهم.

الجزيرة في جدة:

ولما وصلنا (جدة) نزلنا في سفينة اقلتنا الى (جزيرة) في البحر مسافة ساعة عن جدة تقريبا، لاجل تبخيرنا وتبخير الفراش والدثار فقط، ليموت ما فيها من (الميكروب) خوفا من سراية الأمراض الوبائية، وذلك بسبب مرورنا على مصر مع انها خالية من كل مرض وبائي.

وكل من يحضر من الديار المصرية يأخذ ورقة من ادارة الصحة بانه سالم من كل مرض، فيدفع رسما عن ذلك ثلاثة قروش صحيحة وكسراً.

سرنا محرمين والبحر هائج والشمس تصهرنا والبحر يقذف علينا من مياهه حتى وصلنا الجزيرة بغاية المشقة، فوجدنا السفن حولها واقفة مملوءة بالحجاج والشمس على رؤوسهم.

ومنعوا الناس من دخول الجزيرة تحكماً بلا فائدة مظنونة ولا موهومة الى أن أخذوا الفراش ووضعوه في المبخرة ما يقرب من ثلاثة أرباع الساعة حتى دخل البخار في اعماقه ورشوه بالفينيك، ثم اذنوا للركاب بدخول الجزيرة من باب مخصوص، واوقفوهم في مكان مخصوص، ثم امروهم بالخروج من باب آخر كانهم قطع غنم يصرفه الراعي كيف يشاء.

وهذه الجزيرة لا ماء فيها ولا كلأ فأضرّ العطش بهذا الجمع المتحشد، وهنا اخذ اصحابنا المغاربة في الذكر وعلت اصواتهم المنكرة المختلفة، كما اننا شاهدناهم عند خروجنا من مكة الى عرفات راكبين على الحمير، وقد لبسوا المخيط والعمائم على رؤوسهم، وهم مشغولون بذلك الذكر على ظهور الدواب.

وبعد هذا اعطوا ورقة باسماء الراكبين في السفينة ليأذن لهم اهل الميناء بدخول البلد.

الوصول الى جدة:

ثم سرنا من الجزيرة قاصدين جدة في حر الظهيرة والأمواج تفيض على الوجوه والرؤوس والابدان والأردية والازر، والسفينة تصعد تارة وتهبط اخرى، ونحن في خوف من الغرق لشدة الامواج، ولولا الذهاب الى الجزيرة لوصلنا الميناء بسهولة ومسافة قريبة.

وعند الوصول الى الميناء اخرجونا من السفينة وادخلونا من باب ونحوا السفينة الى باب آخر، وفيها الامتعة مع الملاحين ثم اتوا بنا الى شباك والمأمور داخل الشباك، فقال انسان واقف: ادفعوا عن كل شخص نصف مجيدي، فدفعنا وأخذنا اوراقاً فمشوا بنا قليلاً وأخذوا جوازات السفر وقرضوها بمقراض، ثم أتوا بنا الى مكان قريب من هذا المكان واخذوا جوازات السفر وقالوا: ادفعوا عن كل جواز قرشين وربعا صحيحة فدفعنا واعطوا كل واحد ورقة علامة على انه دفع ما عليه ليأذن له البواب بالخروج، فخرجنا ووجدنا السفينة واقفة فاخذنا منها الامتعة.

وبسبب قلة الركاب حينئذ لم يسرق من امتعتنا شيء ولكن لا تسل عن الذين جاءوا بعدنا عصرا ولم يصلوا الى امتعتهم وكم باكية لفقد نفقتها التي وضعتها داخل خرجها.

وبعد فراغنا من مزاولة هذه المشاق دخلنا البلد ونزلنا في دار عالية البنيان

متسعة البيوت، فيها أربع طبقات كما هو الحال في أكثر بيوت جدة، والأجرة عن كل نفس ثلاثة قروش صحيحة يومياً، فبقينا في جدة ستة ايام ننتظر امتعتنا المشحونة من بيروت فبعد وصولها ومعاناة مشقة التفتيش في الكمرك، سافرنا قاصدين مكة المكرمة.

وفي اثناء اقامتنا في جدة زرنا ما يقال له: قبر (حواء) وهو خارج البلدة مفرط في الطول.

مدينة جدة:

وجدة مسورة ولها ثلاثة أبواب: باب غربي من جهة البحر، وآخر شرقي، وثالث جنوبي، وفيها قناصل الدول، ولا يؤذن لغير المسلمين في الخروج خارج البور.

ويوجد فيها كثير من السودان الغبر الالوان وما فيهم الا الجائع العريان، واسعارها غالية وماؤها اجاج منتن يتجرعه الشارب ولا يكاد يسيغه، والسقاء الصغير منه بقرش واحد صحيح، ولكن ظهر لنا بعد ذلك ان فيها ماء حلواً في الصهاريج من ماء المطر لم نعلم به.

الخروج من جدة:

وكانت أجرة البعير من جدة الى مكة تسع مجيديات وربعا وقرشين صحيحين، ولكن لا يصل الى الجمال منها الا اليسر والباقي يأخذه المخرج باسم الحكومة.

وقطع الاجرة بامر من الحاكم وكل جمّال يأخذ كوشاناً بعدد ما معه من الأباعر بعد دفع الرسم المفروض عليه، والذي ليس معه كوشان لا يدعونه يدخل مكة حتى يؤخذ منه الرسم.

والذي يركب مع الاعراب خارج جدة يأخذون منه نصف هذه الاجرة أو

ثلثها وهم يصيحون في الطريق (يا رويجب يا رويجب)، وعند الخروج من باب جدة اخذوا عن كل بعير قرشين صحيحين.

وبسبب الوقوف بالباب سرقت امتعة الكثير من الحجاج واكثر سراقها افراد العساكر النظامية الموضوعين لحفظ الامن، وسرق لنا ابريق نحاس.

وسرنا من جدة الى بحرة فوصلناها بعد الغروب وأدركنا صلاة الظهرين في الطريق، لاننا خرجنا من جدة قبل الظهر، فنزلت انا وزميلي من الخشب وتوضأنا اولا ثم سرنا قليلا وصلينا الظهر، ثم سرنا كذلك وصلينا العصر لانه لا يمكن الانقطاع عن القافلة لحظة من خوف الطريق، مع ان العساكر النظامية منتشرة من جدة الى مكة في السهول وعلى رؤوس الجبال ينفخون في بوقاتهم فيجيبهم الاخرون، ولكن هؤلاء العساكر لا يفترون عن سرقة ما يمكنهم من امتعة الحجاج.

وصادف انه بينما نحن نسير اذا بامرأتين من رفقائنا راكبتين في خشب شامي وقف بهما البعير عجزا عن السير، واباعر الحجاز صغيرة دقيقة الساق لا تقوى على حمل الخشب الشامي فنزلت أنا ورفيقي نمشي وأركبناهما مكاننا الى بحرة فوصلناها بعد الغروب.

بحرة:

وهي في وسط الطريق بين جدة ومكة، وكلها قبائح مملوءة من القراد الذي يلتصق بالاجساد، وماؤها كماء جدة وليس فيها مسكن الا أرض محاطة بقصب ونحوه ينزل فيها الحجاج، ويبذل لهم أهلها الماء والضياء والحطب لقاء دراهم يأخذونها.

وقد اتونا قريبا من نصف الليل بوجوههم السوداء الكالحة بأيديهم المشاعل وعلى متونهم البنادق وجعلوا يوقظون الحجاج بعنف وازعاج، وقد اخذهم النعاس واضناهم التعب، ويطلبون منهم الاجرة ويشتطون في المقدار ويعنفون بالناس، كأنهم يأخذون جزية وكأنهم زبانية جهنم أو منكر ونكير، ومن لم

يدفع لهم كما طلبوا وهو اضعاف ما فرض لهم أوسعوه شتما بل وضرباً ان تمادى في الامتناع.

واذا هددهم بالحاكم سبوه وسبوا الحاكم فقبحوا من قوم سوء.

ثم سرنا من بحرة صباحاً فوصلنا مكة عند العصر وقد سلبت في هذا الطريق قوافل قبلنا وبعدنا ومعنا، وجرى قتل ونهب في اكثر الاوقات اما نحن فلم نر من ذلك شيئا والحمد لله.

اول الحرم:

وقبل الوصول لمكة المشرفة رأينا العلامات الموضوعة في أول الحرم من جهة جدة، فقرأنا الادعية الواردة عند دخول الحرم ولم نتمكن من الغسل.

مكة المكرمة:

ونزلنا في مكة في (شعب عامر) في دار رجل يماني قاطن في مكة في دار جيدة، وكان وصولنا اليها قبل هلال ذي الحجة بيومين، ورأينا الهلال ليلة الجمعة خفياً جداً قبل مغيبه بيسير، وكان ذلك من جملة نعمه تعالى علينا فكان الوقوف بعرفه في يوم واحد لجميع المسلمين.

(ويوم التروية) ثامن ذي الحجة بعد الظهر اغتسلنا، واحرمنا للحج من مقام ابراهيم عليه السلام وخرجنا قاصدين منى.

منى وعرفات:

فوصلناها مساء ونزلنا قرب (مسجد الخيف) وصلينا فيه تلك الليلة المغرب والعشاء، وخرجنا منها صباحا الى (عرفات)، وقد وضعت علامات بآخر الحرم من جهة عرفات، فنوينا الوقوف بعرفات من الزوال الى الغروب.

وكنا في مجموع هذه المدة مشغولين بالدعاء والتضرع الى الله تعالى لنا ولاخواننا المؤمنين، وزرنا مولانا الحسين عليه السلام وذكرنا اخواننا واصدقاءنا

بأسمائهم.

وكان من فضله تعالى علينا ان الهمنا الدعاء لجماعة من اخواننا المؤمنين كانت قد سبقت منهم الاساءة الينا فجزيناهم على اساءتهم احسانا.

وبعد الغروب نفرنا من عرفات راجعين الى:

المزدلفة:

وهي (المشعر الحرام) وتسمى (جمعا) ايضاً، وهي بين منى وعرفات، وقد وضعت علامات لحدود عرفات من جهة المشعر لانه لا يجوز الخروج من حدود عرفات قبل الغروب، ومن خرج كان عليه فدية بدنة.

(والمأزمان) أحدهما مضيق بين جمع وعرفة، والاخر بين مكّة ومنى.

وقد اكثر الشعراء من ذكرهما قال الشريف الرضي:

تذكرت بين المأزمين الى منى
غزالا رمى قلبي وعاد سليما
لئن كنت استحلي مواقع نبله
فاني ألاقي غبهن أليما

وبذلك النفر يتذكر الانسان يوم النشور، فبتنا في المشعر والتقطنا منه الحصيات حسب الاستحباب.

يوم عيد النحر:

وفي الغد رجعنا الى منى، وهو يوم عيد النحر وبعد الوصول بيسير ذهبنا الى مكان بيع الاضاحي، فاشترينا هدياً بليرة عثمانية حسب ما طلب بائعه، ولم نساومه لكراهة المساومة فيه، وذبحناه وتصدقنا بثلثه واهدينا ثلثه.

وكانت الجنود تمنع من حمل اللحوم الى الخيم خوفا من انتشار الروائح الكريهة، الا انه ليس منعاً شديداً، فاخذنا شيئا من الهدي لنأكل منه حسب

الاستحباب.

ومن لم ير ذلك المكان لا يعلم حقيقة معنى قول القائل: (مجزرين كالأضاحي).

وبعد الزوال عمدت جنود الحكومة الى جمع ما بقي من تلك اللحوم والاوساخ المطروحة في مكان الذبح، فدفنتها في حفر أُعدت لذلك.

ولم يحدث في الحاج مرض في تلك السنة في منى وعرفات، وكانوا بتمام الصحة وكان الحاج متوسط العدد.

الجمرات الثلاث:

وبعد النحر ذهبنا لرمي جمرة العقبة وهي أول الجمرات من جهة مكة، وبعدها جمرة تسمى الوسطى، وبعدها جمرة تسمى الاولى، لانها ترمى اولاً في الأيام التي ترمى فيها الجمرات الثلاث.

وجمرة العقبة تسمى الاخيرة لأنها آخر ما يرمى إذا ما رُميت الجمرات الثلاث، وذلك في الحادي عشر والثاني عشر من ذي الحجة، بل والثالث عشر اذا بقي الحاج بمنى.

اما في يوم النحر فلا ترمى الا جمرة العقبة فقط. واصل الجمرة مجتمع الحصا، وجمرة العقبة بناء في سفح الجبل، ظهرها الى الجبل ووجهها الى الطريق الذي بين مكة ومنى، والوارد استقبالها في الرمي أي رميها من قبل وجهها، لا رميها من أعلاها بحيث يصعد في الجبل ويرميها من فوقها.

وسميت جمرة العقبة لوجود عقبة هناك، ليست بعالية فإن الطريق من مكة الى منى، يأخذ في علو يسير لا يدرك حتى يصل الى قريب منى، فهناك ترى عقبة يسيرة تصعدها فتصل الى منى، وهي سهل فسيح تكتنفه جبال شاهقة من الجنوب والشمال، وكذلك عرفات وأكثر بلاد الحجاز طرقها في سهول تكتنفها الجبال.

بئر زمزم وقناة زبيدة:

ولم يكن بمكة قديما غير ماء بئر زمزم، التي هي قريب الكعبة المشرفة، وماؤها لا يخلو من مجوجة يسيرة، وكان الحجاج يحملون الماء معهم من مكة الى منى وعرفات عند خروجهم اليها يوم الثامن من ذي الحجة، ولذلك سمي يوم التروية.

ثم أتي لها بالماء من الطائف في قناة تمر بمنى وعرفات وتسمى (قناة زبيدة)، وأصلها كما في تاريخ مكة المسمى بالأعلام في أعلام بيت الله الحرام لقطب الدين الحنفي: إنّ زبيدة زوجة الرشيد أمرت باجراء الماء الى مكة من عين في ذيل جبل شامخ يقال له (طاد) من طريق الطائف كان يسقي بساتين في حنين، واليها ينتهي جريانه، فاشترت تلك البساتين وأبطلتها وشقت له الاقنية في الجبال، وجعلت لتلك العين مددا من عيون يجتمع اليها ماء المطر، ولتصل بأقنية بتلك العين الى ان وصل الماء الى مكة.

وأمرت باجراء الماء من عين منبعها في ذيل جبل (كرا) وهو جبل شامخ أعلاه أرض الطائف، ومن اسفله الى اعلاه مسيرة نصف نهار، وينصب من ذيل جبل كرا في قناة الى الأوجر في وادي نعمان، ثم الى موضع بين جبلين شاهقين في علو أرض عرفات، ثم الى عرفات، واديرت بجبل الرحمة، ثم الى البرك التي في أرض عرفات، ثم تخرج من عرفات الى خلف جبل من وراء المأزمين على يسار العابرين من عرفات، فتصل الى مزدلفة ثم الى جبل قبلي منى، ثم تنصب في بئر عظيمة تسمى بئر زبيدة، اليها ينتهي عمل هذه القناة.

ثم صارت عين حنين وعين عرفات تنقطعان لقلة المطر وتهدم القنوات وامتلائها بالأتربة من السيول فتصلحها الملوك والسلاطين والأمراء، كالملك مظفر الدين صاحب أربل، فعمر عين عرفة سنة ٦٠٥ هـ ثم عمرها المستنصر العباسي سنة ٦٢٥و ٦٥٤، ثم عمر عين حنين أمير مكة الشريف حسن سنة ٨١١، ثم عمرها

الملك المؤيد من ملوك الجراكسة بمصر سنة ٨٢١، ثم عمرها وعمر عين عرفات منهم قاتباي سنة ٨٧٥، ثم عمر عين حنين منهم قانصوه الغوري سنة٩١٦، ثم عمرها الامين جوبان نائب السلطنة بالعراقين للسلطان ابي سعيد خدا بنده سنة٩٢٦، ثم عمرها أمير مكة الشريف حسن ثم انقطعت العينان، فعمرهما السلطان سليمان العثماني سنة ٩٣١ ثم انقطعت العيون الا عين عرفات، لكنه قل جريانها.

ثم أمر السلطان سليمان باصلاحها فأصلحوا عين عرفات الى بئر زبيدة، وظنوا ان لها مجرى تحت الارض الى مكة، ولم يكن الامر كما ظنوا فان منتهى عمل زبيدة كان بئر زبيدة، فعُدِل عنه لصعوبة الحفر الى عين حنين.

وحفروا فيما بعد بئر زبيدة فوجدوا الأمر صعباً ولم يجدوا قناة قديمة كما ظنوا، ولم يمكنهم ترك العمل تحاشيا من إظهار العجز، فواصلوا الحفر ولاقوا مشاق عظيمة، حتى أوصلوا الماء الى مكة سنة ٩٧٩.

وكان اتمامه ببذل خانم سلطان كريمة السلطان سليمان بعد ما بذل عليه ما يزيد عن نصف مليون دينار ذهبا، ثم أمر السلطان سليم ان تبنى بقية قناة عين عرفات من الأبطح الى آخر المسفلة بمكة المكرمة في قناة مستقلة، ولا تجري في قناة عين حنين، وبنى قبة في الابطح جعل فيها مقاسم ماء عرفات، وركب في جدارها بزابيز من النحاس.

وقد أصلحت في هذا العصر بئر زبيدة المتقدم ذكرها، ووجدوا عليها تاريخا من عصر الشريف قتادة أمير مكة المتوفى سنة ٦١٧.

العودة الى مكة:

وبعد ان رمينا جمرة العقبة يوم العيد حلقنا، وفي اليوم الثاني رجعنا الى مكة، وطفنا طواف الحج، وسعينا بين الصفا والمروة، وطفنا طواف النساء، وصلينا صلاة الطوافين وذلك لان المستحب الرجوع الى مكة يوم العيد بعد الرمي والحلق،

لأجل طواف الحج الذي يسمى طواف الزيارة، أي زيارة البيت ولأجل السعي، وطواف النساء الذي لا تحل النساء الا به.

وكذا المرأة لا تحل لها الرجال الا به، فان لم يتمكن من الرجوع الى مكة يوم العيد ففي الذي بعده، وحيث لم يمكنا الذهاب يوم العيد ذهبنا في الحادي عشر، ثم عدنا الى منى فبتنا بها ليلة الحادي عشر والثاني عشر.

الزينة بمنى:

وفي تينك الليلتين كانت منى في زينة عظيمة، تضرب بها المدافع من مكان المحملين الشامي والمصري، فيتردد صداها بين تلك الأودية والجبال، وتعلو الحراقات في الجو بألوانها المختلفة البديعة الشكل.

ورمينا الجمرات الثلاث في ذينك اليومين، ثم عدنا الى مكة يوم الثاني عشر بعد الظهر. وكان من جملة الحجاج تلك السنة امرأة من ملوك الهند، وبعض ملوك المغرب ووزير الصدر في ايران ميرزا علي اصغر خان الملقب امين السلطان.

المزارات بمكة المكرمة:

وتشرفنا في اثناء اقامتنا بمكة بزيارة قبور أبي طالب وعبد المطلب وعبد مناف عليهم السلام، وخديجة بنت خويلد ام المؤمنين رضي الله عنها ومولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومولد فاطمة الزهراء عليها السلام وغيرها من الأماكن المشرفة.

أبو قبيس:

وصعدنا الى جبل أبي قبيس وهو مشرف على الكعبة المشرفة.

الدخول ليلا الى الكعبة المشرفة وصفتها:

ودخلنا ليلا الى الكعبة المشرفة، وصلينا في جوانبها الأربع وعلى الرخامة

الحمراء وهي ما بين العمود الاخير الذي يلي حجر اسماعيل والذي قبله، فان فيها ثلاثة أعمدة من خشب ممتدة من وسط الحائط الذي بين الركن اليماني والركن الذي فيه الحجر الأسود الى وسط الحائط الذي يلي حجر اسماعيل.

وباب الكعبة المشرفة قريب من الركن الذي فيه الحجر الأسود، عال عن الارض بأزيد من قامه يصعد اليه بدرج منقول.

وقوام الكعبة الذين بيدهم مفاتيحها هم بنو شيبة، من عهد الجاهلية الى اليوم.

ورأينا داخل الكعبة حرّاً شديداً لعدم المنافذ مع ان ذلك كان في وسط الشتاء، لكن شتاء الحجاز كقيظ الشام وقرانا، في حائطها الداخل الذي بين الركن اليماني والركن الذي يلي حجر اسماعيل تاريخ تجديد رخامها الداخل من أبي جعفر المنصور المستنصر بالله، في حدود الستمائة.

وهذا هو ابو جعفر منصور بن الظاهر ويلقب بالمستنصر، وهو والد المستعصم آخر ملوك بني العباس.

وتاريخ آخر بتجديده من السلطان محمد خان في حدود الثمانمائة وآخر من بعض الملوك.

الشريف عون والي مكة:

وكان حجنا في امارة الشريف عون، وولاية أحمد راتب باشا والي الحجاز، وكان أهل مكة يخافون الشريف عوناً ويبغضونه خوفاً وبغضاً شديدين، ويميلون الى ابن أخيه الشريف علي، الذي تولى امارة مكة بعد وفاته.

ووالي الحجاز من قبل الدولة العثمانية ليس له مع الشريف من الأمر شيء، وعنده عساكر نظامية، وعند الشريف عسكر يسمى البيشة.

الخروج من مكة الى المدينة:

وبقينا في مكة المكرمة الى الثامن والعشرين من ذي الحجة الحرام، ثم خرجنا منها بطريق البر مع أمير الحاج الشامي (عبد الرحمن باشا اليوسف) من أمراء أكراد صالحية دمشق فخرجنا من مكة الى:

الشيخ محمود:

وهو بمسافة ساعة عن مكة، وكانت اجرة الخشب الشامي من مكة المكرمة الى دمشق اثنين واربعين ذهبا عثمانيا، في حمل (الحاج على آغا الشيرازي)، وذلك مع أجرة الذهاب والاياب الى عرفات، واجرة الكجاوي اثنين وثلاثين ذهبا والراكب احد عشر ذهباً.

والشيخ محمود مسمى باسم ولي مدفون هناك ثم ارتحلنا صباحا من الشيخ محمود الى:

وادي فاطمة:

كما يسميها اهل الشام، وأهل العراق يسمونها وادي الشريف وهو الذي كان يسمى مر الظهران أو بطن مر.

وهو مكان فيه نخل ونهر جار وهو مسافة أربعة فراسخ عن مكة تقريبا، يباع فيه لحم الضأن الجيد، والبيض والبطيخ الأخضر والطماطا والليمون الحامض الصغير الأخضر، ويظن انه من نوع الليمون، الذي يؤتى به يابساً الى العراق من الهند ويسمى ليمون بصرة لجلبه من الهند اليها وغير ذلك.

فبتنا فيه ورحلنا منه صباحا الى:

عسفان:

بضم العين وسكون السين المهملتين ثم فاء والف ونون، فوصلناه مساءً، وهو مكان مشهور له ذكر.

وهو الذي حبس فيه هشام بن عبد الملك الفرزدق الشاعر لما مدح زين العابدين عليه السلام بالميمية المشهورة، فقال الفرزدق يهجوه:

ايحبسني بين المدينة والتي
اليها قلوب الناس يهوي منيبها
يقلّب رأسا لم يكن راس سيد
وعيناً له حولاء باد عيوبها

والمسافة بين عسفان ووادي فاطمة نحو من اثنتي عشرة ساعة، وريضوا نحو من ساعة عند منتصف النهار كما هي العادة ويسمونها (راضة الظهر)، فيبقون الأحمال على الجمال، ولا ينصبون الخيام، فيتغدون ويصلون ثم يسيرون.

وعادة الركب الشامي ان يضرب مدفعا عند النزول، وآخر عند الرحيل.

ولما لم يتحقق زوال الشمس قبل المسير صلينا الظهرين في أثناء السير، وحملنا الماء من وادي فاطمة الى عسفان، وقيل انّ بعسفان ماءً لكن يتعسر الوصول اليه لدخول الليل.

ومنع العسكر المحافظ على الحجاج من الخروج خارج (الزنجير)، أي العسكر المحيط بالحاج من العسكر النظامي (والجندرمة)، الذين رسمهم ان يسيروا يمين الحاج وشماله حالة السير، ويحيطون به عند النزول، فلا يدعون في الليل أحدا يخرج ولا أحدا يلج اذا لم يعرفوه، فيصيحون به ثلاث مرات فان لم يجب رموه فقتلوه كما وقع ذلك لبعض الحجاج الذين لا يعرفون العربية.

وطول الليل يتصارخون فيصيح أحدهم: (كركون)، فيجيبه الذي يليه: (حازرون) وهكذا دورا حتى تنتهي النوبة الى الأول فلا يزال هذا دأبهم طول الليل.

وفي ساقة الحجاج عسكر من عرب عقيل، موظفون من طرف الحكومة لحمل الضعيف والمنقطع به، لكنهم في الغالب لا يفعلون ذلك ان لم يسلبوه.

وكان للحاج الشامي من الترتيب والنظام ما يوجب راحة الحجاج، من ذلك أن السير يكون بقطارين أحدهما الى اليمين والآخر الى اليسار.

والحاج قوافل متعددة، ولكل واحدة رئيس يسمى (مقوماً)، ويسميه الايرانيون واهل العراق (حملدار).

فيسير كل رئيس بقافلته ميمنة وميسرة، هذا اولا وذاك بعده وهكذا في كل يوم.

وجمال كل قافلة لا يتغير مكانها فمن كان بعيره أولا في أول يوم، بقي كذلك في آخر يوم، ومن كان في الميمنة لا يتحول الى الميسرة وبالعكس.

واذا ساروا ليلا حمل كل قائد جمل (ويسمى عكاما) فانوسا بيده فيرى لهم من بعيد صورة جميلة، فيرى الرائي من بعيد مصابيح تتقد في البر سائرة صفين ولا يرى غيرها.

وخيام كل قافلة لها جمال مخصوصة، وأناس مخصصون يسمون (المهاترة) يسبقون الحاج وينصبونها اول يوم على ترتيب خاص، لا يتعدونه الى آخر السفر، وخيام كل قافلة في مكان مخصوص لا تتعداه، هذا اولا وتلك بعدها وهكذا.

وكذلك كل خيمة لها مكان مخصوص لا تتعداه. وخيام كل قافلة كأنها بلد بنفسها بأزقتها وبيوتها لا تتغير، فلو ضل اثنان في حال السير أو النزول يهتدي الى مكانه بأيسر ما يكون حتى كأنه في بلده.

وفي ذلك اليوم وقع كثير من الأباعر بأحمالها في اثناء الطريق ما يقرب من خمسين بعيرا بعضها قضى نحبه في الحال وتناولته شفار السودان ـ الذين يسيرون مشاة مع الحجاج ـ فقطعته اربا اربا، وربما كان ذلك قبل خروج روحه، وبعضها سلم بعد وضع حمله على غيره ومداواته بالفصد في أنفه، وصب الماء على سنامه وبدنه وذلك على ما قالوا بسبب سمنها واشتداد الحر، مع أن الفصل شتاء، ولكن

من (البار خانه) التي نحن فيها لم يمت بعير واحد.

ورأينا هلال المحرّم بعسفان ليلة السبت مفتتح عام ١٣٢٢ وخرجنا صباحا من عسفان قاصدين:

الخليص:

بوزن المصغر فوصلناها منتصف النهار، وماؤها لا بأس به، وفيها البطيخ الأخضر الجيد والقثاء والبصل واللحم وغير ذلك، وفيها بعض النخل وهي مسكونة من الأعراب.

ثم سرنا منها صباحاً، فثار بعض الأعراب على رجلين من أهل معرة النعمان معهما بعير، وأحدهما راكب عليه فجرحوا الماشي وأخذوا هميانه بما فيه من النقود وأخذوا الراكب وجمله فذهبوا به، ولا يعلم رفيقه حي هو أم ميت، رأيته في الطريق يمشي مضرجاً بدمه وقد ورم رأسه من الشمس حتى أخفى الورم عينيه، وهؤلاء الأعراب كما قال لنا شيخ الفراشين حينما كنا في داره في المدينة المنورة ـ وعنده بدري ـ فقال مشيرا اليه: هذا وقومه يشتغلون في وقت الحج بسلب الحجاج فإذا انقضى الموسم اشتغلوا بالحرب والغارة بينهم لا شغل لهم الا ذلك، فوصلنا الى:

الكظيمة:

بفتح الكاف، قبل الغروب بأربع ساعات، وفيها بئر عظيمة، وهي مسكونة من الأعراب يباع فيها التمر والبطيخ واللحم وغيرها وفيها من البنادق الدولية من كل جنس حتى انني رأيت فيها بندقية ايرانية، وفي مائها ملوحة.

ورحلنا منها ليلاً في الساعة الثامنة والنصف الى:

رابغ:

وانما مشوا ليلا لبعد المنزل، وخوف سقوط الأباعر من الحر كما جرى بين

وادي فاطمة وعسفان، فوصلناها عند الغروب وهي الجحفة او قريب منها.

وفي محل يبعد عنها بعض البعد مسجد:

غدير خم:

وهو مسجد بني في الموضع الذي نصب فيه رسول الله ﷺ عليا عليه السلام وصيا وخليفة بعده، فنزل في ذلك الموضع في حر الظهيرة وخطب الناس فقال: ألست اولى بكم من انفسكم؟ فقالوا: بلى: قال: من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه كيفما دار، في حديث مشهور.

وكان المسجد متهدما فبناه بعض ملوك الهند من الشيعة، ولم يمكنا الذهاب اليه لخوف الطريق.

ورابغ ميناء على شاطىء البحر عامرة وماؤها شروب وفيها قلعة صغيرة بعيدة عن البلد، يسكنها شرذمة من العسكر العثماني.

وحين وصول الحاج رفعوا العلم العثماني على القلعة وأطلقوا عدة مدافع كما هي العادة.

لكن العداوة بينهم وبين أهل رابغ متأصلة فلا يجسرون على الخروج الى السوق أو لجلب الماء إذا كانوا دون العشرة.

وفيها من البنادق الدولية المختلفة الأجناس ما لا يحصى عدده، وهو ازيد مما في الكظيمة.

وكذلك أكثر بلاد الحجاز وجملة من الحجاج يشترون البنادق بثمن بخس، ويخفونها في أمتعتهم خوفاً من التفتيش إذا دخلوا الشام.

وفيها دهن البيلسان الذي تداوى به الجراح والرضوض، يجنيه الأعراب من شجر هناك، وقد اشترينا منه قنينة فلما فتحناها وجدنا أكثرها ماء وشيئا قليلا من الدهن على وجه الماء، فكان هؤلاء الاعراب أخذوا على أنفسهم النهب في

كل شي.

وثارت فيها العواصف والعجاج الشديد. وقد وصلناها عند الغروب فبقينا فيها تلك الليلة ويومها الى ما بعد العصر، ثم رحلنا منها الى مكان ليس بمعد للنزول، فسرنا نحوا من ست ساعات فوصلناه الساعة الرابعة ليلا، وبعد الفجر رحلنا منه فوصلنا ضحى الى:

بئر الشيخ:

وكانت هي المنزل لكن خوف سقوط الأباعر من الحر، منع من السير رأسا اليها من رابغ مع كون الفصل شتاء فسقوا الدواب من تلك البئر، وفي أثناء الطريق آبار كثيرة وماؤها شروب، وفيها بئر يقولون انها (بئر ذات العلم) واخرى تسمى (بئر عباس).

ثم رحلنا الى مكان ليس بمنزل ولا فيه ماء، ثم رحلنا منه الى (المستورة) ورحلنا ضحى من المستورة الى (بئر الحصان) فوصلناها بعد المغرب، وعند الفجر رحلنا منها الى (حلص) ثم منها الى:

بئر الدراويش:

فوجدنا ماءه قليلا، والذين تأخروا لم يستقوا شيئا، ومات بعض الحمير والاباعر تلك الليلة من العطش، ثم رحلنا منها الساعة السادسة ليلا الى:

المدينة المنورة:

فدخلناها يوم الأحد بعد الظهر، وزال العناء واشتدّ الفرح والسرور لما شاهدنا القبة الخضراء الشريفة والمنائر المنيفة من جميع الحاج، ودخلنا من باب رأينا في أعلاه مدفعين خارجين من كوّتين، ونزلنا في بستان خارج السور فيه دار وفيه نخل وبركة ماء يستقى لها على الناضح، وهو ملك لبعض (الطواشية)، خدام الحرم الشريف النبوي ويسكنه ويقوم باعماله بعض النخاولة، فزرنا الحضرة

الشريفة النبوية وقلبنا الشفاه على تلك الاعتاب الشريفة، وفزنا بنعمة الدخول الى الحجرة المطهرة بسبب أوراق مأخوذة من الاستانة تتضمن الاذن بخدمة الحجرة المنيفة حسب المعتاد.

فذهبنا اولا الى بيت شيخ الفراشين لتقييد أوراق الرخصة عنده وقال لنا تأتون في الساعة الحادية عشرة الى الدكة، التي في الحرم المطهر حيث يجيء المحافظ، وهو عثمان باشا فحضرنا في الوقت المضروب، فوجدنا شيخ الفراشين هناك.

ثم جاء ضابط عثماني يحمل نياشين كثيرة فقال لنا شيخ الفراشين: هذا خفية وهو من الشام فعرفه بنا وقال له: هؤلاء من أقارب الشيخ ابي الهدى، فقال: ما اكثر من يتقرب بابي الهدى.

ثم التفت الي وقال ما اسم اقارب ابي الهدى الذين في حلب وفي موضع كذا وكذا؟ فقال له شيخ الفراشين: وهل كل من كان من أقارب ابي الهدى يلزمه معرفة جميع عشيرته، وهم متفرقون في البلاد؟ فسكت.

ثم جاء عثمان باشا محافظ المدينة وشيخ الحرم لابسا العمامة البيضاء والجبة والقباء، وهو رجل ابيض اللون ابيض اللحية طويل القامة، فقام الحاضرون كلهم وقبلوا يده، اما انا فصافحته.

فجلس قليلا وأذن المؤذن لصلاة المغرب وكان ذلك الضابط الى جانبي في الصف فقال لي: أنا في كل سنة أحج وأزور عن السلطان وجعل يعلمني كيفية الدخول الى الحجرة الشريفة فشكرته.

وبعد الفراغ من صلاة المغرب أتونا بفرجيتين بيضاوين وأتوه بعمامة بيضاء، اما أنا فأكتفوا بعمامتي الخضراء، وهكذا كل من يريد الدخول يؤتى له بفرجية، وهي ثوب أبيض محيط بالبدن يلبسه فوق ثيابه، ويتعمم بعمامة بيضاء إن لم يكن متعمماً.

فدخل محافظ المدينة لابساً الفرجية وخلفه المأذون لهم بالدخول، وفي يد كل منهم شمعة صغيرة فيضيئها، ويشعل أحد القناديل التي داخل الحجرة الشريفة، يتشرف بالخدمة ويزور المحافظ ومن معه النبي ﷺ ثم صاحبيه ثم الزهراء، يتلو لهم الزيارة بعض السدنة وهم يتابعونه.

وهذا الدخول انما هو بين الحاجز الحديدي الدائر حول الحجرة الشريفة وبينها، بحيث يمشي الداخل حول حائط الحجرة الشريفة، اما نفس الحجرة فبابها مسدود ولا يمكن الدخول اليها، ولا رؤية القبر الشريف.

وتشرفنا بزيارة سيد الشهداء حمزة بأحد وسائر الشهداء، والمسافة بين المدينة المنورة وأحد نحو من فرسخ، ولم نتمكن من زيارة مسجد قبا مع انه لا يزيد عن هذه المسافة لشدة الخوف، فضلا عن مسجد الفضيخ ومشربة ام ابراهيم وغيرها.

لكننا تشرفنا بزيارتهما بعد ذلك فذهبنا من الشام في السكة الحديدية وزرناهما بصحبة عرب العوالي.

وبقينا في المدينة المنورة ستة أيام وخرجنا منها بعد الظهر الى:

الجرف:

وهو معسكر المدينة قديما، وهو على نحو فرسخ منها ورحلنا من الجرف الساعة السادسة ليلاً الى:

بئر جبر:

فوصلناها اول النهار، وقبل الغروب رحلنا منها الى:

اصطبل عنتر:

فوصلناه قبل المغرب من اليوم الثاني فبتنا فيه، وبعد العصر رحلنا منه الى:

هدية:

فوصلناها صباحا وماؤها مالح، لكنه قريب من وجه الارض وفي أي محل حفر يخرج الماء، فأقمنا بها الى ما بعد العصر ورحلنا الى:

براقة:

فوصلناها بعد طلوع الشمس، ولا ماء فيها وبقينا فيها الى الساعة التاسعة من النهار ثم رحلنا منها الى:

قلعة الحديد:

فوصلناها الساعة الثالثة ليلا، فبقينا فيها بقية تلك الليلة ونهارها الى الساعة التاسعة ورحلنا منها الى:

قلعة الزمرد:

وهي على ثمان ساعات من قلعة الحديد، وفيها بعض العسكر فلم نبت بها وواصلنا السير قاصدين:

سهل مطران:

بالتحريك فوصلناه عند طلوع الشمس، وبقينا فيه الى ما بعد العصر من ذلك اليوم ثم سرنا قاصدين:

آبار الغنم:

فوصلناها الساعة الخامسة ونصفا من الليل ورحلنا منها الساعة العاشرة ليلا الى:

مدائن صالح:

فوصلناها قبيل طلوع الشمس، وأقمنا بها بقية ذلك اليوم والليلة الى بعده

الى الظهر، فيها بئر عذب، ماؤها وسط القلعة، وهي مدائن ثمود قوم صالح عليه السلام وبيوتهم المنحوتة في الجبال بدرجها الظاهر للعيان باقية الى اليوم، على ابدع شكل واتقنه يراها المار على الطريق قبل الوصول الى القلعة.

وبعد الوصول الى المنزل حاولنا الذهاب لرؤيتها، فمنعنا عدم الأمن وسمعنا ونحن بالمدائن اعرابيا راكبا على ناقة ينادي: يا شاري العرض بالعرض (بفتح العين والراء) فقلت لاصحابي: ما يقول هذا؟ قالوا: لا نعلم، قلت: يريد المبادلة على ناقة أو جمل لا بيعا بدراهم.

وقريب منها بلدة تسمى:

العلا:

ذات مياه وبساتين فجاء أهلها الى مدائن صالح ومعهم الشعير والسمن والتمر الجيد والليمون الحلو والحامض، وهو كبير الحجم للغاية كثير الماء شديد الحلاوة والحموضة ثم سرنا من مدائن صالح بعد الظهر قاصدين:

ظهر الحمراء:

فسرنا بقية ذلك اليوم وتلك الليلة وساعتين ونصف من اليوم الذي بعدها، فكانت المسافة نحوا من اثنتين وعشرين ساعة والطريق وعر جداً، ومررنا بين جبلين على هيأة واحدة وعلو واحد كأنهما ساريتان، وبينهما مقدار ممر قطارين من الجمال فقط والناس يسمونها:

جبل ابو طاقة:

تشبيهاً لما بين الجبلين بالكوة في الحائط، والطريق بينهما في مكان ذي رمال، تغوص فيها أيدي الجمال وأرجلها، وتسير صعودا وأكثر الناس ينزلون من المحامل عدا العاجز والمرأة، ويعلو هناك الصياح والضجيج من اهل القوافل وربما ضربوا بالطبول.

واصل استعمال ذلك لتهييج الابل على السير خوفا من وقوفها وسقوطها لصعوبة الطريق بسبب الرمل والصعود، ولكنه شاع بين العامة ان هذا الصياح، لئلا تسمع الابل حنين فصيل ناقة صالح الذي هو متغيب في ذينك الجبلين على زعمهم فتموت. والطريق بعد ذلك أكثره صخور ومزالق ورمال.

وبقينا في ظهر الحمراء من الساعة الثانية والنصف نهارا الى الساعة التاسعة، ثم سرنا بقية ذلك اليوم وتلك الليلة، ووصلنا في الساعة الثالثة من نهارها الى:

المعظم:

فكانت المسافة بينهما نحوا من سبع عشرة ساعة. والمعظم فيه قلعة وبركة عظيمة ماؤها من المطر، لكنه لم يكن فيها ماء.

وسرنا من المعظم الساعة التاسعة من نهار اليوم الذي وصلنا فيه فوصلنا:

الأخضر:

ضحوة الغد فكانت المسافة بينهما نحوا من احدى وعشرين ساعة، والطريق من المدائن الى الاخضر ليس فيه ماء، وهو ستون ساعة قطعناه في ثلاث مراحل وحملنا الماء معنا من المدائن الى الاخضر.

وفي الاخضر قلعة فيها بعض العسكر، وفي وسطها بئر ماؤها غزير وعذب جدا، وعليه ناعورة تديرها دابة فتصب في بركة كبيرة، فاذا جاء الحاج وجدها مملوءة فلا يخرج حتى ينفد ماؤها، ولولا ذلك لكثر الزحام.

ولعله يسمى بالاخضر لوجود العشب حوله بخلاف باقي المنازل التي هي قاحلة جرداء.

ومن الامثال فيه (اذا وصلت الاخضر فامش وتبختر) لجودة مائه وغزارته، فبقينا فيه ذلك اليوم والليلة التي بعده الى الصباح ثم سرنا حتى وصلنا الى منزل يدعى:

ظهر المغر:

ليس فيه ماء، فوصلناه الساعة الحادية عشرة من النهار فبتنا به تلك الليلة وخرجنا منه قبل الفجر بساعتين تقريبا، اعني الساعة الثامنة من الليل فوصلنا الى:

تبوك:

الساعة الرابعة من النهار، وهي بلدة مسكونة بقليل من الأعراب، وفيها آبار كثيرة عذب ماؤها ونخل وكروم ونخلها للحكومة وشرينا منها اللحم والسمن والزبد بثمن رخيص.

وجاءتنا بها بعض الهدايا من الشام، وكان حقها حسب العادة ان تجيء الى مدائن صالح مع الجردة، الا ان الجردة لاقتنا بالأخضر، والامانات بعضها ضل في تبوك والاكثر بقي في معان وتبوك وهي التي غزاها النبي ﷺ ولم يلاق حربا، وفيها مسجد يقال انه صلى فيه النبي ﷺ، وقلعة مشيدة هي احسن ما رأيناه من القلاع قبلها، وكتب على بابها على الكاشي انها بنيت بأمر فلان من السلطان محمد خان من بني عثمان سنة ١٠٦٤.

وفيها بيوت خربة ومزارع حنطة وشعير وبقينا بها بقية ذلك اليوم والليلة التي بعده الى الساعة الثامنة والنصف، ثم خرجنا قاصدين:

القاع:

فوصلناه قبل الغروب بنصف ساعة تقريباً، وهو منزل لا ماء فيه وخرجنا منه آخر الليل فوصلنا:

ذات حج:

قبيل المغرب، وهي بكسر الحاء المهملة بعدها جيم، وفيها قلعة جيدة فيها

بعض العسكر جدد بناؤها زمن السلطان عبد المجيد، وفيها عيون ماؤها غزير على عمق ذراعين عن وجه الارض، ماؤها لا بأس به وفيها بعض نخيلات.

وتكثر فيها العقارب، أرضها صلبة، لا تنزل فيها الأوتاد وقد شدوا أطناب الخيام فيها بالحجارة وسكك الحديد، وخرجنا منها عند الفجر الى:

المدورة:

فوصلناها الساعة الثامنة من النهار، وفيها قلعة محكمة وفي وسطها عين ماؤها عذب جدا، تجري الى برك ثلاث كبار اعدت للحاج وخرجنا منها آخر الليل الى منزل ليس فيه ماء يسمى:

تحت العقبة:

فوصلناه بعد العصر، وخرجنا منه آخر الليل الى منزل يسمى:

فوق العقبة:

ومنه الى:

معان:

وهي بلدة معمورة فيها قائم مقام، وهي تابعة لحكومة سوريا، فيها دار للحكومة وجامع قديم محكم البناء، وفيها ماء جار ومزارع وبساتين فيها انواع الفواكه ورمانها مشهور وسرنا منها الى:

عنزة:

ويكثر فيها العجاج والغبار من الرياح العاصفة التي تسفي الرمول، وسرنا منها الى:

القطرانة:

وهي بنواحي مؤتة التي فيها قبر جعفر الطيار ﷺ ومن استشهد معه من الصحابة، وكانت السكة الحديدة الحجازية وصلت اليها.

ومنها ركبنا القطار الحديدي الى دمشق بعدما تأخرنا فيها عدة أيام لعدم تيسر قطار سوى القطارات المكشوفة وامتناعنا عن الركوب فيها.

ومن القطرانة الى دمشق ست مراحل بسير الابل، وكان السير فيها قبل السكة الحديدية هكذا على ما قيل لنا: القطرانة، المدورة[1].

الزرقاء:

وفيها نهر جار ولها ذكر في التاريخ ويسكنها الان مهاجرو الجركس وهي بنواحي البلقاء الشهيرة في التاريخ.

القعلة، الرمثا، المزيريب، الكسوة، دمشق والخمسة الاخيرة من بلاد حوران اما بعد وجود السكة الحديدية فاسماء المحطات هكذا: القطرانة، سواقة، محجة، ضبعة، جيزة، لبن، قصر، عمان، الزرقاء، سمرا، مغرق، نصيب، ذرعا (اذرعات)، خربة غزالة، ازرع، دير علي، خبب، جباب، مسمية، الكسوة، القدم (ويقال ان فيه اثر قدم النبي ﷺ حين اتى الشام وانه وصل الى ذلك المكان ولم يدخل دمشق)، القنوات (محلة بدمشق).

---

(١) قد مر ان المدورة قبل القطرانة باربع مراحل الا ان تكون هذه غيرها.

الرحلة الحجازية الثانية

العام (١٣٤٢ هـ ـ ١٩٢٣ م) بقصد الحج

خرجنا من دمشق في ذي القعدة سنة ١٣٤١، فركبنا القطار الحديدي الحجازي صباحا من محطة البرامكة الى ذرعا (اذرعات) في الدرجة الثانية قاصدين (حيفا)، ومن ذرعا تتشعب السكة الحديدية فيذهب قطار الى فلسطين وآخر الى عمان على خط المدينة المنورة الذي كان قبل الحرب العامة.

وبعد ما فصلنا من ذرعا مررنا في طريقنا بشلال ينحدر منه الماء من مكان عال جدا ومررنا (بوادي السرار)، وهو واد عميق بنيت فيه قناطر هائلة، بعضها فوق بعض ليعبر عليها القطار من جانب الى جانب، ومررنا بمحطة (سمخ)، وهي اول المحطات في حكومة فلسطين واليها يصل البوليس المصاحب للقطار من دمشق ثم يعود، وفيها جعلوا يأخذون جوازات السفر ويكتبون عليها (مصرح له بدخول فلسطين)، ومررنا بمحطة الرملة البلد المشهور ولم نر البلد لبعد المحطة عنها.

ومما لاحظناه انه ليس في موظفي القطار سوى اثنين من المسلمين احدهما فلسطيني والآخر اصله ايراني مولود في جبل عامل.

والذي ينظر في جوازات السفر مسلم مصري مبرنط اسمه عبد الحميد، يحضر مع قطار مصر الآتي الى حيفا.

وظللنا في سير متواصل حتى وصلنا حيفا عصرا.

واهتم بأمر سفرنا الى مصر وانجاز اشغالنا تاجر حيفاوي، جاءته وصاية بنا من صديقه وعميله في دمشق، فما انقضى النهار حتى كانت جميع اشغال سفرنا ناجزة عن يده، وكنا في ضيافته في داره التي في سفح الجبل وبات رفقاؤنا في الفندق.

وصباحاً ركبنا القطار من حيفا، فسار بنا في سهول فسيحة من صحراء سيناء جلها او كلها رمال قاحلة، ويوجد فيها قريات بقربها بعض النخيلات، وفي الغالب لا يوجد الا محطة القطار قد أغارت عليها الرمال، فطمرت بعضها، وهم يزيحونها عنها ثم تغير عليها بمساعدة الرياح العاصفة فهم معها دائما في حرب، وهذا الخط من حيفا الى مصر أنشأه الانكليز ابان الحرب العامة، فكان يمشي مع عساكرها كلما تقدمت، وعمل فيه العدد الكثير من اهل صعيد مصر وبرها بالقوة القاهرة مع الأجرة، فكانوا هم العامل الوحيد في انشائه.

واجرى الانكليز الماء في قساطل الحديد الضخمة، من النيل بجانب الخط لسقي الجنود، فهو يسير معهم كلما تقدموا، وقد وضعوا في مصر وحملة سيناء ما يقارب نصف مليون جندي، وجردوا العسكر الوطني المصري من السلاح، فلما انتهت الحرب رفعوا تلك القساطل وأبطلوها.

وقد شاهدناهم يشتغلون برفعها من تحت الرمال، في طريقنا الى مصر.

وما زلنا نسير في سهول قاحلة حتى وردنا:

القنطرة:

وهي قرية على ضفة (الترعة) من جهة سيناء، فبقينا فيها نحواً من ساعة للتأشير على جوازات السفر، وفحص الأمتعة من موظفي الجمرك، وكلهم مصريون بل لم نشاهد هناك موظفا غير مصري.

وشاهدنا في القنطرة من حسن النظام ما لا ينكر، وبذلك تمكن الموظفون من انجاز اعمال الركاب على كثرتهم في ساعة أو أقل.

فمنها: إنّ الحمالين يتسلمون امتعة الركاب كلها بالعدد بعد قراءة أرقامهم، ثم يسلمونها لهم في الجمرك بالعدد والأجرة عن كل قطعة صغيرة أو كبيرة قرشان مصريان صحيحان، فعلى الابريق قرشان، وعلى الطرد العظيم قرشان.

ومنها: إنّ لركاب كل درجة من القطار محلاً مخصوصاً في الجمرك ومفتشاً مخصوصاً.

والمصريون ممتازون بحسن الاخلاق وحسن معاملة الركاب، وكانوا لا يبالغون في تفتيش أمتعة الحجاج ويخاطبونهم بكل لين.

وكان معنا خيمة جديدة كبيرة فلم يأخذوا عليها شيئا.

وقال لي مفتش أمتعتنا: يا سيدي انت ذاهب الى الحجاز.

قلت: نعم.

قال: أما تضعني (في كيبك)؟

أي جيبك لانهم يقلبون الجيم كافا.

وقد كتبوا على قوس عال في القنطرة هذه العبارة: (خط حديدي حربي)، كتبوا في جملة مواضع بالحرف الكبير: (احذروا النشالين).

ثم عبرنا من القنطرة الى الجانب الاخرمن(الترعة) على جسر خشبي، أظن انه موضوع على السفن كجسورالعراق،فوقف أهل كل درجة في مكان خاص بهم.

ووجدنا القطار حاضراً، وقاطرات كل درجة أمام ركابها، فركبنا القطار الى مصر القاهرة فوصلناها نحو الساعة الثالثة ليلاً، وذهبنا الى دار بعض الأصدقاء الذي كان ينتظرنا في المحطة، فبقينا في القاهرة أياماً ذهبنا في اثنائها لزيارة مشهد الرأس الذي يقال انه رأس الحسين عليه السلام، وزيارة قبر السيدة زينب بنت يحيى بن زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام وذهبنا الى القناطر الخيرية (والانتيكة خانة) وحدائق الحيوانات، وذهب رفقاؤنا الى الأهرام ولم نذهب معهم لأنا رأيناها في السفرة الاولى وذهبنا الى:

الجامع الازهر:

وكان ذلك في أيام تعطيل الدروس العامة فوجدنا حلقة من الطلبة فيها نحو الأربعين شخصا جالسين أمام مدرسهم فجلسنا معهم، فوجدناهم قد فرغوا من الدرس، فنظروا الينا شزراً ونحن ورفاقنا بزي أهل الشام ـ والمصريون لا يألفون الشاميين كثيرا.

وظهر ان الشيخ كان قد ألقى عليهم في درسه خبر الحكمين، فطلبوا اليه اعادته ظنا منهم ان ذلك ربما يغيظنا فأظهر الامتناع قائلا ان ذلك ربما لا يروق لبعض الجالسين (يعنينا)، فالحوا عليه وكان أكثرهم الحاحاً تلميذ عليه ملامح النباهة، وحركة الفكر فابتدأ يلقي عليهم القصة من أولها الى آخرها، حتى أتى عليها بحذافيرها لم يغادر منها شيئا.

وكلما وصل الى شيء من خداع معاوية وعمرو بن العاص لأهل الشام تبسموا، ونظروا إلينا من طرف خفي، فلما وصل الى ذكر أبي موسى الأشعري قال ذلك التلميذ: تشرفنا بأبي موسى.

وكانت الدار التي نزلناها في زقاق المدارس تشرف على معبد لليهود، وبجانبه حديقة له فكان في الغالب يأتيه جماعة منهم لابسين اكسيتهم للعبادة فيشدون السيور على أيديهم ويزمزمون ويقرؤون.

تكايا الايرانيين في مصر واقامة عزاء الحسين عليه السلام:

للايرانيين في القاهرة تكيتان أحداهما للفرس والأخرى للترك، يقام فيهما عزاء سيد الشهداء في أيام عاشوراء، ويبذل الطعام الوافر كل ليلة، ويحضر من المصريين وغيرهم حتى الافرنج الجم الغفير، وفيهم من أهل العلم والفضل عدد كثير.

ومن المؤسف أنّ خطباء وقراء ذلك المحفل العظيم ليست فيهم الكفاءة لذلك المنصب الجليل، بل سلمت تلك الوظائف الى غير أهلها ولو توفرت فيهم

الأهلّية لاغتنموا أعظم فرصة للدعاية الى الدين الاسلامي، ومذهب ائـمة أهـل البيت الطاهر، ونشر فضائلهم التي اختصوا بها عن سائر الخلق، وأظـهروا للـملأ محاسن ذلك الدين القويم، ومذهب أئمة أهل البيت الطاهر، وكانوا مفخرا للشيعة، ولكنهم لعدم كفاءتهم قد أضاعوا تلك الفرصة الثمينة أعواما كثيرة، بل ربما كانت نتيجتها على العكس.

وقد وفق الله تعالى في هذه السنين الأخيرة لوجود شـخص مـن فـضلاء سادات آل المرتضى في دمشق، قد ألمّ ببعض طريقتنا التي نتوخاها منذ سنين، ونبذل المجهود لاحكامها في إقامة العزاء بتعليم القراء وتدريبهم وتأليف الكتب (كلواعج الاشجان)، والدر النضيد، والمجالس السـنية، واقـناع اللائـم وطـبعها ونشرها، فصار يذهب الى مصر في العاشوراء بطلب من أهلها، ويظهر بـقراءتـه محاسن اقامة العزاء على ذلك الطرز، وبذلك النحو وبان لهم ما فيه من الفـوائـد العظمى والمنافع الكبرى، نسأله تعالى التوفيق لدوام ذلك وتحسينه عـاماً فـعاماً وانتشاره في جميع بلاد الشيعة.

وعندنا ان من أهم الأمور إيجاد مدارس لقراء التعزية، يتعلمون فيها النحو والصرف بما يستطيعون به حفظ السنتهم من الغلط، وكيفية الرجوع الى كتب اللغة لضبط الألفاظ العربية والخطابة، ويتمرنون على إلقاء الكـلام فـي المـجتمعات، وعلى معرفة المقامات المناسبة لأنواع الكلام، يحفظون من الاحاديث والاخبار الصحيحة والقصائد الجيدة ما يمكنهم قراءته في المقام المناسب له، ويعرفون ما يجب تجنبه من الأحاديث المكذوبة، والتي لا يوافق قراءتها أو القصائد الركيكة، وبهذه الوسيلة تتخلص القراءة مما يعتورها من العيوب والمفاسد.

المدرسة الايرانية في مصر:

ولم يكن للشيعة في مصر مدرسة تخصهم، وأروقة الجامع الازهر ليس لهم منها نصيب.

نعم أنشأ الايرانيون مدرسة خاصة بهم لتعليم أبنائهم العلوم العصرية، قام بجميع نفقاتها المثري الكبير ميرزا محمد علي بك ابن المرحوم ميرزا فضل الله بك، ولكنها مع الأسف ليس لها صبغة دينية على ما بلغنا، وذلك لعدم وجود من به الكفاءة في مصر من علماء الدين الشيعة.

وفي مصر مجلة للايرانيين تصدر بالفارسية اسمها (چهره نما)، وغرفة تجارية ايرانية رئيسها ميرزا مهدي بك ملكي.

حديث مع شاب مصري:

ثم خرجنا من مصر قاصدين السويس فى القطار الحديدي، وبعد ركوبنا جاء شاب مصري موظف في ادرة السكة الحديدية فرأى في قبالنا مكاناً خالياً، فلم يشأ الركوب فيه حتى سأل هل هنا أحد مما دل على آداب المصريين فقلت له: لا.

فجلس وسألني قائلا: هل سيادتك من أهل سورية؟ قلت: نعم.

فقال: كم فى سورية من المذاهب الاسلامية؟

قلت له: بالطبع أنك لا تسأل عن أهل المذاهب الأربعة.

قال: أجل قلت يوجد سنيون وشيعة.

قال: وما هم الشيعة؟

قلت: فرقة من المسلمين يشهدون لله بالوحدانية ولنبيه محمد ﷺ بالرسالة، وان جميع ما جاء به عن الله حق، ويقيمون جميع فرائض الاسلام من الصلاة والصيام والحج والزكاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغيرها، ويحرمون جميع ما حرمه دين الاسلام من الزنا واللواط وشرب الخمر وقذف المحصنات والغيبة والنميمة والحسد والكذب والخيانة وغيرها. وانما يفترقون عن أهل السنة بأنهم يقولون: إنّ أهل البيت عليهم السلام أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ.

وهنا قال: (برضوا كدا)! أي: هو كذلك بلا ريب.

فقلت: ويأخذون أحكام دينهم غالباً عن إمام أهل البيت جعفر الصادق بن

محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وقد يأخذونها عن غيره من أئمة أهل البيت، كما يأخذ أهل السنة أحكام دينهم عن الأئمة الأربعة، وشذ ان يخالف المذهب الجعفري جميع المذاهب الأربعة بل إن خالف واحدا وافق الآخر غالبا كما إنّهم لا يكفّرون (لا يكتّفون) في الصلاة، ووافقهم فيه المالكية.

فقال: بلغني ان الشيعة في سورية يؤلهون سيدنا علي بن أبي طالب، ويقولون: إن النبوة كانت (عايزة) تنزل على علي بن أبي طالب، فخان جبرائيل وصرفها الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وانهم لا يغتسلون من الجنابة ولا يفعلون شيئا من أحكام الاسلام.

وسبب سؤالي لك عن هذا: إنّ رجلا من شيعة سورية تزوج قريبة لي في مصر، ثم ذهب الى سورية ولم يعد، فقال لي بعض الناس: زوجها بدون طلاق لان الشيعة ليسوا بمسلمين لأنهم يعتقدون ما ذكرت لك.

فقلت له: إن هذا افتراء محض على الشيعة، وان اعتقادهم لا يخرج عما ذكرت لك.

فقال: وهل يوجد مذاهب غير هذا في سورية.

قلت: نعم يوجد مذهب الدروز، ومذهب العلويين وينسب الى الاثنين أنهم يؤلهون الامام علي بن أبي طالب عليه السلام، وهم ينكرون ذلك.

فقال: انت قلت إنه لا يوجد في سورية من يؤلهه.

قلت: أنا لم أقل ذلك وإنما قلت ان الشيعة في سورية لا تؤلهه.

فشكرني على هذا البيان وزاد في تعظيمي واكرامي.

ولما وصلنا السويس حمل لي حقيبة كانت معي وأرشدني الى الطريق، لان اصحابي كانوا في درجة أخرى من القطار، ثم ودعني شاكراً لي ومضى.

فانظر الى ما يفعله الجهل والتعصب، وما يبثه المفسدون مما يفرق كلمة

المسلمين، ويحملهم على عداوة اخوانهم في الدين!!

ومما حصل لنا عند ركوب القطار من مصر، ان بعض اصحابنا الذي كان اشدنا حذراً واحتراساً، وكان يوصي أصحابه بذلك، سرق منه في محطة مصر جواز السفر وبعض النقود، مع انه قد كتب في كل مكان بالقلم العريض: (احذروا النشالين).

فذهب في السويس الى القنصل الفرنساوي وأخبره بالحال، فقال اما ان تأخذ جوازاً جديدا، وتدفع رسمه، وأما أن تدفع أجرة برقية الى دمشق ذهاب وايابٍ، فان جاء الجواب انك اخذت جوازا أعطك بدله مجاناً.

فراى إن انتظار الجواب قد يؤدي الى فوات الحج، فأقنعه الترجمان بارسال برقية الى المعتمد العربي لدولة الحجاز في مصر، فجاء الجواب بان جوازه مقيد عنده، فأعطاه القنصل جوازاً مجانياً وسافر معنا.

ما جرى لنا في السويس:

ثم ركبنا من السويس في باخرة ايطالية غاية في النظافة اسمها (مصوع)، باسم جزيرة كانت قديما تابعة للحجاز، ثم صارت للطليان، وأهلها مسلمون زنوج وأكثر عملة الباخرة منهم، وقد احسنوا معاملتنا وأعطونا ظهر العنبر (الأنبار) لقاء ثلاث ليرات عثمانية، لاننا لم نجد مكاناً في الدرجة الاولى ولا الثانية.

فكان مكاننا بسبب ذلك متسعا واسترحنا من مشقة حمل الأمتعة أو تعريضها للماء حال غسل الباخرة الذي يكون مرتين في النهار.

وهذه الباخرة تسافر في كل خمسة عشر يوما مرة من السويس الى جدة.

ولما أردنا ركوب الباخرة، دخلنا في مدخل الميناء، وهي بناية طويلة جدا ذات أمكنة وحجر عديدة، وهي غير المدخل الذي دخلنا منه في الحجة الاولى، لان ذلك كان بدون سقف وهذا مسقوف.

والموكلون بامر الركاب لا يدعونهم يمرون الّا جماعات: جماعة بعد

جماعة، الاولى فالاولى، دفعاً للازدحام، فاذا أرادت جماعة خرق النظام انهالوا عليهم بسياطهم فيرجعون القهقرى.

وكان الوقت قائظاً فتأذيت من طول الوقوف وشدة الحرّ واحتباس الهواء، فتقدمت الى الامام راجياً ان لا يعارضني الجلواز، فلما احس بي خلفه عاد نحوي مغضباً فلما وقع بصره علي أسرع الى تقبيل يدي، وقال: تفضل يا سيدي فحمدت الله على ذلك.

نذر الاحرام قبل الميقات والاحرام من المحاذاة:

وقد نذرنا الاحرام من السويس قبل سير الباخرة، تخلصاً من اشكال الاحرام عند المحاذاة، التي قلما يحصل الظن بها في البحر، فضلا عن اليقين، ومن اشكال تعيين المكان عند سير الباخرة.

فأحرمنا في السويس عاقدين الاحرام بالتلبية بقول: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك).

ثم جددنا الاحرام في كل مكان نحتمل فيه المحاذاة، كينبع ورابغ بتجديد النية والتلبية، ثم جددناه في جدة بناء على محاذاتها ليلملم، ثم في بحرة بناء على احتمال المحاذاة له فيها، حيث تحقق في هذا العصر ان محاذاة يلملم تكون في (جدة) بالجيم أو (حدة) بالحاء، التي هي في جهة بحرة، خلافا لما كان معروفاً من ان محاذاة يلملم لمن حج بحرا بطريق البصرة، تكون في قمران لان تلك وان كانت محاذاة، الا ان المطلوب محاذاة خاصة لا تتحقق الا في جدة أو حدة أو بحرة، وهي أن يكون الميقات على يمين أو يسار الحاج متوجها الى مكة.

والمحاذاة في قمران ليست كذلك، بل يكون يلملم مقابل وجهه، ولعله لذلك قال ابن ادريس في السرائر: أن ميقات اهل مصر ومن صعد البحر جدة.

أما من يحج بحراً عن طريق السويس، فهو يحاذي مسجد الشجرة أولاً إذا وصل الى حذاء ينبع أو قريبا منهاً، ويحاذي الجحفة عند رابغ أو قريباً منها ثم

يحاذي يلملم في جدة أو حدة أو بحرة على ما حققناه في كتابنا المناسك.

ولما كان من يمر بميقاتين أو أكثر يلزمه الاحرام من محاذاة أولهما، ويحرم عليه التأخير وأن صح أحرامه.

وعليه فمن يحج بحراً بطريق السويس، عليه أن يحرم من محاذاة الشجرة، لا من محاذاة الجحفة كما هو المتعارف بين العامة والخاصة، لتقدم محاذاة الشجرة على محاذاة الجحفة.

حرمة التظليل للرجل المحرم عند أئمة أهل البيت والامامين مالك وأحمد:

وكان احرامنا في حمارّة القيظ، وعندنا يحرم التظليل سائراً ويمكننا عدم التظليل، لكننا نخاف الضرر باستمرار ذلك، فرأينا أن الضرورة تقدّر بقدرها، فعلينا ان لا نستظل حتى يحصل خوف الضرر، وكان هذا خطأ من الرأي لان خوف الضرر يحصل من أول الأمر.

فبعد بقائنا خارج الظلال مدة قليلة تيقنا الضرر، وانه كان يلزمنا من أول الامر الإحرام تحت الظلال، فعدنا الى الظل.

وعاب علينا بعض المتفقهة الحلبيين ذلك، وقالوا: هذا تكلّف لما ليس بلازم، مع ان مالكا وأحمد قالا بحرمة التظليل على المحرم.

قال الشعراني في ميزانه: قال ابو حنيفة والشافعي: للمحرم ان يستظل بما لا يلمس رأسه على محمل وغيره، وقال مالك واحمد: ان ذلك لا يجوز له وعليه الفدية عندها.

ورأينا ونحن نسير في البحر الاحمر حيوانات من نوع واحد، تتبع الباخرة من ورائها وعن يمينها وشمالها وتظهر على وجه الماء بكثرة، لها أعناق طويلة وأجسام سوداء مدورة كبيرة فبقيت على ذلك مدة ثم خفيت.

ولما وصلنا مرفأ جدة، جاء النوتية من أهل السفن الصغيرة، ويسمون الواحد منها سنبكاً، فنقلوا أمتعتنا اليها وسارت بنا الى المرفأ.

وكانت الحكومة الهاشمية حددت لهم أجرة مخصوصة ومن تعداها يعاقب، وأعطيناهم زيادة عنها لم يجسروا ان يأخذوها، حتى توثقوا منا أن لا نخبر أحدا بذلك.

اما في الاياب فلم يبالوا بذلك لأمنهم من الشكوى عليهم.

وكذلك صاحب المنزل بجدة لما أردنا أن نعطيه الكراء قال: ان سيدنا رسم عن كل نفس قرشين، فأكرمناه بزيادة عنهما.

وفي الحجاز يحتبس الهواء في الصيف عند العشاء، حتى لا يستطاع التنفس.

وليلة دخولنا جدة احتبس الهواء ونحن نتعشى، فلم نستطع ان نسيغ بقية العشاء، لكنه في آخر الليل يبرد ويعذب حتى يحتاج النائم تحت السماء ان يتدثر بشيء رقيق.

ولم تأخذ الحكومة من الحجاج الا قرشاً وثلاثة أرباع القرش، مقابل طابع يوضع على جواز السفر.

ثم سرنا من جدة راكبين الحمير البيض ليلا مع جماعة من أصحابنا، وبقي الباقون مع الاثقال، فساروا راكبين الجمال ليلتين الى (مكة).

اما نحن فخرجنا قريب المغرب من جدة ووردنا مكة ضحى بعدما جلسنا في الطريق نحواً من ساعتين، تعشينا فيهما وصلينا، وكان الطريق بين مكة وجدة في غاية الأمن.

ولا تزال العربية في حاضرة الحجاز وباديته ثابتة في اكثر الفاظهم، ولما خرجنا من جدة صاح المكاري الرث الهيأة الاشعث الاغبر برجل قائلا: قل لفلان يفعل كذا بآية كذا أي (بعلامة) فذكرنا به قول الشاعر العربي:

الكني الى قومي السلام تحية

بآية ما كانوا ضعافا ولا عزلا

وأهل مكة ينادون يا حجاج بضم الحاء يا حاج، وكانت ربة المنزل بمكة تنادي أبنها يا عبد المجيد بفتح الدال.

وقلنا لصاحب المنزل: هل تكون أمتعتنا في أمن مدة غيابنا في عرفات ومنى؟

فقال: تؤدوننا تخلفة ونحن نحفظها لكم.

ودعا بعض الجمالة على رجل دعوة كانت بمنتهى الفصاحة والبلاغة واسفت جدا على نسياني لها.

وكان أطفال الاعراب الشعث الغبر، يعدون في الطريق امام الحجاج الى الوراء مستقبلين الحجاج، وهم ينثرون لهم بعض الدراهم وقطع الخبز، فليتقطونها من بين الرمل بكل خفة ولباقة، ولهم في عدوهم الى الوراء يهزجون وينشدون خفة ولباقة وهيأة متناسبة متناسقة، تستلفت الانظار ويقولون في دعائهم: (الله يردك الى أهلك مرد جميل)، وغير خفي ما فيه من البلاغة، فان الرد لا يكون كافيا الا مع السلامة، في الجسم والمال وغيرهما وهو المرد الجميل.

وترى الجمالة خائفين مع جمالهم في تلك الرمال المتوقدة نارا، وهم حفاة كأنهم يمشون على فرش ممهدة، وقد بدت سوقهم المفتولة الخفيفة العضلات كأنها من حديد.

وكان أصحاب المنازل في الطريق كبحرة، يطلبون الأجرة بكل رقة ولطف، عكس ما رأيناه منهم في الحجة الأولى كل ذلك من الحكم الصارم.

وجاءنا في مكة بعض من له علاقة بالملك حسين، طالباً أن يأخذ لنا موعداً لملاقاة الملك، فقلنا له: نحن أتينا لزيارة ملك الملوك في بيته، فلا نريد ان نخلط بها زياة ملك من عبيده.

وجئنا يوما الى المسجد الحرام لصلاة الصبح، وائتم بنا بعض أصحابنا، ودخل معنا في الصلاة مكيان، وفي الاثناء قال احدهما: (هذا عكمي) أي عجمي والمراد: شيعي وقطعا الصلاة وذهبا! فانظر الى أي حد بلغ التعصب بمن يرى جواز الصلاة خلف البر والفاجر.

ولما أردنا الاحرام للحج يوم التروية، وكان الأفضل الاحرام من المسجد من المقام أو حجر اسماعيل، جئنا الى المسجد وصلّينا ركعتين تحت الظلال، وأردنا الوصول الى المقام ولو كان شاقا لنحرم منه، طلبا للفضيلة ظنا منا انه يمكننا الوصول اليه ولو بالسرعة الزائدة، فلما خطونا بعض خطوات على تلك الأرض الملتهبة كادت اقدامنا تحترق، ورجعنا القهقرى بكل سرعة، وبقي الألم في أقدامنا أياما ولم يمكننا الوصول الى المقام.

ثم خرجنا الى (عرفات)، وكان الوقوف واحداً فيها لجميع الحجاج، فوقفنا بها يوم التاسع واشتغلنا بقراءة الأدعية المأثورة، والتضرع والزيارة.

ففرغنا من ذلك كله قبل غروب الشمس بمدة طويلة، لان الوقت كان صيفاً والنهار طويل، بخلاف الحجة الأولى التي لم نفرغ فيها من ذلك الا قريباً من الغروب لان الوقت كان شتاء.

ثم نفرنا بعد الغروب الى (المزدلفة)، فبتنا فيها ثم اتينا (منى)، فذبحنا وعدنا الى الخيام، فضللنا الطريق وبقينا نحواً من ساعة ندور بين الخيام حتى كدنا نهلك من الحر، والمظال على رؤوسنا.

ولم نتمكّن يوم العيد من الرجوع الى مكة لشدة الحر، وما نالنا من التعب فعدنا اليها في اليوم الحادي عشر وبعد أن طفنا طواف الحج، وسعينا عدنا الى منى وكان ذلك قريب للظهر.

واشتد علينا الحر والعطش فأوينا الى بعض المقاهي التي في الطريق، وشربنا الماء البارد والشاي واسترحنا، ثم تابعنا السير الى منى. وبعد قضاء

مناسك الحج فرضها وندبها، عدنا الى مكة المكرمة حامدين الله تعالى شاكرين له على توفيقنا لذلك.

ولم نتمكن من زيارة المدينة المنورة لخوف الطريق، حتى ان بعض من ذهبوا لزيارتها وصلوا قريبا منها، وشاهدوا القبة الشريفة، ولم يتمكنوا من دخولها، وصدتهم أعراب الاحمدي بعدما دفعوا من الخاوات في الطريق مبلغاً وافراً، استغرق جميع ما معهم من النقود فعادوا الى مكة.

وليلة عودنا من منى، أصابت بعض أصحابنا الحمى لاكلة اكلها (ورب أكلة منعت أكلات)، فوطنا أنفسنا عن التخلف عن الحاج لأجله، حيث ظننا أن تطول مدة برئه وكنا استصحبنا معنا صندوقا من الأدوية، وبعد أعطائه المسهلات والحقن، منّ الله تعالى بشفائه وسافرنا مع الحاج.

ولما كان استئجار الجمال بيد المطوفين، ولم يتمكن مطوفنا الركيك من استئجار جمال بقدر حاجتنا، لان الذي وجد غالبا أما زائد عن الحاجة أو ناقص، ويعسر على الجمالة تفريق جمالهم أرسلنا من يساعده على ذلك، فوجد جمّالاً معه بمقدار حاجتنا وزيادة جملين، فاستأجر الكل، وكان ذلك من التوفيق، لانه ظهر ان رفقاءنا في حاجة الى أحدهما وتحملنا نحن أجرة الآخر.

فخرجنا من مكة قبل الغروب بنحو من نصف ساعة، قاصدين جدة ولما وصلنا الى محل التفتيش على (الكواشين)، لم يكن مع جمالنا (كوشان) وكانت (الكواشين) مع المطوف، وبعد التفتيش عليه وجدت (كواشينه) غير منتظمة، وقد اخذ من الكواشين اقل مما دفع من الرسم، فاخذنا منه كوشانا يزيد عما معنا.

وجعل الجندي يعد الجمال فوجدها ناقصة، فقال له صاحبنا: أنت مسامح في الباقي، فوقف مبهوتاً وسرنا حتى وردنا (بحرة) ضحى، بقينا فيها الى العصر، ولم أذق فيها طعاما خوف العطش، واقتصرت على الشاي لان ماءها أجاج، وحرها شديد.

وكنا صحبنا شيئا قليلا من ماء مكة العذب خبأه لنا العكام، فسددنا به الرمق أما أصحابنا فأكلوا من طبيخ الارز حتى اكتفوا والطباخون هناك كثيرون، وهم ينادون على طعامهم باللسان الجاوي لكثرة وجود الحجاج الجاويين (يابار..ويافنس) أي يا حار يا جديد.

وأهل الحجاز يعرفون مقدار الحاجة من كل لسان يطرقهم أهله.

وعند العصر تهيأنا للسفر.

وكان من عناية الله تعالى بنا، أن رأينا أعرابيا أعمى يقوده طفل صغير، وقد حمل الاعمى قربة من الماء، وهو ينادي عليها (ماي حلو)، ولا يصدقه أحد في أن ماءها حلو لعدم وجوده في بحرة، فاشتريناها منه بقطعة واحدة لعلنا نحتاجها للوضوء وملأنا منها المطرات.

ولما كظنا العطش في الطريق رمنا الشرب منها على كره فإذا ماؤها حلو فشربنا وسقينا أصحابنا، وتوضأنا بباقيها لصلاة الصبح على أبواب جدة.

وكان منزلنا في جدة دارا فخمة واسعة، ليس لها نظير في جدة، تسمى دار البغدادي، كان دعانا الى النزول فيها مستأجرها صديقنا الحاج محمد الازري البغدادي.

والمياه في جدة ثلاثة: (أحدها): النابع وهو أجاج، (والثاني): ماء (السندانة)، وهي ماكينة باقية من عهد الأتراك نصفي ماء البحر بالتقطير، فيعود حلوا لكن له طعم خاص رديء، (والثالث): ماء الصهاريج متجمع من المطر وهذا حلو عذب شروب فكنا نشتري منه.

وفي الليلة التي أردنا السفر في صبيحتها من جدة، أصابتنا الحمى قريبا من نصف الليل، وعند الصباح تحاملنا وذهبنا الى الميناء، التي تبعد كثيرا عن منزلنا لعدم امكان تأخير السفر.

وكنا استأجرنا في باخرة تسمى (امزون)، وكانت ترفع العلم المصري، مما

دل على انها تابعة لشركة البواخر الخديوية، التي اشتراها الانكليز من الحكومة المصرية.

وهذه الباخرة من البواخر الكبيرة لكنها من اقذر ما خلقه الله في العالم حتى انها لم تغسل من جدة الى بيروت، مع ان الباخرة الطليانية (مصوع) كانت تغسل في اليوم مرتين كما مر، وما ذاك الا لان مستأجريها مسلمون بيروتيون، وركابها حجاج مسلمون سوريون، والحجاج في مثل تلك الحال لا يعاملون بأحسن مما تعامل به الحيوانات الصامتة بل بأخس.

ولما دخلنا في مدخل الميناء، وجدنا الناس محتشدة فيه، والوقت قائظ والهواء محجوب ونحن في الحمى، فكادت الروح أن تزهق.

ثم أمر الله بالفرج فأطلقت جنود الحكومة سراح الحجاج، بعدما كانوا محبوسين لاتمام رؤية الجوازات والتأشير عليها.

فركبنا السنبك (الزورق) الى الباخرة، ولا تسل عن الازدحام على الدرج، ووقوف السنبك المملوء من الماء تحت الباخرة مدة طويلة، حتى تأتي النوبة للخروج، وزاد الطين بلة نزول الماء من الباخرة على من في السنبك، ونحن في تلك الحال لا نستطيع الوقوف للمرض ولا الجلوس.

ثم صعدنا الى الباخرة ودخلنا الدرجة الاولى، التي دفعنا اجرتها ثلاث عشرة ليرة عثمانية طلبا للراحة، فوجدناها اشبه بسجن منها بدرجة اولى في باخرة، تتعادى فيها الجراذين يمينا وشمالا.

وبيت الخلاء فيها لا يمكن الوصول اليه الا في زورق لتجمع المياه في مدخله.

اما الغرفة التي عينت لنا لقاء المبلغ الذي دفعناه ففيها سريران، ولها كوة مستديرة لا يزيد قطرها عن شبر، وماذا تجذبه تلك الكوة من الهواء للراكب فما كانت إلّا كسجن تحت الارض، لانه ينزل اليها بدرج فاستلقينا على ذلك السرير ومقابلنا رجل حمصي، فلما رأى ما حل بنا من المرض، أخذ يسلينا ويذم

الباخرة، فلم نستطع البقاء هناك وجلسنا عند الباب.

وكنا كل يوم نصعد الى ظهر الباخرة عند رفقائنا الذين دفعوا ثلاث ليرات. وفي النهار ننزل فسحة الدرجة الاولى.

اما الغرفة فطلقناها تسعا لا رجعة فيها، كل هذا والحمى لم تفارقنا، وهيجان المرة الصفراء ملازم لنا وصلاتنا بالايماء مستلقين.

وكان معنا في الدرجة الاولى شخص افغاني، مقيم في باريس من عشرين سنة، يتجر بجلود الغنم، لم يغير شيئاً من ملابسه الأفغانية في باريس، وقد جاء للحج وزيارة قبور الانبياء عليهم السلام في بيت المقدس والمسجد الاقصى وأراد ان يكلمنا فتوقف لأنه لم يعلم اننا نحسن الفارسية فابتدأناه بالكلام بها فسرّ بذلك.

والافغانيون يتكلمون بالفارسية والتركية، وجعل لا يفارقنا في أغلب أوقاته ويتحدث معنا ونتحدث معه، فمما قاله لنا انه في سياحته الطويلة في البلاد لم ير أقبح من هذه الباخرة وانه ندم على الركوب في الدرجة الاولى لان غرفته أصبحت كالخان.

بقينا في تلك الباخرة خمسة أيام، والحمى تلازمنا، ولم نذق في خلالها شيئا سوى الماء البارد، الذي كان يأتينا به القيم، بعد ما وعدناه بالدراهم، وقد نمزجه بشراب التمر الهندي.

اما اللّحم والسمن والخبز وكل مطبوخ فكنا نتأذى من رائحته ورؤيته، بل من تصوره ولا نشتهي غير اللبن والفاكهة المعدومين.

وجاءنا بعض الاصحاب برمانة صغيرة متعفنة فكنا نلتقط الحبات السالمة منها ونمصها فنجد لها لذة عظيمة.

محجر الطور:

وبعد خمسة أيام وصلنا محجر (الطور) وكان دخولنا اليه سبب حياتنا فرأيناه في غاية الانتظام وحسن الترتيب.

(والطور): قرية صغيرة في فلاة من الارض، كلها رمال على ساحل البحر الاحمر، بين السويس وجدة قريبة من السويس، اهلها مسلمون ونصارى وماؤها من الآبار.

وقد بنت الحكومة ـ المصرية الاسم الانكليزية المعنى ـ قريبا منها محجراً واسعاً سنة ١٣٢١ هجرية وجعلته أقساماً، كل قسم على حدة بباب مستقل، فيه من الغرف المنارة بالكهرباء عدد كثير.

وفي جانب منه حمامات للاغتسال جلب اليها الماء من البحر بالأنابيب والآلات الرافعة، في سقف كل واحد رشاش[١] ذي ثقوب، متى فتح هطل الماء منه على الرأس كالمطر الغزير.

وجعلت بيوت الخلاء في قناة وأبوابها من خارج، وله خدم من الأعراب البسوا ثيابا صفراء دكناء، وبأيديهم المكانس والزنابيل، يطوفون دائما على الحجر وصحن الدار، وبيوت الخلاء والحمامات فاذا وجدوا قمامة أو غيرها ازالوها حالا.

قلت لاحدهم: أين أهلكم؟

فقال: أهلنا في الجبال.

وأشار الى جبال من جهة المشرق مفرطة في العلو والبعد.

ولكل قسم دار فسيحة مستطيلة تنار ليلا بمصباح كهربائي عظيم[٢] فيكون به ليلها كالنهار، ودكان فيها جميع ما يحتاجه الحجاج بأسعار محدودة، ومخزن الماء الذي يستخرج من الآبار يستسقي منه الحجاج ما يلزمهم ثم يقفل.

ولكل حجرة مصباح كهربائي، وللمحجر دائرة بريد وبرق، كل ذلك لأيام الموسم خاصة ثم يعطل جميع ذلك طول السنة.

---

(١) دوش الحمام.

(٢) كشاف ضوئي.

ولما أردنا الدخول الى المحجر، حضر الطبيب ولم يأذن لأحد بالدخول حتى قعدوا جميعاً، وجعل يشير الى واحد واحد فيقوم ويدخل حذرا من الازدحام.

فبقينا في محجر الطور ثلاثة أيام كان غذاؤنا فيها حليب (نستلة) مع الشاي لأنا لم نكن نستطيع أكل سواه بل ولا رؤيته أو شم رائحته.

ثم خرجنا من المحجر، وعدنا الى الباخرة حتى وصلنا (السويس) عند الغروب، وفي مينائها من الأنوار ما جعل الليل كالنهار.

ورأينا فيها باخرتين عظيمتين سافرتا بعد وصولنا ودخلتا الغردقة، وفي أعلى احداهما آله للتلغراف اللاسلكي، وقبل سفرهما لمعت فيهما أنوار الكهرباء، منعكسة على جسم كل منهما النقي الادكن المشابه للمرآة في صفائه، واهلهما فرحون مستبشرون يصفقون وأصواتهم تملأ الفضاء.

اما باخرتنا المحترمة (امزون) فضياؤها ضئيل وأوساخها وقذارتها كثيرة وأهلها باهتون صامتون قد علاهم الهم والكرب، لماذا؟ لانّ أهلها حجاج مسلمون شرقيون، ومستأجرها مسلم بيروتي يريد ان يرتزق مما يربحه منها.

أما تلك فأهلها غربيون وصاحبها غربي.

وبعد العشاء أقلعت بنا من السويس، ودخلت الترعة بعدما جعلت في مقدمتها مصباحاً عظيماً استأجرته من السويس، لانه لا يسمح للبواخر بالسير ليلاً في الترعة الا بذلك المصباح.

ويرى السائر في الترعة بر مصر، والقطارات الحديدية تنساب فيه وقد غرست على حافاتها الاشجار والحدائق.

وفي بعض الأماكن وضعت ليلاً مصابيح الكهرباء فيها قريباً من الساحل، كأنها علامة على عدم عمق الماء.

ثم وصلنا الى (بور سعيد) التي تنتهي عندها الترعة، ودخلنا في البحر

الابيض بحر الروم حتى وصلنا (بيروت) ضحى.

ودخلنا الحجر فبقينا فيه ثلاثة أيام كان آخرها يوم عاشوراء سنة ١٣٤٢، فقرأنا خبر مقتل الامام السبط الشهيد في المحجر في جمع غفير من المسلمين على اختلاف المذاهب، فيهم قاضي دير الزور ومفتيها، وبعض أهل طرابلس الشام، وغيرهم كما نقيم مراسم العزاء كل يوم.

وفي ليلة العاشر أقيمت أيضا المراسم بملأ من عامة الحجاج، فكان لما قرأه القارىء الذي يصحبنا الوقع الحسن عند الجميع، وأعجب بقراءته كل من سمعه، ذلك لانها على الطراز الذي نتوخاه، والنهج الذي انتهجناه مما يجب ان تكون عليه قراءة كل قارىء.

ثم خرجنا من بيروت قاصدين جبل عامل الوطن الاول، حامدين الله تعالى شاكرين له على توفيقنا لما وفقنا له، سائلين منه قبول الأعمال.

الرحلة العراقية الايرانية

خرجنا من الوطن جبل عامل بقصد زيارة قبور الائمة الطاهرين عليهم السلام في العراق، وزيارة قبر الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام في طوس، التي طالما كنا ندعو الله تعالى أن يوفقنا لها، وتصدنا عنها الموانع.

فلما اذن الله تعالى بذلك عقدنا العزيمة متوكلين عليه تعالى، وهيأنا لوازم السفر وأخذنا معنا ما كنا جمعناه من مسوّدات كتابنا (أعيان الشيعة) التي تبلغ نحو تسعة مجلدات كبار، وتملأ جعب كبيرة لاحتياجنا اليها في مثل هذا السفر، لنثبت فيها ما نجده في مكتبات العراق وايران، مما لم نره قبل.

وأعددنا صاحبا يصحبنا للمعاونة على ما تستدعيه الأسفار، وأتممنا جواز السفر لنا ولصاحبنا، ثم عرض ما لم يكن في الحسبان من تردد رفيقنا في السفر مرغما، لانه طلب لان يسافر الى افريقية لكسب المعاش، الذي هو في حاجة اليه فلم يقبل وبقي راغبا في السفر معنا، مفضلا الآخرة على الدنيا.

فألزمناه بالسفر الى افريقية حبا بمصلحته فسافر، وصحبنا أحد أبناء عمنا، وكان ذلك من حسن صنيع الله تعالى الينا، فانه ظهر ان لو بقينا على العزم الاول، لكان في سفرنا ذلك الوقت مفسدة فخرجنا من جبل عامل في ١٣ شعبان المعظم عام ١٣٥٢ هـ ـ ١٩٣٣ م من شقراء الى تبنين.

ومنها سافرنا في السيارة مرددين بسم الله مجراها ومرساها تالين قوله تعالى: ﴿**ولما توجه تلقاء مدين ...**﴾ الآيات، فوردنا مساءً الى بيروت، وأتممنا معاملة جواز السفر واستأنفنا السير الى دمشق وذلك في آخر خريف سنة ١٩٣٣م.

ثم خرجنا من دمشق غرة رمضان المبارك الساعة الرابعة ونصف[1] نهاراً في السيارة فمررنا بالقصير ثم بعذراء القرية التي جعل فيها حجر بن عدي الكندي واصحابه.

وكانت تسير بنا تارة نحو الشمال وأخرى نحو الشرق وثالثة نحو الجنوب، حتى وصلنا الى مكان اسمه (ابو الشامات)، وهو مكان فيه بئر ماء حلو عذب.

وعندها آثار بناء قديم بحجارة كبيرة منحوتة وفي غربيها ربوة صغيرة وهي في سفحها.

وقد بني فيها مخفر ومحل للجمرك وتفتيش الجوازات.

وبعد أن أخذوا جوازاتنا ونظروا فيها وكتبوا عليها أعادوها الينا، واستأنفنا السير الى جهة الشرق في تلك الصحراء المترامية الأطراف، التي لا يدرك الطرف مداها ولا يبلغ منتهاها، كما قال ابن الرومي:

بديمومة لا ظل في صحصحانها
ولا ماءلكن قدرها الدهر عوم
ترى الآل فيها يلطم الآل مائجاً
وبارحها المسموم للوجه ألطم

وهي صحراء منبسطة ليس فيها جبال، وجل أرضها رمال قاحلة، وكان مرورنا فيها آخر الخريف وأول الشتاء، وقد تأخر نزول المطر فلم نر فيها نباتا ولا طيرا ولا حيوانا، الا في مكان واحد رأينا فيه بعض الطيور، ومكان آخر رأينا فيه بعض الأباعر، وجلها موحش مقفر وتوجد فيها الظباء السوانح والبوارح لشدة صبرها عن الماء.

وهي اذا رأت السيارة أو سمعت صوتها اسرعت في عدوها تنهب القفار، ووقفت بعيدا حيث تأمن الوصول اليها، ورفعت رؤوسها تنظر الى المسافرين

---

(١) يلاحظ ان المؤلف حين يذكر الساعة انما يقصد بها الساعة الغروبية لا الزوالية.

وسياراتهم.

وكان سائقو السيارات قبل هذا يلحقونها بسياراتهم ويصيدونها، ويأتون بها معلقة على مقدمة السيارة، لانها لا تستطيع ان تعدو بسرعة السيارة، فمنعتهم الحكومة من ذلك.

وقد جعل في هذه الصحراء شبه السكة وحجرت من طرفيها وأصبحت ظاهرة لكثرة مرور السيارات عليها لا يضل سالكها.

وقد وضع في القسم السوري منها لوحات على أعمدة الأعداد المتسلسة، ومثلها في القسم العراقي من دمشق الى بغداد.

وما زالت السيارة تنهب بنا الفضاء في سيرها المستقيم نحو الشرق حتى وصلنا الى مكان يدعى:

السبع بيار:

وهو منهل فيه سبع آبار، كان يردها الأعراب ويعرفونها، وهناك مخفر فيه بعض الجند، مبني على ربوة صغيرة، وبعض سقوفه (قرميد).

والآبار ممتدة في فسيح من الأرض، وحولها بعض بيوت الاعراب، فخرج السائقان عليها لان معهم خبزاً للجند، أرسل من دمشق فاعطوهم اياه.

وتابعنا السير ثم وقفنا قليلاً وصلينا الظهر والعصر، وسائق سيارتنا كان متديناً فصلّى ايضاً، وكان صائما ثم تابعنا السير فوصلنا.

الرطبة:

بوزن غرفة نحو الثانية ليلاً، وهي في ارض العراق، وتبتدىء الحدود العراقيه قبلها بكثير.

وهي بئر ماؤها عذب، ولا يوجد في الصحراء ماء في غير هذه الاماكن الثلاثة، أبو الشامات والسبع بيار، والرطبة على ما أخبرنا رفيقنا العقيلي.

وقد بني بعد احتلال الانكليز للعراق فى الرطبة بيوت محاطة بسور له باب كبير، يقف عليه جندي من الأعراب ببزته العربية بيده البندقية.

وفيها مطعم لا يوجد احسن منه فى بغداد، يأكل منه ركاب سيارات شركة نرن ومن أراد، وأنير بالكهرباء.

وفى أعلى الحصن مصباح على عمود عال، يراه المسافرون من مكان بعيد، ويهدى به الضال عن الطريق.

وغرست خارج الحصن أشجار وبنيت مقاه، فيها اناس من تدمر ومن الرمادي وغيرهما، فأتينا احدها، وصلينا فيه العشائين وشربنا الشاي، الذي غلي على نار الحطب.

اما فى رجوعنا فشربنا شايا صنع صنعا جيدا بأوان نظيفة، وكان ثمن الفنجان عشرة فلوس، ولما قلنا لساقيه: انه غال:

قال بلسان عربي فصيح: يا مولاي اننا فى الصحراء.

فقلنا له: صدقت.

وبعد أن بقينا فى الرطبة نحو ساعيتن، تابعنا السير، وصادف ان رفيقنا العقيلي تأخر وظنه السائق قد ركب، فقال الاخرون: أين رفيقنا؟ فقال: أمامنا وهو يظن أنهم يسألونه عن السائق الاخر وهم يحسبون انه مشى أمامنا.

فلما تجاوز قليلا قالوا له اين رفيقنا العقيلي فنظر فلم يره فكرّ راجعا فاذا بجند السيارة المصفحة يريدون ان يتبعونا لايقافنا لما أخبرهم رفيقنا بذلك.

وأوردنا هذا لبيان ما هو مبذول فى حفظ الامن.

ثم تابعنا السير فما كان غير بعيد حتى هبت العواصف، وثار غبار كثير سد الافق، فلم يعبأ به السائق وتابع سيره، فاشتد الغبار ومنعه من رؤية الطريق، فوقف برهة، ثم سار يخترق ذلك الغبار حتى مر بمكان يسمى (المحمديات).

والعواصف فى تلك الصحارى لا تكاد تنقطع وبعد أن مضى أكثر الليل وقفنا ونمنا قليلا فى ذلك البر الاقفر ثم تابعنا السير فوصلنا:

الرمادي:

عند طلوع الفجر وهي أول مدن العراق للقادم من سوريا، وهي على الفرات.

وكانت قبل الحرب العامة قائمقامية تدعى قضاء (الدليم)، وجعلت بعد الحرب العامة لواء (متصرفية) ودخلنا الكمرك فصلينا فيه صلاة الصبح، ثم سرنا قاصدين بغداد فمررنا ببلدة:

الفلوجة:

وهي قريبة من (الانبار)، التي هي اليوم خراب، وهي على الفرات.

وكان عند الفلوجة جسر على السفن كسائر الجسور في العراق، فأبدل بعد دخول الانكليز بجسر من الحديد ثابت محكم عملته الحكومة العراقية.

ثم تابعنا السير فمررنا بجسور قرب بغداد كلها من الحديد ثابتة، ولاحت لنا قبتا الامامين الكاظم والجواد عليهما السلام، وقد زادهما وهج الشمس الطالعة عليهما تلالؤاً وبهجةً وضياءً، فتحدرت منا العبرات وحمدناه تعالى على ما من به من سلامة الوصول الى تلك الاماكن المباركة.

في بغداد:

ودخلنا جمرك بغداد الساعة الرابعة والنصف صباحا، فى الوقت الذي خرجنا فيه من دمشق، فكان لبثنا في الطريق ٢٤ ساعة، والسير فيها في نحو ١٩ ساعة.

وكانت هذه المسافة تقطع فى شهر والسير فيها فى نحو ٢٥ يوما فكأننا رأينا حلماً، فسبحان من اودع عجائب قدرته فى مخلوقاته، وهداهم بما اعطاهم من

العقول الى غرائب الامور.

وكان في العزم ان نصوم شهر رمضان المبارك في النجف الاشرف، فنسافر من بغداد في اليوم الثاني، فلما زارنا الفاضل الشيخ محمد السماوي قاضي بغداد، وسألناه عن كتابه (الطليعة في شعراء الشيعة)، وطلبنا منه أعطاءه لنا لننقل منه في كتابنا (أعيان الشيعة) فأجاب، عزمنا على البقاء واخذنا الجزء الاول منه، وشرعنا في مطالعته والنسخ منه مع توارد الزائرين الينا.

فمن كان من غير اهل العلم اعتذرنا منه بعد السلام، وشرعنا في عملنا فيلتزم ان لا يطيل الجلوس، ومن كان من اهل العلم التمسنا منه ان يساعدنا في الكتابة.

في الكاظمية:

وفي اليوم الثاني توجهنا الى بلد الكاظمين عليهما السلام، وتشرفنا بزيارتهما.

وبين الكاظمية وبغداد خط حديدي تسير عليه عربات على الخيل، في كل ساعة مرة يسميه أهل العراق «الگاري» بالكاف الفارسية، أنشأته شركة اهلية في زمن العثمانيين، وكان موجوداً ايام وجودنا بالنجف لطلب العلم سنة ١٣٠٨ هـ ولا نعلم مبدأ إيجاده.

ومن الطريف ما اتفق معنا، اننا لما وصلنا الى باب الصحن الشريف، جاء احد أصحاب النوبة من الخدمة ومشى أمامنا الى باب الحضرة الشريفة، واراد أن يقرأ لنا الاستئذان ثم الزيارة حسب العادة المتبعة ليكرم بشيء من الدراهم، فطلبنا اليه ان يسكت لنقرأ نحن في كتابنا (مفتاح الجنات) الذي كان معنا، ولا ينقص ذلك شيئا من اكرامنا له.

فقال: هذا لا يمكن لو جاء السيد محسن الأمين من جبل عامل لابد ان أستأذن له أنا. فقلنا له: هب انه لو جاء لابد أن تستأذن له، ولكن نحن نلتمسك ان تدعنا نقرأ في كتابنا لأنا نحب ذلك، وانت كن معنا الى نهاية الزيارة، ونكرمك بما

يتيسر فأصر وشرع في قراءة الاستئذان، فقال له بعض من معنا: هذا هو السيد محسن الامين، فحينئذ سكت وبقي معنا الى نهاية العمل، وأخذ ما قسمه الله له بعد أن امتنع من أن يأخذ شيئاً.

وبعدما صلينا الظهرين في الحضرة الشريفة، وقضينا وطرنا من الزيارة والدعاء واسترحنا قليلا في بعض حجرات الصحن الشريف، عدنا الى بغداد وواصلنا الليل بالنهار والعشي بالابكار في الكتابة والاستنساخ، فكنا نصلي العشائين نجمع بينهما ثم نفطر ونشتغل بالنسخ ولا نقرأ وردا ولا دعاءً ولا نتلو قرآناً غير دعاء صغير كنا واظبنا على قراءته في أعقاب الصلوات في شهر رمضان من زمان طويل وهو «اللهم ادخل على أهل القبور السرور»، وهو مشتمل على مضامين عالية تشهد بصحة نسبته.

ونبقى ساهرين مشتغلين بالنسخ الى نحو الساعة السادسة ليلاً أو بعدها، ثم ننام الى ان نوقظ للسحور فنتسحر، ونشتغل بالنسخ حتى يطلع الفجر، فنصلي صلاة الصبح وننام الى نحو الساعة الثالثة صباحاً، ثم نشتغل بالنسخ الى ما بعد الظهر فنصلي الظهرين ونشتغل بالنسخ الى الغروب.

وبقينا على هذه الوتيرة نحو ثلاثة عشر يوماً، حتى أتممنا اكثر ما في الجزئين مطالعة ونقلنا ما نحتاج إلى نقله، وربما كنا نوعز الى اهل الدار بان لا يدعوا احداً يدخل علينا خوفاً من أن يشغلنا عن عملنا.

ثم خرجنا من الكاظمية قاصدين كربلا فركبنا القطار الحديدي، الذي يجر وراءه عربات كثيرة لا يدرك الطرف أقصاها لسهولة الارض واعتدالها.

المسيب:

مررنا بالمسيب ولا ندري لماذا سميت بذك، والمسيب من أسماء الأعلام العربية، وهي بلد على الفرات تبعد عن كربلاء نحو ثلاثة فراسخ.

مشهد عون:

وقريب منها مشهد ينسب لعون بن عبد الله بن جعفر أحد شهداء كربلاء.

وعون استشهد بكربلاء ولا ندري ما الذي جاء به الى هناك ولا مبلغ صحة نسبة هذا المشهد اليه.

السدة[1]:

والقطار الحديدي يمر على جسر مبني على سدة هناك عملت على الفرات، ولها أبواب من الحديد تنزل وترفع عند الحاجة بآلات، وذلك أن نهر الفرات كان يقسم الى نهرين من عند بلدة المسيب أحدهما يسمى نهر الهندية والآخر نهر الحلة.

وكان نهر الهندية اولاً جدولاً صغيرا أمر بحفره يحيى خان النيسابوري الهندي وزير محمد شاه أحد ملوك الهند، ثم عظم وصار نهرا كبيرا، وعرف بنهر الهندية لان الآمر بحفره هندي، ويدور على ألسنة أهل النجف ان الآمرة بحفره امرأة هندية، فلذلك سمي نهر الهندية، لكن الظاهر ان الصواب في تسمية نهر الهندية هو ما ذكرناه.

وكان الغرض من حفره إيصال الماء لبلدة النجف، التي كان ماء الفرات بعيداً عنها.

وكان من يريد الاتيان به الى النجف، يحتاج ان يذهب الى قرب الكفل نحو اربع ساعات، فكان الأغنياء يجلبونه من هناك بالروايا، وسائر الناس يشربون من آبار مالحة في النجف حفرت ايام البويهيين.

فلما لم يمكن ايصال ذلك النهر الى النجف لعلو الارض أخذ منه جدول، فجيء به الى الكوفة، وهو نهر الكوفة الموجود اليوم.

---

(١) تعرف بالسدة الهندية.

وصار اهل النجف يجلبون ماء شربهم من الكوفة ومن لا يستطيع بقي على شرب ماء الابار.

هذا الذي سمعناه من شيوخ النجف الذين عاصرناهم، وفي بعض المؤلفات الحديثة انه شق من عرض نهر الهندية جدول، وأجري الماء منه في قناة الى منخفض النجف، ثم سولت لبعض الزعماء نفسه أن يسد هذه القناة خوفا من طمع الحكام في الاستيلاء على البلد، فسدها والله أعلم.

وكان تاج الدين الدلقندي قد حفر بأمر عطا ملك بن محمد الجويني نهراً أوصله الى الكوفة، ولا يزال بجانب هذا النهر أرض تسمى التاجية منسوبة اليه، فلا يدري ان كان نهر الكوفة الموجود اليوم باقياً من ذلك العهد أو درس، ثم اعيد لما حفر نهر الهندية ـ والله اعلم.

وما زال نهر الهندية يعظم حتى صار يقدر النهر الذاهب الى الحلة، ثم ما زال يعظم حتى زاد عليه، ثم ما زال يعظم حتى صار نهر الحلة ينقطع عند نقصان الماء، ويجري في أيام الزيادة فقط، وذلك لتراكم الرمال والاتربة في النهر المانع من جري الماء، ثم انقطع بالكلية لزيادة تراكم الاتربة والرمال فيه، لان الارض هناك ليس فيها صخور ولا أحجار.

فإذا قوي جري الماء اتسع مجرى النهر كثيرا على ممر الايام، حتى يتحول من مكان الى آخر، فخربت بسبب ذلك المزارع التي على نهر الحلة لانقطاع الماء، وجلا عنها أكثر أهلها، وصار من بقي منهم يكتفي بزرع بعض الشعير، بعدما كانوا يزرعون الكميات الوافية من الأرز.

وكان دخل الحكومة السنوي من تلك المقاطعة نحو ثلاثة آلاف ليرة عثمانية ذهبا، فأراد العثمانيون أن يبنوا هناك سدا من الحجارة يمنع من تحول النهر كله الى نهر الهندية، فأحضروا الحجارة الضخمة من بلدة (الحديثة) في السفن، وجعلوا يلقونها في النهر وركزوا فيه العمد الطوال من الخشب الذي يجعل

صواري للمراكب الكبيرة، وجعلوا يدقونها بالآلات الثقيلة حتى تغوص في الطين، ويأتون بالسفينة مملوءة من الحجارة، فيغرقونها بين تلك الاخشاب لتمنعها من أن يأخذها الماء، حتى ملؤا النهر بذلك الذي القوه فيه.

وبنوا فوقه سدة جعلوا لها أبواباً يسرب منها الماء الى نهر الحلة فلم تثبت تلك السدة إلّا مدة حتى نسفها الماء، ثم اعادوها وأصلحوها مرارا فلم تثبت.

فاستدعوا لعملها مهندسا انكليزيا هو مهندس الري في مصر، فظل يدرس أمرها ثلاث سنوات، يجيء من مصر الى العراق ومن العراق الى مصر، حتى ظنت به الظنون.

والحقيقة انه كان يشتغل بالتفكير ودرس الأمر من جميع نواحيه، فاهتدى الى طريقة واضحة غامضة نافعة، ثم شرع في العمل فحفر في اليابسة وبنى ما أراد من قناطر وأبواب وهو آمن من سطوة الماء على ما بناه.

وبالغ في احكام الاساس والبناء مع انه بالآجر، ثم حول النهر الى المكان الذي حفره فاستقام، وانقطع الماء عن المكان الذي كان قد سده العثمانيون، حتى ظهرت الحجارة.

وكان ذلك في آخر عهد العثمانيين ومرت عليها السكة الحديدية كما رأيناها أول مرة، ثم حدث فيها خلل بسبب ثقل القطارات فامتنع مرور القطارات عليها، وجعل الركاب ينزلون عند أول السدة، وينقلون أمتعتهم الى آخرها، فيركبون في قطار آخر أعد لهم هناك كما رأيناها ثاني مرة.

في كربلاء:

وكربلاء مدينة كبيرة كانت متصرفية في عهد الاتراك، وبقيت كذلك بعد الاحتلال الانكليزي، وسقيها من نهر مشتق من الفرات يسمى الحسينية.

وكانت الحسينية تزيد في أيام زيادة الفرات، فتتلف الزروع والبساتين، وربما فاض ماؤها على دور البلدة، فأوقع فيها الضرر، وتجف في أيام نقصان

الفرات، حتى يضطر أهل كربلاء لحفر آبار في الحسينية يستقون منها، مع أن ماءها غير عذب.

فلما عملت السدة استقام جري الماء في الحسينية، ففي أيام الزيادة تنزل أبواب الحديد على منافذ الحسينية الا قليلا فيجيء الماء بالقدر اللازم، وفي أيام النقصان تنزل الابواب على منافذ النهر فيرتفع الماء، ويجري في نهر الحسينية حسب اللزوم.

(وكربلاء) آخذة في العمران كثيرة البساتين والنخيل وأهلها جميعا يتكلمون الفارسية عربهم وعجمهم.

وبعدما زرنا ضريح الامام الحسين الشهيد سيد الشهداء عليه السلام، وضريح مولانا أخيه أبي الفضل العباس، وسائر الشهداء عليه وعليهم السلام، زرنا ضريح الحر الشهيد الرياحي، فذهبنا اليه في العربة وهو يصعد عن كربلا فرسخاً واحدا، وبجواره أبواب فقراء يتبع صبيانهم الزوار فيلقون اليهم الفلوس فيلتقطونها من الرمل.

ومضينا بعد ايام من كربلاء في السيارة قاصدين النجف الاشرف فوصلنا:

خان الحماد:

وهو منتصف الطريق بين كربلاء والنجف، كانت تنزله قوافل الزوار، التي تقطع المسافة بين البلدين في مرحلتين.

والمسافة ١٨ ساعة، وكانت القوافل تمر في طريق أعلى منه وتنزل خانا يسمى (خان أبو فشيقه)، ثم بنى المحسن الشهير والتاجر الكبير الحاج محمد صالح كبه البغدادي خانا لنزول الزوار، تقربا الى الله تعالى سمي خان الحماد.

وهجر الطريق السابق وخانه، ثم بنى الشيخ مرتضى الانصاري أحد عظماء فقهاء الشيعة المشهورين المتوفى (١٢٨١) خانا بجانب ذلك الخان، ويحيط بالجميع سور واحد، ويدعى الكل بخان الحماد.

(والحماد) هي البرية القاحلة، وبعد استعمال السيارات صار الخان المذكور مخفرا ومقهى قد تمر به السيارات وقد لا تمر.

وبعدما استرحنا قليلا تابعنا السير متجهين الى:

النجف الاشرف:

وعلى نحو من مسافة ثلاثة فراسخ، لاحت لنا القبة الشريفة العلوية كالجبل الشاهق في الجو، تتلألأ على ذهبها الابريز الناصع أشعة الشمس، وتملأ العيون والقلوب بالابهة والجلال والخشوع.

ففاضت العين دمعاً لفرط السرور والفرح، ويا لها نعمة عظمى هي مشاهدة تلك الأنوار الشريفة بعد أربعة وثلاثين عاماً، فانشأت أقول من قصيدة:

الى الجانب الغربي من أرض بابل
حنيني واشواقي وفرط بلابلي
ولي نحو كوفان تباريح وامق
وبالنجف الاعلى لبانات آمل
توطنته دهراً وغصن شبيبتي
بنيل الأماني ناضر غير ذابل
وفارقتها كرهاً ثلاثين حجة
ونيفا فردتني اليها وسائلي

وفيها أقول:

فما هي الا ساعة إذ بدت لنا
يلوح سناها قبة المرتضى علي
تلوح كطود شامخ في ارتفاعه
وتبدو كبدر لاح في الأفق كامل

ولما بدت للعين عـن بـعد غـاية

أهلت بدمع كالسحائب هاطل[1]

وبوصولنا الى النجف قصدنا الحرم العلوي المطهر، ثم خرجنا الى دار حجة الاسلام السيد ابو الحسن الاصفهاني، فتعشينا على مائدته المباركة.

ولا بأس بذكر شيء من أحوال هذا السيد الجليل:

السيد أبو الحسن الاصفهاني:

ولادته في سنة ولادتنا سنة ١٢٨٤، وجاء الى النجف في السنة التي جئنا فيها الى النجف سنة ١٣٠٨، وقرأ على الشيخ ملا كاظم الخراساني كما قرأنا عليه، وهو يشبهنا في الهيئة، بحيث كان كثير من الايرانيين والنجفيين والعثمانيين حينما يروننا يحسبون اننا السيد ابو الحسن!

وانتهت الرياسة العلمية والدينية في العراق اليه والى حجة الاسلام الميرزا حسين النائيني.

ومن آثاره في العراق بذل الخبز في النجف مجانا لطلبة العلم الغرباء جميعا، ولجملة من طلبة أهل النجف، وارساله جماعة من اهل العلم الى البلدان التي ليس فيها علماء في العراق، وأطراف ايران المجاورة للـعراق كـخانقين والمـحمودية والدجيل وقصر شيرين والبصرة والعمارة وسوق الشيوخ وكـركوك والفـيصلية، وغيرها من بلدان العراق الكثيرة، التي يعسر علينا احصاؤها، وقـيامه بـنفقاتهم

---

(١) كتب الاستاذ جعفر الخليلي في مجلة الهاتف وهو يتحدث عـن المـؤلف: «فـتحرك مـن دمشق وتحركت الجماهير لاستقباله، ودعا السيد ابو الحسن الى تبجيله وتكريمه فتضاعف الغرض، واذا به استقبال لم تشهد النجف نظيرا له اشترك فيه العـلماء والفـضلاء والتـجار ومختلف الاصناف».

الى آخر ما قال الاستاذ الخليلي. وهكذا كان المؤلف في وصوله الى كل مدينة وصل اليها في العراق وايران، ولكن تواضعه يأبى عليه الاشارة الى شيء من ذلك...

وايصاؤه إياهم ان لا يأخذوا من احد شيئاً، وتفقده الطلبة واهل الفقه من البيوتات العلمية وانفاقه عليهم.

الميرزا حسين النائيني:

وكان أول من زارنا في الدار التي نزلناها (بعد انتقالنا من دار السيد الاصفهاني) الميرزا حسين النائيني، وله مع السيد أبي الحسن الاصفهاني ـ المار ذكره ـ الرياسة الدينية في العراق من التقليد والتدريس وسواهما.

والنائيني طاعن في السن قد أصابه الصمم لا يسمع، الا ان يضع المتكلم فمه في اذنه، ويرفع صوته، له مؤلف في الاصول مطبوع وله معرفة تامة بالادب الفارسي، وله كتاب في تحسين السلطنة المشروطة، وذم المستبدة لكن سمعت انه جمع نسخه أخيراً وأتلفها.

وهو يكثر من شرب الشاي والتدخين، وقد سأله عاملي ونحن في مجلس عن الحضانة هل فيها خلاف؟ فقال لرجل امامه بالفارسية (ببن[1] خلاف دارد يا نه) أي أنظر فيها خلاف أم لا.

ففتح كتاب الجواهر وطالع المسألة، وقال له: نعم فيها خلاف.

ورأيناه مع انه قد قارب التسعين صحيح البصر يقرأ ويكتب بدون منظرة.

وقال لنا في حديثه: انا اعرفكم لما كنتم في النجف، وكنتم تسكنون في هذه المحلة (يعني محلة العمارة) وقد صار لسفركم من النجف ما يزيد على ثلاثين سنة.

فقلنا له: نعم كما اننا نحن نعرفه من ذلك الوقت.

وقال لنا ايضا: ان رسالتكم قد وصلتني، وصرت ممتنا منها كثيرا (يشير الى رسالة معلومة بيننا)، ثم زارنا مراراً ورددنا له الزيارة.

---

(١) الصحيح: ببين أي أنظر.

مدينة النجف:

النجف بظهر الكوفة كالمسناة تمنع مسيل الماء ان يعلو الكوفة ومقابرها وبالقرب من هذا الموضع قبر امير المؤمنين علي بن أبي طالب[1].

والنجف هي مدفن مولانا امير المؤمنين علي عليه السلام، عمرت بعد ظهور قبره فيها، وسنذكر سبب خفائه وظهوره عند الكلام على الحضرة الشريفة.

وهي مبنية على مرتفع من الأرض، وارتفاعها ظاهر من جهتي الغرب والشمال، ولا يظهر من جهة الشرق لانه تدريجي، اما من جهة الجنوب فلا يظهر فيها ارتفاع ايضا، اما لانه لا ارتفاع فيها او لانه تدريجي.

سور النجف:

وعليها سور عظيم عال محكم مبني بالجص والآجر، بناه أحد وزراء ايران، وهو الحاج محمد حسين خان العلاف الاصفهاني وزير السلطان فتحعلي شاه القاجاري.

ابتدأ ببنائه سنة ١٢١٧ هـ وانتهى سنة ١٢٢٦ هـ وغرم عليه أموالاً عظيمة، وكان قبله على النجف اسوار لم تكن في سعته وعلوه واحكامه.

وللسور ثلاثة أبواب شرقي غربي، وجنوبي غربي، وكان بناؤه من الغارات.

وقد كان الابتداء به بعد غزو الوهابيين العراق، فانهم غزوا كربلاء وقتلوا أهلها ونهبوها سنة ١٢١٦، والابتداء ببناء السور الحالي كان سنة ١٢١٧ كما سمعت.

وفي اوائل سنة ١٢٢١ غزوا النجف، وكان السور الحالي لم يتم بناؤه، لكن يظهر انه كان سور غيره أضيق منه وأقصر، فكان السبب في وقايتها بهمة علمائها

---

(١) معجم البلدان.

وشجاعة أهلها، يدل على ذلك قول صاحب مفتاح الكرامة في آخر بعض مجلداته انه في ليلة ٩ صفر سنة ١٢٢١ هجم الوهابية على النجف، حتى ان بعضهم صعد السور فردهم الله تعالى.

وهو صريح في وجود سور في ذلك الوقت مع ان السور الحالي لم يكن قد تم. وقال أيضاً:

في سنة ١٢٢٣ هاجم سعود الوهابي النجف الاشرف بعشرين الف مقاتل، وكانت النذر قد جاءت أهلها فخرجوا جميعا الى السور، ومعهم العلماء، فأتاهم ليلا فوجدهم على حذر قد أحاطوا بالسور بالبنادق والاطواب، فثبتوا له خلف السور وقتل منهم وقتلوا منه ورجع خائبا.

وهو أيضاً صريح بوجود السور مع ان السور الحالي لم يكن قد تم، وقال انه في سنة ١٢٢٥ أحاطت الاعراب القائلين بمقالة الوهابي بالنجف وكربلاء، وكانت النجف كأنها في حصار.

قال: وفي سنة ١٢٢٦ جاء عسكر الوهابيين الى النجف، وكان أهل النجف كالمحاصرين، فدل ذلك على ان الاشتغال ببناء السور الحالي كان في مدة غزو الوهابيين كربلاء والنجف.

محال النجف:

محال النجف القديمة أربع: العمارة والحويش وأهلهما من (الزكرت)، والمشراق والبراق وأهلهما من (الشمرت) وحدثت فيها محال بعد الاحتلال خارج السور.

عدد سكان النجف:

يبلغ عدد سكانها الأصليين ما عدا الغرباء من الطلبة نحو عشرين ألف على التخمين، وقد قيل لنا ان عدد سكانها اليوم يبلغ ستين الفا.

الماء في النجف:

كان الماء المستعمل للشرب وغسل الثياب في النجف، ينقل من جـدول جيء به من ابو صخير (من ناحية الحيرة)، ليسقي الأراضي السنية التي اصطفاها السلطان عبد الحميد مكان البحيرة، التي كانت غربي النجف وجففت بقطع الماء عنها، فكان السقاة ينقلون الماء بالقرب الى النجف، في الايام التي كنا فيها فـي النجف نطلب العلم.

وكان هذا الجدول في الصيف قد لا يجد السقاة فيه ماء، لاستعمال مائه في سقي المزارع، فيقع الناس في شدة.

وتأتي السقاة بالماء من الكوفة ولا يحصل عليه المرء الا بمشقة مع غلائه المفرط، وكان ينقطع في الصيف أيضاً بسبب العواصف التي تحمل الرمال، فتسد النهر، وفي الشتاء بسبب المطر الذي يهيل الرمل عليه فيطمه فأمر السلطان عـبد الحميد بشق جدول آخر للاستقاء منه خاصة، وتخصيص الجدول القديم لسـقي الاراضي السنية، فشق هذا الجدول الثاني وجرى فيه الماء.

وغرست على حافتيه الاشجار وبذل لحفره من خزينة السلطان عبد الحميد الف ليرة عثمانية ذهبا، ولاصلاحه وحفظه مائة ليرة في كل سنة.

وكان ذلك اثناء وجودنا في النجف لطلب العلم، ولكن الجدول الثاني كان يعرض عليه ما يعرض على الاول، فتطمه الرياح والأمطار صيفا وشتاء، ثـم ان الحاج محمد علي الشوشتري المعروف بالحاج رئيس لانه يلقب (رئيس تـجار عربستان) بذل ثلثمائة الف روبية على ان تصرف في حفر جدول، يسـتمد مـن الفرات ويصب في محل بحيرة النجف القديمة، ويصرف ريعه في سـبيل الخـير، وذلك سنة ١٣٤٢ هوابتدىء بالعمل ثم أهمل.

وفي سنة ١٣٤٦ هاهتم الحاج آغا محمد البوشهري الملقب معين التـجار بأمر الماء، فاشترى آلتين رافعتين للماء احداهما انكليزية والاخرى المانية، حتى

اذا طرأ عطل على واحدة واحتيج لاصلاحها، كانت الأخرى حاضرة.

وشاركه في بعض مصاريفها الحاج رئيس المقدم الذكر، فتم ذلك ووصل الماء الى النجف وأنيرت الحضرة الشريفة والبلدة بالكهرباء، الذي تولده الآلة الرافعة للماء ووزع الماء بالانابيب على دور النجف.

وصف اسحاق الموصلي النجف في شعره:

وفي النجف يقول اسحق بن ابراهيم الموصلي من قصيدة يمدح بها الواثق أولها:

يا راكب العيس لا تعجل بنا وقف
نحي داراً لسعدى ثم ننصرف

يقول فيها:

ما رأى الناس في سهل ولا جبل
أصفى هواءً ولا أعذى من النجف
كأن تربته مسك يفوح به
أو عنبر دافه العطارُ في صدفِ
حُفّت ببر وبحر من جوانبها
فالبر في طرف والبحر في طرفِ
وبين ذاك بساتين يسيح بها
نهر تجيش مجاري سيله القصفِ
وما يزال نسيم من أيامنه
يأتيك منه بريا روضة انفِ
تلقاك منه قبيل الصبح رائحة
تشفي السقيم وقد اشفى على التلفِ
لو حله مدنف يرجو الشفاء به
إذاً شفاه من الاسقام والدنفِ

الغري أو الغريان:

مدينة النجف موضع الغريين، وهما طربالان أي بناءان مستطيلان كالصومعة، ولذلك تسمى بالغريين وبالغري ايضا.

وقد اختلف كلام العلماء في الغريين لماذا بنيا ولماذا سميا الغريين.

ففي الصحاح: الغريان وهما بناءان طويلان يقال هما قبر مالك وعقيل نديم جذيمة الابرش، وسميا غريين لانّ النعمان بن المنذر، كان يغريهما بدم من يقتله إذا خرج في أيام بؤسه.

فالغري اذا فعيل بمعنى مفعول بمعنى مغري أي مطلي.

وفي القاموس: التغرية التطلية، وفي القاموس أيضا الغرىٰ الحسن، وكغنيّ الحسن منا ومن غيرنا، والبناء الجيد، ومنه الغريان بناءان مشهوران بالكوفة ا ه

فالغري اذا فعيل بمعنى الحسن لا بمعنى مفعول.

وفي معجم البلدان: الغريان تثنية الغري وهو المطلي، الغراء ممدود وهو الذي يطلى به، والغري فعيل بمعنى مفعول والغري الحسن من كل شيء، يقال رجل غري الوجه إذا كان حسنا مليحا.

فيجوز ان يكون الغري مأخوذا من كل واحد من هذين.

والغريان طربالان وهما بناءان كالصومعتين قرب قبر علي بن أبي طالب.

سبب بناء الغريين ومن بناهما:

ثم حكى عن ابن دريد انه قال ما حاصله: فأما الغريان بالكوفة فحدث هشام بن محمد الكلبي، قال: حدثني شرقي بن القطامي، قال: بعثني المنصور الى بعض الملوك فقال لي رجل من أصحابه: يا أبا المثنى أي شيء الغريان في كلام العرب؟

قلت: الغري الحسن، وإنما سميا الغريين لحسنهما في ذلك الزمان، وانما بُني

الغريان اللذان في الكوفة على مثل غريين، بناهما صاحب مصر وجعل لهما حرماً، فكل من لم يصلّ لهما قتل، الا انه يخيره خصلتين بشرط ان يكونا غير النجاة من القتل وغير الملك، ويعطيه ما يتمنى في الحال ثم يقتله.

فأقبل قصار من أهل أفريقية ومعه حمار له كذين[1]، فمر بهما ولم يصل، فأتي به الى الملك، فقال: ما منعك أن تصلي لهما؟

فقال: لم أعلم وانا رجل غريب.

فقال له: تمنَّ.

فقال: وما أتمنى؟

فقال: لا تتمن الملك ولا النجاة من القتل وتمنَّ ما شئت.

ففكر وقال: أتمنى عشرة آلاف درهم، فأحضرت وأرسلها لأهله مع البريد.

فقال له الملك: تمن الثانية.

فقال: أضرب كل واحد منكم بهذا الكذين ثلاث ضربات شديدة ووسطى وخفيفة.

فقال الملك لجلسائه: ما ترون؟

قالوا: نرى ان لا نقطع سنة سنها آباؤك.

قالوا: فبمن تبدأ؟

قال: بالملك ابن الملك الذي سن هذا.

فضربه القصار بالكذين على قفاه فسقط.

فقال له الملك: أي الضربات هذه؟

قال: الخفيفة.

فالتفت الملك الى الحرس وقال: زعمتم انه لم يصل وأنا رأيته صلى خلوا سبيله واهدموا الغريين.

---

(١) لعله حجر من الكذان.

ثم قال ياقوت: إنّ الغريين اللذين بظاهر الكوفة بناهما المنذر بن امرىء القيس بن ماء السماء، وكان السبب في ذلك أنه كان له نديمان من بني أسد، وهما خالد بن نضله وعمر بن مسعود، فثملا فراجعا الملك ليلة في بعض كلامه فأمر وهو سكران فحفر لهما حفيرتان في ظهر الكوفة ودفنهما حيين. فلما اصبح استدعاهما فأخبر بأمرهما، فغمه ذلك وأمر ببناء طربالين عليهما، وامر ان لا يمر أحد من وفود العرب الا بينهما، وجعل لهما في السنة يوم بؤس ويوم نعيم، ويذبح كل من يلقاه في يوم بؤسه ويغري بدمه الطربالين.

فان رفعت له الوحش طلبتها الخيل وان رفع طائر أرسل عليه الجوارح حتى يذبح ويطليان بدمه.

ويحسن الى من يلقاه في يوم نعيمه، ويحمله ويخلع عليه فلقيه في يوم بؤسه عبيد من الابرص الاسدي الشاعر، وقد جاء ممتدحا، فقال: هلا كان الذبح لغيرك يا عبيد؟

فقال عبيد: أتتك بحائن رجلاه.

فارسلها مثلا.

فقال المنذر: أو أجل قد بلغ أناه.

فقال بعض من كان معه: أبيت اللعن أتركه فانّي أظن ان عنده من القريض أفضل مما تريد من قتله.

فقال له المنذر: ما ترى؟

قال: أرى المنايا على الحوايا.

قال: انشدني فقد كان يعجبني شعرك.

فقال: حال الجريض دون القريض وبلغ الحزام الطبيين، فأرسلهما مثلين.

فقال بعض الحاضرين: انشد الملك هبلتك أمك.

قال: وما قول قائل مقتول.

فارسلها مثلاً.

قال المنذر: قد أمللتني فأرحني قبل ان آمر بك.

قال: من عزّ بزّ فأرسلها مثلاً.

قال: انشدني قولك (اقفر من أهله ملحوب) فقال:

اقـــفر مـــن اهـــله عـــبيد

فـــليس يـــبدي ولا يـــعيد

عـــــنت له مـــيتة نكـــود

وعـــــــنَّ مـــــنها له ورود

فقال: اسمعني قولك قبل أن أذبحك.

فقال:

والله ان مت مـــــا ضـــرّني

وإن عشت ما عشت في واحـدة

فأبـــلغ بـــني وأعـــمامهم

بأنّ المـــــنايا هـــي الواردة

لهـــا مـــدة فـــنفوس العـــبا

د اليـــها وإن كـــرهت قـــاصدة

فـــلا تـــجزعوا لحـــمام دنـــا

فـــللموت مـــا تـــلد الوالدة

ثم قتله قتلة اختارها هو: سقاه خمراً ثم فصده حتى نزف فمه، وغرى بـه الغريين.

فلم يزل على ذلك حتى مر به في يوم بؤسه رجل من طي اسمه حـنظلة، فقال: ابيت اللعن إني أتيتك زائراً، ولأهلي من بحرك مائرا فلا تجعل ميرتهم مـا تورد عليهم من قتلي.

قال: لابد من قتلك فسل حاجتك تقض.

قال: تؤجلني سنة أرجع فيها الى أهلي ثم أعود اليك.

قال: من يكفلك؟ فنظر في وجوه جلسائه فعرف شريك بن عمرو بن شراحيل الشيباني فقال:

يـــا شـــريك بـــن عـمير
هـــل مـــن المـــوت مـــحاله
يـــا شـــريك بـــن عـمير
يـــا أخـــا مـــن لا اخـــا له
ان شـــــيبان قـــــبيل
أكـــرم النـــاس رجـــاله
وأبـــو الخـــيرات عـــمرو
وشـــراحـــيل الحـــماله
رقـــباك اليـــوم فـــي الـ
مـــجد وفـــي حســـن المـــقاله

فوثب شريك بن عمر، وقال: أبيت اللعن يدي بيده ودمي بدمه ان لم يعد الى اجله.

فاطلقه المنذر، فلما كان من القابل قعد المنذر في مجلسه في يوم بؤسه ينتظر حنظله فأبطأ عليهم، فقدم شريك ليقتل فلم يشرعوا، إلّا وراكب قد طلع فإذا هو حنظلة، وقد تحنط وتكفن ومعه نادبته تندبه، فعجب المنذر منه وقال: ما حملك على قتل نفسك؟

فقال: إنّ لي دينا يمنعني من الغدر.

قال: وما دينك؟

قال: النصرانية.

وكان سبب تنصره وتنصر أهل الحيرة فيما زعموا اه

ورفع يوم بؤسه عن الناس.

ورأيت في بعض الكتب وأظنه جمهرة العرب ان هذه الحكاية كانت مع النعمان قال: فتنصر النعمان.

والاختلاف بين هذه الكلمات ظاهر فصاحب الصحاح يروي انهما بنيا على قبري مالك وعقيل نديمي جذيمة، وظاهره انه هو الذي بناهما ثم يقول ان الذي كان يغريهما بدم من يقتله هو النعمان يوم بؤسه، وهو يدل على ان يومي البؤس والنعيم كانا للنعمان.

وياقوت يقول ان الذي بناهما المنذر لما قتل نديميه خالداً وعمراً، وان يومي البؤس والنعيم له، وانه هو الذي كان يغريهما بدم من يقتله يوم بؤسه.

وبعضهم يروي ذلك عن النعمان بن المنذر، والله اعلم بحقيقة ما يروي هؤلاء الرواة.

ومر معن بن زائدة بالغريين فرأى أحدهما وقد شعث وهدم فانشأ يقول:

لو كان شيء له ان لا يبيد على

طول الزمان لما باد الغريان

ففرق الدهر والأيام بينهما

وكل إلف الى بين وهجران

الحضرة الشريفة العلوية:

كان امير المؤمنين علي عليه السلام قد أوصى اولاده وخواصه بان يدفن سرا، خوفا على قبره من بني امية، فحملوه ليلا ودفنوه في هذا الموضع، وبقي قبره مخفيا لا يعرفه غير اولاده وذريتهم وخواص شيعتهم، حتى ظهر في زمن المنصور، ودل عليه الامام جعفر الصادق فعرفته الشيعة وزاروه، ثم اظهره الرشيد فعرفه عامة الناس، وبنى عليه ثم تتابع البناء عليه كما فصلناه في الجزء الثالث من اعيان

الشيعة الى ان انتهى الى البناء الموجود اليوم، وهو من بناء الصفوية.

وقد قال بعض العلماء ان في الكوفة قبور عدد كبير من الصحابة لا يعرف لاحدهم قبر الا قبر علي بن أبي طالب.

والحضرة الشريفة العلوية تقع في وسط البلد، وان كانت المسافة منها الى آخر البلد قد تختلف، وهي بناء مربع يحيط به رواق من جهاته الأربع يحيط بهما صحن من جهاتهما الثلاث، عدى الجهة الغربية فليس فيها سوى ممر مسقوف.

ويحيط بالصحن أواوين من الجهات الثلاث المذكورة داخلها حجر بطبقتين علوية وسفلية، والاواوين داخلها وخارجها كله مرصوف بالكاشي الفاخر، الذي فيه ابدع النقش، وقد زين اعلاها بالايات القرآنية الشريفة وكذلك حيطان الحضرة الثلاثة الخارجية.

وللحضرة ثلاثة أبواب: قبلي مسدود، وشمالي، وشرقي أمامه (طارمة) مفروشة بالبلاط وفوقه ايوان قد كسي بآجر النحاس المذهب المقرنص.

والحضرة الشريفة قد زينت بالمرايا وازرت بالبلاط الذي كل بلاطة منه نحو القامة وفرشت ارضها بالبلاط، وكذلك الصحن الشريف كله مؤزر بمثل هذا البلاط، والصحن كله مفروش بالبلاط، وكذلك الاواوين.

وكان للصحن ثلاثة أبواب شرقي يسمى باب السوق الكبير، وشمالي يسمى باب الطوسي، وقبلي يسمى باب القبلة، ثم احدث فيه باب رابع غربي ويسمى باب الفرج، وجعل أمامه سوق.

وتنار الحضرة الشريفة اليوم بالكهرباء بواسطة آلة خاصة بعدما كانت تنار بالشموع، وفيها شمعدانات كبيرة ضخمة من النحاس تزن أرطالاً، كانت معدة لوضع الشموع العسلية، ويوجد مثلها وبعددها من شمعدانات الفضة الخالصة، كما يوجد شمعدانان كبيران بصنعة بديعة من الفضة، ملبسان من اعلاهما واسفلهما بالذهب الابريز، من وقف السلطان عبد العزيز العثماني، وعليهما الطغراء العثمانية

باسمه، كما يوجد مثلها في كل من مشهد وكربلا، والكاظمية وسامراء والشيخ عبد القادر والاعظمية.

النجف دار العلم:

والنجف هي دار العلم للشيعة في العراق من نحو مائتي سنة، وكانت تشاركها في ذلك كربلاء وقبل كربلا كانت دار العلم لهم الحلة من عهد العباسيين، وكانت تشاركها في عهد العباسيين في ذلك بغداد، ثم انتقلت مدارس العلم من الحلة الى كربلاء ومن كربلاء الى النجف.

مدارس النجف:

وفي النجف عدة مدارس معظمة، منها مدرسة الصدر في السوق الكبير، ومدرسة في محلة البراق، ومدرسة الشيخ مهدي ومدرسة المعتمد، ومدرسة الصحن الشريف ومدرسة الميرزا الشيرازي ومدرسة الميرزا حسين الخليلي، ومدرسة الشيخ ملا كاظم الخراساني، ومدرسة السيد كاظم اليزدي وغيرها.

وهذه المدارس قد كان يسكنها قسم من الطلاب، والقسم الاكبر يسكن الدور وهم يتعلمون:

العلوم التي تعلم في مدارس النجف:

علوم النحو والصرف والبيان والادب والمنطق والحساب في خلاصة البهائي، والاصول والفقه والتفسير والكلام والحكمة العظيمة في شرح باب الحادي عشر، وشرح التجريد للقوشجي وشرح منظومة السبزواري والارشادات والشفا لابن سينا وشرح المقاصد وغيرها، والهيئة والطب على طريقة اليونان، وغير ذلك وكان للشعر والادب فيها سوق رائج.

عدد الطلاب في النجف:

بلغ فيها عدد الطلاب اثني عشر الفا، ولكن بعد الاحتلال الانكليزي تناقص عددهم كثيرا حتى اصبح عدد الطلاب للعلوم الدينية اليوم قليلاً جداً، وهو يتناقص يوماً فيوماً تناقصاً يخشى ان يشرف منه على الانقراض، الا ان يشاء الله ولله امر هو بالغه.

الماء في النجف:

والماء فيها يأتي من الكوفة بواسطة آلتين رافعتين الى مستودع عال في الكوفة، يجري الماء منه بأنابيب على وجه الارض الى مستودعين عاليين خارج النجف، يصفى فيهما الماء فيعود زلالا صافيا، بعد ما كان يمازجه الطين الاحمر الملازم لماء نهر الفرات، ثم يوزع الماء من المستودع على كثير من الدور، وبعض الدور التي لم يتم ايصال الماء اليها تأخذ الماء بواسطة السقاة في القرب كالسابق.

المكتبات في النجف:

في النجف الأشرف كثير من المكتبات المهمة الحاوية لنفائس المخطوطات والمطبوعات، واكثرها يجمعها العلماء في حياتهم، وينتهي عمرها بانتهاء اعمارهم:

١ ـ مكتبة الحضرة الشريفة العلوية: وهي اقدم مكتبات النجف وأهمها، كان فيها من نفائس المخطوطات عدد لا يحصى، وجاء ذكرها في كثير من المؤلفات، واستفاد الناس منها في اعصار متطاولة، ثم اضمحلت بسبب الاهمال، وعدم العناية بجعلها في غرفة تحت اشراف المسؤولين، واحصاء كتبها في دفاتر وجعل قيم لها براتب، كما يفعل بسائر مكتبات الدنيا التي يراد بقاؤها لانتفاع الناس بها، ولكنها بقيت في غرفة مقفلة عرضة للارضة وغيرها.

وكان بعض اصدقاء نقباء الحضرة الشريفة يستعيرون منهم بعضها،

ويأخذونه الى دورهم فقد يرجعونه، وقد ينسون ارجاعه أو يتعمدون فيموتون وهو عندهم.

وقد أراني بعض ذراري أهل العلم كتاباً عنده بخط العلامة الحلي ومن تأليفه: جزء من المختلف أو المنتهىٰ لم يبق في ذاكرتي، مفتخرا بذلك وقد علمت بعد ذلك ان هذا الجزء كان استعارة السيد محمد سعيد الحبوبي النجفي العالم الشاعر المشهور من قيم الحضرة الشريفة، ومات وهو عنده ثم وقع في يد هذا الرجل.

وقد بقي في هذه المكتبة الشريفة عدد صالح من المخطوطات، فسعى الفاضل الشيخ محمد السماوي النجفي في نقلها الى حجرة من حجر الصحن الشريف، وكانت فيها اوراق مبعثرة فجمع منها عدة كتب ورتبها، وكان يرجو ان يتبرع احد بتجليدها.

وقد زرنا هذه المكتبة الشريفة ورأينا ما بقي منها اهمها المصاحف الشريفة بعضها مكتوب على الرق (الجلد) ومنسوب الى خطوط الائمة عليهم السلام، وبعضها مكتوب على ورق من الخشب الرقيق، وبعضها على الورق، ومنها مصحف منسوب الى خط مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام، تاريخ كتابته سنة ٤٠ رأيناه فيها في هذا السفر سنة ١٣٥٢ هـ

وفيها عدة من مؤلفات عبد الرحمن العتايقي الحلي، واظن انها بخطه.

ورأيت فيها كتابا يحتوي على قصائد لابن ابي الحديد بخطه في مدح خلفاء بني العباس، قيل لي انه طبع في بغداد طبعا غير جيد.

ومما اخبرني به الشيخ محمد رضا الشبيبي وزير المعارف العراقية سابقا، انه تكلم مع مدير الاوقاف في بغداد في أن يجعل منه عناية بهذه المكتبة، ويشتري لها قسماً من الكتب، ويجعل لها قيّماً بمعاش، وتجعل مكتبة عامة يستفيد منها كل احد فاجاب طلبه.

فلما خابر من لهم الكلمة في النجف لم يقبلوا مخافة تدخل الغير في شؤونهم، وظني انهم غير مصيبين في ذلك، فوجود مكتبة يشرف عليها مسؤولون ضامن لبقائها، اكثر من وجودها بدون اشراف مسؤول.

٢ ـ مكتبة الحسينية الشوشترية: وهذه الحسينية موجودة في محلة العمارة، وهي بمنزلة ما يسمونه (التكية) أو (الزاوية) منسوبة لاسم مولانا الحسين بن علي عليه السلام، يقام فيها ذكرى مصابه وتقام فيها صلاة الجماعة والفرادى.

وتقام فيها مجالس الفاتحة وغير ذلك من المصالح العامة، وقد بناها جماعة من التجار الشوشتريين فنسبت اليهم.

وفيها مكتبة لا بأس بها تحتوي على عدد صالح من الكتب المخطوطة والمطبوعة النفيسة، ومن جملة كتبها كتاب جامع الرواة.

وكان في النجف رجل عالم لا ولد له وقف كتبه على هذه المكتبة، ووقف داره عليها فسكن الدار شاب من ذرية السيد نعمة الله الشوشتري وتولى امر المكتبة، ولكن ذلك لا يضمن حياتها وبناءها، ولا يضمن عدم امتداد أيدي السراق الى كتبها، وقد وقف عليها كتب كثيرة غير كتب ذلك العالم.

وقد كنت مدة وجودي في النجف أحضر اليها وأنقل من محتوياتها فأبقى من الصبح الى الظهر.

٣ ـ مكتبة الشيخ علي ابن الشيخ محمد رضا من آل الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء: وهي مكتبة جيدة، وقد وضعها ولده العلامة الشيخ محمد حسين في حجرة داره، وكان غائبا في ايران عند ورودنا الى النجف الأشرف في المرة الاولى، وكانت مقفلة ومفتاحها بيد خادمه.

فطلبنا اليه ان يفتحها لنا لننظرها نظرة متفرج فأجاب، دخلناها مدة يسيرة لم تفدنا شيئا، ورأينا فيها مؤلف والده الذي أسماه الحصون المنيعة في طبقات الشيعة في تسعة أجزاء كلها مسودات على ورق رقيق بال، يصعب الاهتداء الى

شيء من مضامينه.

٤ ـ مكتبة الفاضل الشيخ محمد السماوي النجفي: وهي من أجمع مكاتب النجف لنفائس المخطوطات ولصاحبها همة عالية في جمع الكتب واستنساخها.

وجملة منها نسخها بيده كنا نحضر اليها كل يوم من الكوفة عند اقامتها بها في الدفعة الثانية، فنبقى بياض اليوم ننقل من محتوياتها.

وكان هو عند ورودنا في الدفعة الاولى مقيما في بغداد فلما وردناها في الدفعة الثانية، كان قد ورد الى النجف وأقام فيها.

ومن محتوياتها المخطوطة ديوان السري الرفا وديوان عبد المحسن الصوري، ونشوة السلافة ونسمة السحر، نسخ أحد جزئيه بيده، والمحيط في اللغة للصاحب نسخ بعضه بيده وغير ذلك.

٥ ـ مكتبة الميرزا حسين النوري الطهراني صاحب مستدركات الوسائل: وهذه كانت حاوية عدداً وافياً من نفائس المخطوطات ونوادرها، رأيتها حين اقامتي بالنجف لطلب العلم، وهي موضوعة ضمن صناديق صغار بعضاً فوق بعض، تملأ حجرة كبيرة وهذه كان عمرها مقرونا بعمر صاحبها، وبعد وفاته اقتسمها ورثته وباعوها.

٦ ـ مكتبة السيد محمد ابن السيد محمد تقي آل بحر العلوم الطباطبائي: كانت مكتبة حافلة بأنواع المؤلفات المخطوطة والمطبوعة، وكان حظها حظ سابقتها.

٧ ـ مكتبة ميرزا فتح الله الملقب بالشيخ شريعة مدار الاصفهاني: وهذه كانت من نفائس المكتبات ولم يكن حظها أسعد من سابقاتها.

٨ ـ مكتبة جمعية الرابطة ومكتبة منتدى الشعر: وهما في أول نشأتهما ويرجى لهما التقدم.

وهناك مكتبات أخرى يطول الكلام بذكرها.

شغلنا في النجف:

لم يكن لنا شغل في النجف من يوم ورودنا الى يوم خروجنا سوى النسخ والنقل من الكتب، التي تصل يدنا اليها مما يدخل في موضوع كتابنا (أعيان الشيعة)، كما كنا في بغداد.

وربما كنا نذهب في بعض الليالي لرد الزيارة الى الذين زارونا مما لابد منه ثم نعود، حتى انه أصابنا في بعض الايام حمى وزكام، فلم يمنعنا ذلك من متابعة أعمالنا، فكنا نكتب ونحن مضطجعون.

وكان دأبنا أن نذهب صباحا الى مكتبة الحسينية، فننقل من محتوياتها ما هو من شرط كتابنا الى الظهر، وهو الوقت الذي تفتح فيه المكتبة، فإذا كان الظهر وهو وقت اقفالها خرجنا وصلينا الفرض، واشتغلنا بالنسخ في المنزل الى الغروب ثم صلينا الفرض وأفطرنا وخرجنا لزيارة الحضرة الشريفة، ثم عدنا الى المنزل واشتغلنا بالنسخ مع من يساعدنا الى ان يمضي من الليل ثلاث ساعات أو أربع أو اكثر، ثم ننام الى السحر.

فاذا كان السحر اشتغلنا بالكتابة نحو ساعة أو اكثر، ثم تسحرنا وخرجنا الى الحضرة، فزرنا وصلينا الصبح وقرأنا ما تيسر من دعاء ثم عدنا الى المنزل ونمنا قليلا الى ان تفتح المكتبة، فنذهب اليها ونبقى الى الظهر، وهكذا لا نتخلف عن ذلك أبداً حتى استنفدنا جميع ما فيها.

وكثيرا ما كان يساعدنا على النسخ في الحسينية وخارجها بعض الاخوان، ومضى الكلام على هذه المكتبة عند ذكر مكتبات النجف.

ومما اشتغلنا به في النجف تصحيح بعض الكتب المخطوطة التي حصلنا عليها مثل كتاب الفصول المختارة للسيد المرتضى، وكتاب معالم العلماء الذي نسخ لنا، وكتاب رجال بحر العلوم الذي نسخنا بعضه في جبل عامل ونسخ لنا

الباقي في العراق، فاستعرنا نسخة من سلالة بيت العلم والمجد السيد جعفر الطباطبائي وقابلنا نسختنا عليها.

وفي منتهى شهر رمضان خرجنا للاستهلال خارج سور النجف، فصعدنا على سطح لبعض الفقراء ممن بنوا خارج السور، وجاء صاحب الدار ورحب بنا وفرش لنا بساطاً عربياً، فجلسنا عليه وسألناه عن حاله، فقال بكل بشاشة: الحمد لله نحن بخير ونعمة في جوار قبر امير المؤمنين عليه السلام.

وكان قبل غروب الشمس بعض الفسحات في السماء فلما غربت الشمس استولى الغمام على جميع الأفق، فبقينا مدة ننتظر زواله فلم يزل حتى يئسنا من رؤية الهلال، وعدنا الى المنزل ثم علمنا انه حصلت فرجة في السماء في الموضع الذي كنا نستهل فيه، ورآه بعض الناس وجاءت أخبار من الخارج متواترة برؤية الهلال.

طريفة:

ومما يستطرف من أخبار النجف ما أخبرني به بعض الثقات من اجلاء العلماء، قال عدت في يوم واحد صديقين لي كانا مريضين، فقال لي أحدهما لما عدته: أرأيت كيف تنار الحضرة الشريفة العلوية بالكهرباء، فان هذا مما يسرّ النفس وإني مسرور لذلك جدا، فقلت له: الامر كذلك.

فذهبت من عنده لعيادة الصديق الاخر فبعدما جلست سألته عن حاله، فقال: إن المرء في هذه الايام يودّ لو كان قد مات قبل سنين، فقلت له: لماذا؟

فقال: تقول لماذا أليست الكهرباء فوق رأس أمير المؤمنين!!

فعجبت من التفاوت في العقل بين هذين الرجلين.

ياجوج وماجوج:

وجرى يوما في النجف في مجلس بعض علماء الفرس عند زيارتنا له ذكر

ياجوج وماجوج، فقال: ربما يسأل سائل فيقول إن الناس اليوم لم تبق بقعة في الأرض الا وقد عرفوها ودخلوها، فلو كان سد ياجوج وماجوج والأمّة التي وراءه موجودة لعرفوا ذلك، ووصلوا إليه، ونحن وإن كنا نعلم صدق ذلك باخبار القرآن الا إننا نريد دفع هذه الشبهة لو أوردها علينا احد.

فقلنا له: إنّ غاية ما يستفاد من القرآن الكريم وجود أمة تسمى ياجوج وماجوج تفسد فيما يليها من الأرض، وان ذا القرنين لما بلغ الى هناك شكا مجاوروها إليه ذلك، وسألوه أن يجعل بينهم وبينهم ردما، فبنى بينهم سداً لم يستطع اولئك ان يظهروه ولا أن ينقبوه.

وأما ما يروى من الاقاصيص عن ياجوج وماجوج فهو من الخرافات التي لا يعول عليها.

ومن شجون الحديث أيضا، والحديث ذو شجون، أنني جئت يوما عند الفجر لزيارة الحضرة الشريفة، فصليت الصبح هناك وزرت ودعوت وخرجت، فإذا جمع من العوام مجتمعون في الطارمة التي امام باب الحضرة الشريفة الشرقي، وهناك سيد مكفوف البصر قد جلس على منبر يعظهم بمواعظ مناسبة، يحب ان يوعظ العوام بمثلها، ويذكر لهم مسائل دينية مما يجب ان يتعلّموها.

فسررت كثيراً لذلك لان مثل هذا الواعظ يندر وجوده في النجف او لا وجود له مع انه من اللازم المؤكد وجوده دائماً.

ولشدة سروري جلست في بعض الأواوين الشرقية بحيث أسمع كلامه، وأخرت الذهاب الى المنزل مع اشتغالي بما لا أريد ان اتعطل عنه دقيقة واحدة.

وكان تحت الطارمة في أرض الصحن نساء من العوام مجتمعات لسماع موعظته مستترات أتم الستر، ويفصل بينهن وبين الرجال حاجز حجري، فسرني ذلك أيضاً، لان مثل هؤلاء النساء يجب أن يسمعن لمواعظ ويتعلّمن الأحكام.

ولكن لما فرغ الخطيب من موعظته وتعليمه، وشرع في ذكر مصيبة

الحسين عليه السلام صرخ النساء بأجمعهن صرخة واحدة، وتتابع صراخهن بين فترة وفترة فاشمأزت نفسي عند ذلك، وقمت وذهبت وقلت: سبحان الله ان هذه العبادة لم يدعها الشيطان حتى أفسدها بصياح هؤلاء النساء، الذي هو مستبشع مستهجن مستنكر.

وهبه ليس محرّماً أفليس هو مستهجن مستنكر مستبشع، وأي فائدة دينية أو دنيوية أو اجتماعية تترتب على ذلك؟

وأي نفع يجره إلينا هذا العمل، ولكن القوم قد اعتادوا فلم يستقبحوه، (ولكل امرىء من دهره ما تعودا).

ومن ذا الذي يجسر على أن ينهاهم عنه، أو يطمع في أن يسمعوا منه؟!

وسمعت بعد ذلك ان هذا السيد طلبه أهل بغداد اليهم ليكون واعظهم.

ومن شجون الحديث والحديث شجون، انه زارنا بعض العلماء من أصحابنا القدماء، لا نحب التصريح باسمه وقال: إن عنده تراجم تصلح لكتابنا أعيان الشيعة، ووعدنا بها فلما رددنا له الزيارة جلسنا في حجرة قد اسودت حيطانها من الدخان، فعادت كحلك الغراب بعدما كانت كالثلج.

فقلنا: لا بأس هذه صفة العلماء الزاهدين، وطالما جلسنا في مثلها ولكن صاحبنا كان أمر بأن تشعل النار في سريدان كبير (كانون من الخشب ليس بالتنك)، وكان الحطب أخضر والدخان يملأ الحجرة الواطئة لان الوقت شتاء.

فلما دخلنا امتلأت عيوننا بالدخان وسالت دموعنا لغير حزن ولا فرح، فرجوناه ان يأمر بإخراجه الى خارج الغرفة، فقال: انه يريد ان يعمل لنا عليه القهوة.

فقلنا له: انه يمكن عملها خارج الحجرة محافظة على عيوننا، التي هي أعز علينا من القهوة فأجاب بعد أخذ ورد.

وبعدما استقر بنا الجلوس وأخذنا في الحديث طالبناه بوعده بإعطائنا ما

عنده من التراجم، فقال: لا أعطيه لا أعطيه، كأنه يريد أن يعطينا شبيه كتاب الاغاني أو ولاية الري، ولعل الذي في كتابه ـ إن صح ان له كتابا ـ لا يستاهل ان يقرأ فضلا عن أن ينقل منه.

الطبول أمام الجنائز:

بينما نحن ذات يوم نشتغل بالمطالعة والنسخ في مكتبة الحسينية، واذا بشابين في هيئة رثة دخلا الحسينية، واستخرجا طبلين من مكان منها، وحمل كل واحد طبلا منهما وأخذ بيده مقرعة استعدادا لضرب الطبول.

وعجبنا من ذلك ونحن في شهر رمضان شهر العبادة، لا شهر الطبول والزمور.

وسألنا قيم الحسينية عن سبب ذلك فقال: تصل اليوم جنازة رجل عالم جليل مثر من علماء اصفهان، ليس له عقب يلقب شريعة مدار (مدار الشريعة)، فتخرج الناس بالطبول لتلقي الجنازة وتشييعها.

ومن المرسوم ان كل حسينية تحتوي على طبل أو طبلين، يدق عليهما في عاشورا فهذه يخرجون بها لتشييع جنائز العلماء، ويدقونها أمام الجنائز، ويدخلون بها الصحن الشريف على تلك الحالة.

فعجبنا وأسفنا كثيرا لوقوع تلك المنكرات في ذلك البلد المقدس بمرأى ومسمع من العلماء ورجال الدين، ومن ينكر ذلك يخاف على نفسه.

وكيف استطاع ابليس ان يحمل الناس على هذه المنكرات، بعنوان الطاعة والعبادة.

وهذه الطبول والأعمال لم تكن معهودة في العصر الذي كنا فيه في النجف، انما كان الترك الايرانيون يضربون الطبل في عاشورا، أما شيوع استعماله عند الجميع واستقبال الجنائز وتشييعها به، فأمر حدث بعدنا، في حين اننا كنا نرجو لهم الرقي لا الرجوع الى الوراء.

وهكذا تم الامر، فخرج لتشييع هذه الجنازة المعظمة كل معمم في النجف ودخلوا بها الصحن الشريف، والطبول تدق امامها واللطم يصل صوته وصوت الطبول الى عنان السماء.

اما انا فكنت في راحة من تشييع هذه الجنازة الكريمة، ومن رؤية وسماع هذه الفاجعة الأليمة، فلم أخرج ولم أخش من عتاب أهل الجنازة، ولا كنت اتوقع شيئا من ثوابهم، فبقيت أطالع وأنسخ الى ان دفنت الجنازة، وأكسبها هؤلاء المطبلون المزمرون دخول الجنة!

مسجد الكوفة والسهلة:

وبعد انقضاء شهر رمضان المبارك، ذهبنا لزيارة مسجد الكوفة ومسجد السهلة والصلاة فيهما، وفي سائر المساجد التي بالكوفة، وزيارة ضريح مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وغيرهما.

والمسافة بين النجف ومسجد الكوفة نحو فرسخ، كانت تقطع في السابق على الدواب والأقدام، ثم صارت تقطع اليوم في عربات تجرها الخيل على خط من الحديد لشركة بغدادية نجفية.

وبين النجف والكوفة قبر عليه قبة منسوب الى كميل بن زياد النخعي صاحب امير المؤمنين عليه السلام.

يقال انه استخرجه السيد مهدي القزويني ببعض الامارات، وقبر آخر عليه قبة وصندوق هو لابراهيم من ولد الحسن عليه السلام.

فدخلنا مسجد الكوفة المبارك من باب الفيل ولم يبق من ابوابه اليوم الا باب الفيل من الجهة الشمالية وباب كنده من الجهة الشرقية، وهو من المساجد الشريفة المندوب الى الصلاة فيها.

ويروون ان الامام زين العابدين عليه السلام شد الرحال من المدينة المنورة الى الكوفة للصلاة فيه، وهو مسجد الكوفة الجامع الذي لم يزل معموراً بعد خراب الكوفة الى اليوم.

وكلما تهدم منه شيء بادر الى اصلاحه أهل الخير من المؤمنين، وهو متسع الفناء يحيط به سور عال، وقد سقف قسم منه من الجهة الجنوبية عند المحراب والمنبر، وبني في باقي جوانبه حجر وأواوين يأوي اليها الزائرون والمعتكفون.

وله مأذنة عالية وفي وسطه عمود من رخام، الظاهر انه كان شاخصاً لمعرفة الزوال وأوقات الصلاة، وللعوام فيه خرافات كعادتهم في أمثال ذلك منها: إن من لم يقدر ان يحيطه بباعه بحيث تصل إحدى يديه الى الاخرى فهو ليس لأبيه، فالويل لمن كان باعه قصيراً، وهذا كما كان في بيت المقدس عمودان يزعم العوام إن من لم يستطع ان يخرج من بينهما فهو ليس لأبيه، فالويل لمن كانت جثته كبيرة وبطنه عظيمة. ثم وضع بينهما حديد لمنع ذلك.

وفيه مكان يقال إن منه فار التنور، وان منزل نوح عليه السلام كان هناك، فجاء أحد العوام على حسب العادة يرشدنا الى الأماكن التي فيها صلوات وأدعية مخصوصة، حسب ما ورد عن ائمة اهل البيت عليهم السلام، وبعد الفراغ من ذلك جئنا الى محراب أمير المؤمنين علي عليه السلام، الذي كان يصلي فيه والذي ضربه فيه شقيق عاقر الناقة عبد الرحمن بن ملجم، وصلينا فيه ودعونا الله تعالى.

ثم خرجنا من باب كندة لزيارة قبر مسلم بن عقيل، ومشهده ملاصق للمسجد في الجنوب الغربي، وامامه فسحة واسعة يحيط بها سور متصل بسور المسجد.

ويقابله في هذه الفسحة من الجهة الشمالية قبر هاني بن عروة المستشهد في حب أهل البيت عليهم السلام وعليه قبة، وفي خارج المسجد من الجهة الشمالية قبة، يقال انه مشهد لبعض بنات الحسن عليه السلام.

ثم خرجنا من مسجد الكوفة وزرنا بيت امير المؤمنين عليه السلام وتبركنا بآثاره الشريفة وهو في غربي المسجد.

ثم توجهنا الى مسجد السهلة وبينهما نحو عشر دقائق، ومسجد السهلة في الشمال من مسجد الكوفة، وبينهما آثار خرائب الكوفة وأنقاضها.

وهناك مكان يقال انه كان سوقاً للصاغة، ولا يزال يوجد فيه بعض قطع الذهب والفضة، فصلينا ودعونا الله تعالى على الصفة التي جاءت عن ائمه أهل البيت عليهم السلام.

وهنا كان ما دفعناه للقوام رسماً مقطوعاً منع من طلب الزيادة، بخلاف ما كان في مسجد الكوفة فإن صاحبنا لم يستطع التخلص من الخدم الا بجهد وبأضعاف ما دفعه في مسجد السهلة، وهؤلاء الخدم للمساجد والمشاهد اكرامهم من اكرام صاحب المشهد والمسجد.

ثم خرجنا من مسجد السهلة وصلينا في مسجدين منسوبين لصعصعة وزيد ابني صوحان العبدي.

ومسجد الكوفة اليوم كمسجد السهلة في فضاء من الارض ليس حوله عمران.

الكوفة:

وبلدة الكوفة اليوم قائمة بجنب الشط فيها دور جيدة وعمارات على الشط ومتنزهات ومتاجر وحمامات، وكانت السفن الكبيرة تأتي اليها من البصرة بأنواع التجارات، ولكن بعد مد الخط الحديدي من البصرة الى بغداد الى كربلاء ضعفت تجارتها.

وفيها جسر يعبر عليه الناس من الشرق الى الغرب وبالعكس، وفيها كثير من البساتين للنخل وغيره والمزارع ـ وهواؤها جيد جداً وتربتها نامية يخصب فيها الزرع.

مصّرها في الاسلام سعد بن ابي وقاص الصحابي بعد فتح العراق، وكانت قبل مصيفاً لجند كسرى لطيب هوائها ولذلك كانت تسمى كوفة الجند، قال الشاعر:

ان التي ضربت بيتاً مهاجرة

بكوفة الجند غالت ودها غول

وفيها مشهد للنبي يونس عليه السلام، وفيها مسجد الحمراء معروف معمور الى اليوم، وهو من المساجد المباركة المرغوب في الصلاة فيها.

وبعدما توطنها امير المؤمنين علي عليه السلام كثرت فيها شيعته، واستمروا في كثرة حتى صارت من اشهر بلاد الشيعة.

وكان فيها من رواة حديث ائمة أهل البيت وعلمائهم على تطاول الازمان عدد لا يحصى.

وسكنها بعد الفتح الاسلامي كثير من الصحابة والتابعين والعلماء في سائر الفنون، ونحاة الكوفة كنحاة البصرة مشهورون، وبلغت الغاية في العمران، وهي احد العراقين: (الكوفة والبصرة).

ولما ظهرت الدولة العباسية ظهر أول خليفة منها في الكوفة، ثم سكن المنصور الهاشمية بقرب الكوفة ثم تركها ارادة للبعد عن أهل الكوفة المعروفين بالميل الى آل أبي طالب، وبنى بغداد وسكنها الناس فتراجع أمر الكوفة شيئاً فشيئاً الى أن خربت بعد مدة طويلة من كثرة الحروب والفتن، وانتقل أهلها الى بغداد وغيرها من البلدان.

وفي سنة ورودنا الى العراق لطلب العلم وهي سنة ١٣٠٨ هلم يكن فيها بناء وانما كان فيها عدة اكواخ من القصب وسوق صغير، ثم عمرت تدريجاً حتى صار فيها اليوم القصور والمتاجر والمتنزهات على جانب الشط، وهي متنزّه أهل النجف فيها الحدائق والبساتين.

مسجد ملا[1] ظفيرة:

بنت الملا يوسف خازن الحضرة الشريفة العلوية قبل آل الرفعي، وهو من

---

(١) أصله (مولى) وهو لقب يطلق على علماء الدين والوعاظ وخطباء المنبر الحسيني. ومع أنه لغةً خاص بالرجال إلّا أنه صار يطلق على كل من يمارس الوعظ والخطابة رجلاً كان أو امرأة.

ذرية ملا عبد الله صاحب الحاشية في المنطق.

وكانت داره في محل المدرسة التي في المشراق بجانب دار آل الطباطبائي، وابنته ملا ظفيرة هذه بنت مسجداً في الكوفة أيام كنا نطلب العلم في النجف، عرف باسمها وكان في آخر العمران أما اليوم فأصبح في وسط العمران.

نهر سعد:

وبين النجف والكوفة موضع نهر يسميه العامة كري سعدي، وانما هو نهر اشتقه لها سعد بن أبي وقاص، والكري في لسان أهل العراق شق النهر واخراج التراب والرمل منه، وهم ينطقونه بالجيم الفارسية.

أما اليوم فالنهر الذي فيها ينشق من نهر الهندية وفي أرضها مزرع يسمى:

التاجية:

فيه بساتين النخل والفواكه والخضر والمزارع المتنوعة، وهي منسوبة الى من اسمه تاج الدين وقريب منها:

الحيرة:

منازل ملوك الحيرة من المناذرة وغيرهم، وكانوا ملوك العرب من قبل الاكاسرة.

وفيها آثار قصر الخورنق باقية الى اليوم، ومن قصورها السدير.

ويقال انه اسم نهر وله وللخورنق شهرة في التاريخ وذكر في الاشعار، وفيهما يقول الشاعر:

فـــاذا انـــتشيت فـــانني
ربّ الخـــورنق والســـدير
واذا صـــــحوت فـــانني
رب الشـــــويهة والبـــعير

وتسمى الحيرة اليوم (الجعارة) وهي بقرب النجف.

العودة الى النجف:

وبعدما فرغنا من زيارة المشاهد والمساجد المباركة، عدنا الى النجف الاشرف، وبقينا فيها من ١٣ شهر رمضان الى أوائل ذي القعدة الحرام سنة ١٣٥٢.

العودة الى كربلا:

وخرجنا من النجف في أوائل ذي القعدة الحرام من سنة ١٣٥٢ الى كربلا، وبقينا فيها أياماً قلائل جددنا فيها العهد بالزيارة واستفدنا من بعض خزائن كتبها، ثم ذهبنا الى بغداد فالكاظمية.

في بغداد والكاظمية:

ووقع الينا بعض الكتب المخطوطة القديمة في بغداد والكاظمية نقلنا منها شيئاً كثيراً منها جزء من أجزاء دمية القصر.

وجاءنا يوماً الشيخ آقابزرك الطهراني مؤلف كتاب الذريعة في مؤلفات الشيعة وغيره، ونحن لا نعرفه وبعدما جلس أخبرنا باسمه فرحبنا به، وقلنا له: كنا نود رؤية كتابك الذريعة، فقال: ها هو معي. وأخرج أجزاءه من تحت عباءته مشدودة في منديل، فبقي عندنا الكتاب مدة مقامنا بالكاظمية ثم أخذناه معنا الى الكوفة فبقي عندنا حتى رجعنا الى سامراء، وذلك نحو شهرين واستفدنا من الكتاب فوائد كثيرة.

وآقا بزرك رجل حسن الأخلاق عالي الهمة كان شريكنا في الدرس عند شيخنا الفقيه الشيخ آقا رضا الهمداني.

وقد شرع في جمع كتابه هذا من مدة طويلة في أوائل مجيئنا من النجف الى دمشق، وسيكون له شأن من الشأن وقد طبع منه ثلاثة أجزاء، وبات عندنا في منزلنا بالكاظمية عدة ليال كان يقضي جلها ساهراً في المطالعة.

وقد علمنا أن له كتباً في التراجم أحدها يسمى سعداء النفوس لم يخبرنا بها ولم يطلعنا عليها.

وزارنا في الكاظمية المحامي عباس عزاوي من أهل بغداد، واستعار منا بعض الكتب التي كانت بصحبتنا، وهو رجل فاضل حسن الخلق وله ولع باقتناء الكتب، وعنده مكتبة كبيرة.

وقد زرنا مكتبته في بغداد وبقينا فيها من الصبح الى الظهر نشتغل بالنقل من محتوياتها، واستعرنا منها بعض الكتب وأتينا به الى المنزل ونقلنا منه، وكان فيها ديوان الشيخ صالح التميمي.

وهو يشتغل بتأليف كتاب في تاريخ بغداد وبلغنا بعد ذلك انه طبعه.

وزرنا أيضاً مكتبة الشيخ مهدي ابن الحاج محمد حسن كبه في بغداد، واستفدنا منها وأخذنا بعض محتوياتها الى منزلنا.

في الكرادة:

والكرادة: مكان نزهة بقرب بغداد على شاطىء دجلة أهله يستقون الماء بالكرد من دجلة لسقي أراضيهم، فيرفعون ماء النهر على البقر وغيره بجلد ثور أو بعير مدبوغ.

ويسمى ذلك الموضع بآلاته وناضحه كراد وجمعه كرود وأصحابه كرادة، وتسمية الموضع بالكرادة باعتبار اهله من باب اقامة المضاف اليه مقام المضاف، ويوجد مثله في الحجاز على الأباعر ويسمى البعير ناضحاً.

وقد بنيت في الكرادة الدور وشيدت القصور لاجلاء بغداد وأغنيائها.

وقد اشترى فيها الشيخ محمد رضا الشبيبي أرضا على الشط وبنى فيها داراً، فدعانا الى منزله هناك فبقينا عنده نحو أربعة أيام، بالغ فيها في اكرامنا وأعطانا عدة كتب نقلنا منها لكتابنا اعيان الشيعة.

وأنسنا بعشرة والده الشاعر الشهير الشيخ جواد.

ومن لطائف الاتفاق أن والده زارنا ببغداد فلم نعرفه وكنا وقتئذ نشتغل بنقل شيء من شعره، فاستغلق علينا بعض الابيات فقلنا له: لعلك سمعت هذا البيت من شعر الشيخ جواد الشبيبي.

فقال: نعم أنا ناظمه، فعجبنا من حسن هذا الاتفاق.

مكتبة السيد هبة الدين:

ودعانا لمنزله في بغداد العلامة السيد هبة الدين الشهرستاني، وعنده مكتبة حافلة استفدنا من محتوياتها.

قبور العظماء ببغداد:

ببغداد قبور جماعة من العظماء (منها): قبر محمد بن يعقوب الكليني محدث الشيعة صاحب الكافي، والمشهور انه قرب الجسر من الجانب الشرقي، ولكن الدكتور مصطفى جواد حقق انه ليس هناك.

(ومنها): قبر الحسين بن روح النوبختي أحد نواب المهدي عليه السلام.

(ومنها): قبر محمد بن عثمان السمري أحد النواب ايضاً.

(ومنها): قبر الامام ابي حنيفة امام المذهب.

(ومنها): قبر الشيخ عبد القادر الكيلاني.

(ومنها): قبر الامام احمد بن حنبل امام المذهب طغى عليه الشط فلا يعرف له اليوم قبر.

(ومنها): قبر السيدة زبيدة زوجة الرشيد وام الامين.

(ومنها): قبر معروف الكرخي الزاهد المشهور.

سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان:

وتشرفنا بزيارة سلمان الفارسي، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما

بالمدائن المعروفة اليوم بسلمان باك[1].

وكان قبر حذيفة قريباً من الشط فطغى عليه دجلة فنقلوا تراب قبره الى قرب قبر سلمان الفارسي.

ومدفن سلمان يبعد عن بغداد الى جهة الشرق الجنوبي نحو أربعة فراسخ، وهو مشهد عليه قبة وله صحن واسع محاط بسور.

ومن شجون الحديث اننا لما زرنا قبر سلمان الفارسي، وجدنا هندياً هناك بزي الدراويش، يصيح بين آونة وأخرى بصوت منكر يشبه أصوات الحيوانات، ولا يبارح مكانه ويأتون اليه بطعامه وشرابه فسبحان مفرق العقول وخالق الناس أطواراً.

أيوان كسرى:

ودخلنا الى ايوان كسرى وهو قريب من مشهد سلمان وشاهدنا القصر الأبيض، الذي بجانبه الى جهة الجنوب ولا يزال جداره الشمالي قائماً، وقد ثلمت ثلمة في اسفله فاصلحت في هذا الزمان.

وايوان كسرى هو من بناء كسرى انو شروان على المشهور، وهو يبعد عن بغداد نحو ستة فراسخ، وهو مبني بالآجر الكبير المستطيل طول كل آجرة شبران وعرضها شبر مشاد بالجص والزفت.

وطول القصر مائة وثمانون قدما وارتفاعه ثمانون قدماً والايوان في وسط القصر، وفم الايوان يزيد عن سبعين قدماً وارتفاعه يزيد عن ثمانين قدماً.

وليس له منفذ من غير جهة مدخله، وسقفه معقود كالقنطرة، وللشعراء في وصفه قصائد كثيرة احسنها قصيدة البحتري.

---

(١) أصلها پاك وهي فارسية ومعناها الطاهر.

في سامراء:

وزرنا المشاهد الشريفة في سامرا، فذهبنا اليها في القطار الحديدي، الذي يذهب اليها في الاسبوع مرتين، ويمضي منها الى كركوك ثم الى منتهى الخط، الذي لم يكن وصل يومئذ الى الموصل.

ومحطة سامراء في جانب دجلة الغربي، فعبرنا منها الى البلدة في الجانب الشرقي في زوارق، جعلت لها الحكومة اجراً محدوداً عشرين فلسا عن كل نفس، فبتنا فيها ليلتين وزارنا فيها العالم الفاضل الشيخ محمد الطهراني، ولم نتوفق لزيارة مكتبته النفيسة، ثم زرناها مرة اخرى قبيل سفرنا الى ايران.

وفي سامراء عدد من طلاب العلم الديني المهاجرين، لا اظن عددهم يتجاوز الأربعين بعدما كانت سامراء تعج بالطلاب عجيجاً في عصر الميرزا الشيرازي.

والطلاب اليوم تأتيهم بعض الاعانات من أهل الخير ويقوم بخبزهم رجل تاجر من بلاد الترك الايرانيين.

وساءنا منهم تشاكسهم، فهم على قلتهم فرقتان ولهم في الصحن الشريف جماعتان.

وحدثني السيد محمد مهدي الصدر انه بلغ بهم التشاكس الى ان كتبوا الى باذل خبزهم يشتكون، فقطع الخبز عن الجميع، فجاؤوا الى السيد محمد مهدي طالبين اليه ان يتوسط لدى وكيل الباذل في بغداد بإعادة خبزهم، فلم يقبل الوكيل أن يعيد اليهم الخبز، الا اذا تعهد له السيد محمد مهدي بدفع ثمن ذلك ان لم يقبل الباذل، فتعهد له على وجل لان ذلك ليس باستطاعته، فكان من التوفيق أن أعاد لهم الباذل الخبز.

سامراء:

وسامراء مدينة نزهة على شاطيء دجلة الشرقي بناها المعتصم، لما ضاقت

بغداد بعسكره الأتراك، فقال له أهل بغداد: أخرج عنا والا رميناك بسهام الليل، يعنون الدعاء.

فخرج عنهم وبنى سامراء، ونقل اليها الدواوين، فأخذت في العمران حتى بلغت مبلغاً عظيماً.

وتناقص عمران بغداد وبقيت دار الخلافة مدة طويلة، ثم خرج الخلفاء منها الى بغداد فتناقص عمرانها حتى أصبحت اليوم قرية صغيرة يحيط بها سور.

وسميت في أول الامر (سر من رأى)، ثم خففت فقيل سامراء، وتسمى أيضاً العسكر لاقامة عسكر المعتصم فيها.

وفيها قبر الامام علي بن محمد الهادي، وابنه الحسن بن علي العسكري عليهما السلام.

كان استدعاهما ملوك بني العباس اليها وأجبراهما على الاقامة فيها خوفاً منهما ان ينازعاهم في الخلافة، لاعتقاد جمع من الناس بامامتهما، وميل جميع الناس اليهما، فماتا بها ودفنا في دارهما.

وفيها قبرا حليمة[1] أخت علي الهادي ونرجس زوجة الحسن العسكري وأم المهدي، وعلى الجميع قبة عظيمة كسيت بالذهب الابريز كأنها الجبل الشاهق.

وفيها السرداب المسمى سرادب الغيبة، وهو سرداب الدار التي سكنها العسكريان عليهما السلام، وذلك ان اتخاذ السراديب في الدور أمر متعارف في العراق، يأوي اليها الناس وقت الظهيرة، توقياً من الحر.

فكان هذا السرداب لهذه الدار كسائر سراديب دور العراق، يتقي به الائمة الحر وقت الظهيرة ويقيمون فيه في ذلك الوقت.

وكان له طريق تحت الارض من دار الامامين التي هي محل دفنهما، وبقي هذا الطريق بعد دفنهما فيها، فكان الزوار يخرجون من الحضرة الشريفة في ذلك

---

(١) وفي بعض الروايات حكيمة.

الطريق حتى يصلوا الى باب السرداب فيدخلوه.

كما تدل على ذلك بعض كتب المزارات، ثم سد ذلك الطريق وفتح للسرداب باب ملاصق له، وصار يمشي اليه من الحضرة الشريفة على وجه الارض.

والسرداب اظنه لفظ مركب من (سرد) وهي بالفارسية بمعنى بارد (وآب) بمعنى ماء أي مبرد الماء، لان الماء اذا وضع فيه برد.

ومن زعم ان الشيعة تقول بوجود الامام الثاني عشر في السرداب وغيابه فيه فقد اخطأ، وانما يتبركون بهذا المكان من باب التبرك بآثار الصالحين، ويدعون الله تعالى فيه ويصلون ويذكرونه ويستغفرون.

وفي قبلي السرداب كانت قبور الخلفاء العباسيين فدرست لما عمره وما حوله بعض الامراء.

وهذا السرداب بناه الخليفة الناصر العباسي، وجعل فيه شباكاً من الابنوس الفاخر أو الساج، كتب على دائره حفراً بطرز أنيق اسمه وتاريخ عمله، وهو باق لهذا الوقت وكأنما فرغ منه الصناع الآن، وهذه صورة ما كتب عليه:

بسم الله الرحمن الرحيم **﴿قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إن الله غفور شكور﴾** هذا ما امر بعمله سيدنا ومولانا الامام المفترض الطاعة على جميع الانام ابو العباس احمد الناصر لدين الله امير المؤمنين وخليفة رب العالمين، الذي طبق البلاد احسانه وعدله، وعم العباد رأفته وفضله، قرن الله أوامره الشريفة باستمرار النجاح والنشر وناطها بالتأييد والنصر، وجعل لايامه المخلدة جيداً لا يكبو جواده، ولارائه المجدة سعداً لا يخبو زناده في عز تخضع له الاقدار، فيطيعه عواصيها، وملك تخشع له الملوك، فيملكه نواصيها.

بتولي المملوك معد بن الحسين بن معد الموسوي الذي يرجو الحياة في

أيامه المخلدة، ويتمنى انفاق عمره في الدعاء لدولته المؤيدة، استجاب الله ادعيته وبلغه في أيامه الشريفة امنيته من سنة ٦٠٦ الهلالية، وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله الطاهرين وعترته وسلم تسليماً.

ونقش في خشب الساج داخل الصفة في ظهر الحائط ما صورته:

بسم الله الرحمن الرحيم. محمد رسول الله. امير المؤمنين علي ولي الله. فاطمة الحسن بن علي وبعده اسماء باقي الائمة وفي الختام القائم بالحق عليه السلام، وهذا عمل علي بن محمد ولي آل محمد رحمه الله.

الملوية:

وقريب من السور الموجود اليوم مسجد بقيت حيطانه، وبجانبه مأذنة يسمونها الملوية، وهي على شكل غريب طريقها من خارجها متسع، بحيث يسع الفارس إذا مشى عليه وليس هو درجا، بل مسرح تسريحا قليلا، وكأنها كانت مأذنة لذلك المسجد.

وفي شمالي البلد اليوم في مكان بعيد آثار قصور الخلفاء ودورهم.

وفي الطريق الى سامراء جسر يسمى (جسر حربي)، فقد نقش عليه بالآجر اسم بانيه من العباسيين وتاريخ بنائه.

ولما توطن الميرزا الشيرازي سامراء، بنى فيها مدرسة كبيرة أو مدرستين، وبنى فيها سوقاً ونصب على دجلة جسراً غرم عليه الف ليرة عثمانية ذهباً، وسلمه للحكومة العثمانية.

وكان الناس يعبرون قبل ذلك في القفف فيلاقون الأمرّين.

ولما توفي الميرزا اضمحلت المدرسة وخرب الجسر بعد مدة بتهاون أهل البلد، لانهم لا يودون وجود الجسر لئلا تنقطع عنهم أجرة العبور.

وفي هذه الايام بعدما بني في بغداد جسران ثابتان نقل احد الجسرين القديمين الى سامراء.

العودة الى الكاظمية فكربلاء فالنجف:

ثم عدنا الى الكاظمية وبعدها الى كربلاء ثالثاً في السيارة، وكنا مدة مقامنا القصيرة بكربلاء نحضر كل يوم الى المكتبة، التي كانت للشيخ عبد الحسين الطهراني العالم المشهور، وننقل من محتوياتها ما يصلح لكتابنا.

وهذه المكتبة كانت حافلة بنفائس المخطوطات، الا انها نهبت بعد الحرب العامة ولم يبق فيها الا النزر اليسير، وكان فيها كتاب المجسطي بخط الخاجة نصير الدين الطوسي، فنهب فيما نهب.

ورأينا فيها كتاب الشرائع للمحقق الحلي بخط الشيخ ابراهيم العاملي الكفعمي صاحب المصباح.

ثم عدنا من كربلا الى النجف فوصلناها يوم ١١ ذي الحجة عام ١٣٥٢، وزرنا فيها زيارة الغدير في ١٨ منه، وأخذنا داراً في الكوفة، فكنا في اغلب الايام نحضر الى النجف في العربة صباحاً الى منزل الفاضل الشيخ محمد السماوي، فننقل من مكتبته الحافلة بنفائس المخطوطات.

وفي بعض الايام من المكتبة الغروية التي وضع بقاياها بمساعيه في بعض حجرات الصحن الشريف، وعند المغرب نعود الى الكوفة فنبيت بها، ونشتغل ليلاً بالنسخ مما عندنا من الكتب، التي نستعيرها.

واذا اتفق اننا لم نحضر الى النجف فنشتغل بالنسخ من الكتب التي عندنا، ويساعدنا على ذلك الفاضل السيد ميرزا الخطيب والشيخ ضياء الدين الخالصي الذي لم يفارقنا مدة وجودنا في العراق حتى سافرنا الى ايران.

واتفق ان وقع بعد المغرب ونحن في الكوفة بَرَد عظيم، يقارب حجم الكبير منه الجوز، فاتلف كثيرا من الخضر التي كانت في أوائل خروج أصولها حتى قدر التالف منها بألوف الدنانير.

وكانت عندنا نسخة من رجال بحر العلوم الطباطبائي كنا استنسخناها في

جبل عامل وصححناها في النجف على نسخة الاصل.

وسبب اتصال هذه النسخة الينا في جبل عامل اننا زرنا مكتبة آل سليمان في البياض، فاعطانا صاحبها كتاباً ذهب اوله وقال: انه رجال ابو علي، فلما نظرناه قلنا له ليس هذا رجال ابي علي، ونظنه رجال بحر العلوم الطباطبائي، ولم نكن رأينا رجال بحر العلوم، ولكننا كنا رأينا كلاماً نقل في بعض الكتب عنه، فوجدناه يستقصي في بحثه عن الرجال، ووجدنا الكتاب الناقص يشبه نفسه فكان كما ظننا.

وكذلك أتممنا استنساخ الجزء الثاني من كتاب نسمة السحر فيمن تشيع وشعر، الذي كنا استنسخنا الجزء الاول منه من قبل.

وحصلنا مدة مقامنا في النجف على بعض المخطوطات النفيسة شراء واستعارة واستفدنا منها، فمن النسخ التي اشتريناها كتاب (الفصول المختارة) من المجالس، ومن العيون والمحاسن للمفيد اختيار تلميذه الشريف المرتضى، ولكن ترجح عندنا اخيرا انه موقوف، وقد طبع بعد ذلك في النجف، وهذا كان بغير جلد فجلدناه وقابلناه على نسخة صحيحة، فأصلحنا أغلاطه.

وكان معه كتاب الافصاح للمفيد وهو ناقص، فأتممناه ثم حصلت لنا نسخة أخرى من الافصاح مخطوطة في ايران.

وكان معه ايضا قطعة من كتاب لأبي مخنف، أخذنا منه بعض الفوائد وابتعنا نسخة من خلاصة العلامة، ومن ايضاح الاشتباه له والنسخة منقولة عن نسخة ولد ولد العلامة ومقروءة، وعليها خط فخر المحققين ولد العلامة.

واستمررنا على عادتنا في الذهاب الى النجف كل يوم، والنقل مما تصل اليه يدنا من الكتب مما هو من شرط كتابنا أعيان الشيعة، ولا نحضر مجالس العزاء في النهار ونقتصر على حضورها ليلا في الكوفة عند العودة اليها من النجف، فكنا نحضر كل ليلة مجلساً اذ لا يسعنا اكثر من ذلك إرضاءً للجميع.

الى خانقين:

ثم عدنا الى بغداد وتهيأنا للسفر الى ايران، فركبنا القطار الحديدي من محطة بغداد في يوم السبت ١٣ محرم الحرام سنة ١٣٥٣ هـ قاصدين خانقين.

وتحرك بنا القطار عند الغروب، فوصلنا خانقين بعد طلوع الفجر، وصلينا صلاة الصبح على نهرها.

وكان القطار يمر في بلاد عامرة ذات مزارع وحدائق وبساتين، فيها انواع الخضار والفواكة.

وخانقين آخر حدود العراق من جهة بلاد ايران، وهي بلدة ذات خيرات، فيها نهر عليه قنطرة عظيمة تزرع فيها انواع الزروع.

وينمو فيها البطيخ الأحمر[١] والاصفر كثيراً ونهرها يسمى نهر (الوند)، فكان مكوثنا في العراق اربعة اشهر.

أهل العراق:

واهل العراق أهل شهامة واباء وكرم وسخاء وشجاعة وشمم وغيرة على الاعراض.

تتجلى فيهم الاخلاق العربية الكريمة، وهم يكرمون الضيف ويتفاخرون بالبذل واكثار الزاد ويحمون الجار.

عمر الله بلادهم وأعلى شأنها، ودفع غوائل العدو عنهم.

بعض ما يجب اصلاحه في المشاهد المشرفة:

وهو أمور كثيرة أهمها فيما يخطر بالبال امران:

(الاول): اختلاط الرجال والنساء عند الدخول الى الحضرة الشريفة، ولا

---

(١) يعرف في العراق بـ «الرقي».

سيما في أيام الزيارات، التي أقل ما يجتمع فيها الالوف، ثم عشرات الالوف، ثم مئات الالوف، وما في ذلك من القبح والمفاسد ظاهر لا يحتاج الى بيان.

(واصلاحه): ممكن سهل، وهو ان يجعل باب تدخل منه النساء وحدها ولا يدخل منه الرجال، ومكان داخل الحضرة الشريفة تزور فيه النساء وحدها دون الرجال، او يجعل وقت زيارة الرجال غير وقت زيارة النساء.

(الثاني): حصول القذارات والاوساخ في الصحن الشريف، وأروقة الحضرات الشريفة من الزوار الذين فيهم الاعراب والفلاحون، واهل البوادي.

وهذا وان كان منعه غير متيسر لمن يعرف كثرة توارد الزوار الى هذه البقاع الشريفة كثرة مفرطة، ولكن يمكن تداركه بوضع موظفين لازالة الاوساخ بسرعة عند حصولها.

واذكر لك من ذلك مثالا، وهو أن اهل بغداد يزورون الكاظمين يوم السبت، وان كان الجمعة افضل منه، لان تجار بغداد لا يمكنهم بيع وشراء شيء بدون وساطة الدلال.

والدلالون كلهم يهود فيوم السبت يكون التجار فارغين، فيزورون فيه.

فجئنا عصر السبت الى صحن الكاظمين، وأردنا الجلوس في بعض الأواوين، فوجدنا جميع الاواوين مملوءة بالاوساخ، مما تركه فيها الزوار من قشور البطيخ وبزره ومثال ذلك، فلو كان هناك خادم موظف لازالة الاوساخ لأزالها بعد قيام الزوار.

وهناك أمور كثيرة في المشاهد الشريفة هي موضع الانتقاد نكتفي عنها بما مر.

المشاهد المشرفة لائمة أهل البيت عليهم السلام في العراق بوجه العموم:

دفن في العراق من ائمة اهل البيت الطاهر ستة:

(أولهم): أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله،

وصهره على ابنته الزهراء وابو ولديه الحسن والحسين، ووصيه ووارث علمه وخليفته في أمته.

ولد بمكة المكرمة في الكعبة المشرفة[1]، كما نص عليه صاحب السيرة الحلبية، وربي في حجر الرسول ﷺ.

وكان اول من آمن به وحامى عنه، وبات على فراشه ليلة الغار يقيه بنفسه، وأوصاه بأداء أماناته، وائتمنه على الفواطم: فاطمة ابنته وفاطمة بنت اسد ام علي، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب.

ولحقه سبعة فوارس ليردوه، فقتل مقدمهم ورجع الباقون.

وبقي النبي ﷺ بقبا لم يرض أن يدخل المدينة حتى جاء.

وبنى له بالمدينة داراً بجنب داره، التي كانت تسكنها إحدى زوجاته.

وجاهد بين يديه في حروبه، وقتل الأبطال وبارز الشجعان، وسنّه فوق العشرين بقليل.

فقتل يوم بدر الوليد بن عتبة، وشرك في قتل أبيه عتبة، وقتل نحو النصف ممن قتل ببدر.

وقتل أصحاب اللواء كلّهم بأحد، وحامى عن رسول الله ﷺ، وذب عنه وطرد عنه المشركين لما حاولوا قتله، حيث انهزم الناس.

وقتل عمرو بن عبد ود يوم الخندق، حين جبن عنه الناس جميعا، وكفى الله المؤمنين القتال به.

وقتل مرحباً يوم خيبر، وفتح الحصن بعدما عاد غيره منهزماً.

---

(١) قال الآلوسي في شرح قصيدة عبد الباقي العمري العينية التي مطلعها:

انت العلي الذي فوق العلى رفعا
بطن مكة وسط البيت اذ وضعا

ان كون الامير كرم‌الله وجهه ولد في البيت امر مشهور في الدنيا.

ولم يتخلف عن مشهد من المشاهد (ولا موقف الا له فيه موقف)، الا يوم تبوك فخلفه النبي ﷺ على المدينة لما علم انه لا يلقى قتالاً، وفيها قال: «انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي».

ونص عليه بالخلافة يوم الغدير، وجعله أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

ولما تقدم عليه غيره بعد وفاة النبي ﷺ، صبر ابقاءً على الاسلام، وخوفاً من ارتداد الناس لقرب عهدهم بالشرك.

ولما أراد الخليفة الثاني الذهاب لقتال الفرس، محضه النصيحة، وكان الصواب في رأيه.

وما زال ناصحاً للاسلام والمسلمين، والى ارائه وفتاواه يرجعون عند اعتراض الشبهات، فيرشدهم للصواب.

ولما أفضى الامر اليه، بلي بحرب الناكثين والقاسطين والمارقين، فنكث أصحاب الجمل ببيعته وخرجوا الى البصرة معتلين بالطلب بدم عثمان، وهم الذين خذلوه وحرضوا عليه حتى قتل، وهو كان يدافع عنه ويرتق فتوق مروان عليه ما استطاع، فاضطر الى الخروج للبصرة وقتالهم فنصره الله عليهم.

وسار الى الكوفة واتخذها دار سكناه، وخالفه معاوية بالشام، واحتال على أهلها بالطلب بدم عثمان حتى كانت حرب صفين، وسلم منها معاوية بالمكر والخداع.

ونجم منها خروج الخوارج المارقين، ثم قتله أحدهم عبد الرحمن بن ملجم.

ودفن بالغري بظهر الكوفة سراً خوفا من بني أمية.

ولم يكن يعرف قبره غير ولده، وخواص شيعته في عهد المنصور.

وهذا هو قبره الشريف بغير ريب لان اولاده وشيعتهم زاروه في هذا المكان من يوم دفنه الى اليوم.

وأعرف الناس بقبر المرء أولاده وخواصه.

(**ثانيهم**): ولده الامام ابو عبد الله الحسين بن علي شهيد كربلا، وسيد الشهداء، جاء من المدينة الى العراق باستدعاء من أهل الكوفة، ووجهته الكوفة.

فلما وصل الى أميال من الكوفة لقيه الحر مرسلاً من قبل الدعي ابن الدعي عبيد الله بن زياد، بأمر يزيد في الف فارس.

وأراد الحر اخذه الى الكوفة فأبى الحسين ذلك، ثم اتفقا على أن يأخذ الحسين طريقا لا يدخله الكوفة ولا يرده الى المدينة، فتياسر عن طريق الكوفة.

وسار والحر يسايره حتى بلغ كربلاء، واستشهد هناك بعدما خذله أهل الكوفة، ودفنه بنو اسد في محل مصرعه بكربلا بعد قتله بثلاثة أيام، ثم بنيت حول قبره البيوت والدور تدريجا.

وهدم قبره المتوكل ومنع من زيارته بغضا وعناداً لله ولرسوله، وارادة لاطفاء نوره ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون.

فقبر المتوكل قد نبش وعفي رسمه وقبر الحسين عليه السلام يزوره الوف الالوف من المسلمين في كل عام وفي كل وقت.

وما زال يكثر بناء الدور عند قبره بكربلاء حتى أصبحت كربلاء مدينة عظيمة بين مدن العراق.

(**ثالثهم ورابعهم**): الامام موسى بن جعفر الملقب بالكاظم وحفيده الامام محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم، أما الكاظم فقبض عليه هارون الرشيد في المدينة المنورة، لما رأى من ميل الناس اليه وارسله الى البصرة، فحبسه بها عند بعض عمومته، ثم أرسل اليه عمه يستعفيه من حبسه عنده، لانه لم يرَ منه ما يستوجب الحبس ويطلب اليه أن يرسل اليه من يتسلّمه منه والا أطلقه.

فأخذه الى بغداد وحبسه عند الفضل بن يحيى، فوسع عليه فنقله الرشيد من عند الفضل الى عند السندي بن شاهك ببغداد، وأمره بالتضييق عليه ففعل.

فبقي في السجن ما بين البصرة وبغداد عدة سنين ثم سمه الرشيد على يد السندي.

ولما مات دفن بمقابر قريش وهو محل بلدة الكاظمية اليوم.

وأما حفيده الامام الجواد فاستدعاه المأمون من المدينة الى بغداد بعد موت ابيه الرضا وزوّجه ابنته‌ام الفضل.

وتوفي ببغداد بعد المأمون في عهد أخيه المعتصم، ودفن بمقابر قريش بجنب جده الكاظم، ثم بنيت البيوت والدور عند القبرين حتى صارت مدينة تدعى الكاظمية أو بلد الكاظمين.

(**خامسهم وسادسهم**): الامامان علي الهادي وابنه الحسن العسكري، (أما الهادي): فاستدعاه المتوكل من المدينة الى العراق، والزمه بسكنى سامراء فسكنها الى ان توفي بها، ودفن في داره، واما العسكري نسبة الى العسكر وهي من أسماء سامراء او اسم محلة بها كان يسكنها.

ويقال له ولابيه العسكريان فانه توفي في سامراء ودفن في داره الى جنب ابيه.

هذا هو سبب مجيء هؤلاء الائمة الستة من أئمة أهل البيت الطاهر من الحجاز الى العراق، ودفنهم في هذه الاماكن.

وفي ذلك يقول بعض الشعراء الشيعة:

بعض بطيبة مدفون وبعضهم

بكربلا وبعض بالغريين

وأرض طوس وسامرا وقد ضمنت

بغداد بدرين حلا وسط قبرين

الى بلاد ايران:

وعند الضحى من ذلك اليوم الذي وصلنا فيه خانقين، ركبنا السيارة من خانقين الى كرمنشاه.

والعادة ان يدفع نصف الاجرة في خانقين والنصف الثاني في كرمانشاه، ووجدنا هناك الصيارفة اليهود يبدلون الدنانير العراقية بنقود ايرانية تسمى القرانات او الريالات، مما دل على أنهم لا يدعون بابا تحمل منه الدراهم الا ولجوه.

فابدلنا بعض ما معنا منها، وسرنا حتى وصلنا مخفر الحدود العراقية المسمى المنذرية، وهناك برج قد بني علامة للحدود، ووضع عليه علم عراقي، وقد فرش[1] الطريق من خانقين الى المخفر بالزفت.

وبعد رؤية الجوازات والتأشير عليها خرجنا الى مخفر (خسروي) الايراني، وبينهما بضع دقائق، وهو اول الحدود الايرانية من جهة العراق.

وكان معنا كتاب من قنصل ايران في بيروت، فارسلناه الى رئيس الكمرك هناك، وقد قيل لنا انه ارمني.

فدعانا الى مكتبه وأسرع في انجاز اشغالنا، وقال لموظف صغير عنده اسمه نوروز ان يقدم تفتيش سيارتنا على غيرها ففعل.

وفي خسروي محل للكمرك فيه عدة موظفين له وللجوازات، وفيه بعض الجنود الايرانيين، وخرجنا من خسروي نطلب قصر شيرين فوصلناها قبل الظهر.

قصر شيرين:

وهي أول بلدة في حدود ايران من جهة العراق، وشيرين اسم جارية كانت لكسرى ابرويز من ملوك الفرس، ولها حظوة عنده، بنى لها قصرا في هذا المكان

---

(١) يعني عبّد.

فسميت البلدة قصر شيرين لذلك.

ومعنى شيرين بالفارسية الحلو، قال ياقوت في معجم البلدان: «كانت شيرين من اجمل خلق الله، والفرس يقولون كان لكسرى ابرويز ثلاثة اشياء لم يكن ملك قبله ولا بعده مثلها: فرسه (شبديز) وجاريته (شيرين) ومغنيه وعوّاده (بلهبذ)، قال: وفي قصر شيرين ابنية عظيمة شاهقة يكلّ الطرف عن تحديدها، وهي ايوانات كثيرة متصلة وخلوات وخزائن وقصور وعقود ومتنزهات ومستشرفات وأروقة وميادين ومصايد وحجرات تدل على طول وقوة اهـ

وعن كتاب عجائب المخلوقات في تواريخ العجم: إن محظية كسرى ابرويز شيرين لما بنوا لها قصرها المشهور، وهو موجود الى زماننا هذا في موضع عال وأرض سبخة لا زرع حواليها، وكانت تحب اللبن الحليب، والغنم كانت بعيدة عن القصر مقدار فرسخين، فامرت ان يبنى حائط بمقدار فرسخين، ويجعل على الحائط ساقية منحوتة من الحجر وتغطى بألواح حجرية، فاذا صبوا فيها اللبن من مكان الغنم جاء اللبن الى القصر طريا حليبا، فطلبوا حجّارا تولى ذلك، وكلمته شيرين وامرته بذلك، ووعدته بالانعام واسم الرجل فرهاد.

فلما رأى شيرين علقت بقلبه وتاه في حبها، وبنى الحائط وركب عليه ساقية مغطاة بالواح حجرية مقدار فرسخين، والى الآن القصر والحائط والساقية باقية. فلما فرغ منها أعطته مالاً رده اليها.

وتاه في حبها واعتزل الناس فوصل هذا الخبر الى كسرى ابرويز، فأمر باحضاره فدخل على الملك وهو رجل طويل القامة ضخم الجثة رحب الباع مثل الجمل الهائج.

فأراد كسرى أن يشغله بأمر يصرف عمره فيه فقال: ان على طرقنا حجراً يمنعنا من العبور، نريد ان نفتح فيه طريقا يصلح لمرورنا وعلمنا انه ليس لهذا الامر غيرك، وأشار الى بيستون وانما اختار ذلك لشموخه، وفرط صلابة حجره.

فقال فرهاد: أرفع هذا الحجر عن طريق الملك إن ملكني بعد فراغي منه شيرين، فاستبشع كسرى هذا الكلام، وقال في نفسه: كيف يقدر على هذا فأجابه بأني أفعل ذلك اذا فرغت.

فخرج فرهاد من عند الملك، ورسم في هذا الجبل دربـاً يـتسع لعشـرين فارساً عرضاً، وسمكه أعلى من الرايات والاعلام.

وكان يقطعه طول نهاره وينقل طول ليله، ويـرصف القـطاع الكـبار شـبه الأعدال في سفح الجبل ترصيفاً حسناً، ويحشو خلالها بالنحاتة، ويسـويها مـع الطريق.

فذكر يوما عند كسرى شـدة اهـتمام فـرهاد بـقطع الجـبل، فـقال بـعض الحاضرين: رأيته يرمي بكل ضربة شبه جبل، ولو بقي على ما هو عليه لا يبعد ان يفتح الطريق.

ففرق كسرى وشاور القوم في أمره فقال بعضهم: أنا اكفيكم امره.

فبعث اليه من اخبره بموت شيرين فلما سمع ضرب قدومه على الحـجر، واثبته فيه، وجعل يضرب رأسه عليه حتى مات، ومقدار فتحه في الجـبل غـلوة سهم.

وتلك الآثار باقية الى الان لا ريب فيها اهـ

فسبحان من لايدوم الا ملكه، ولم يبق من هذه الآثار التي ذكرها ياقوت، وصاحب عجائب المخلوقات الا آثار القصر، وهو خارج البلدة.

ورأينا آثاره ليلاً حين مررنا من هناك.

وقد قيلت في شيرين وابرويز وشبديز اشعار كثيرة، نذكر بعضها عند ذكر كرمنشاه.

النفط في قصر شيرين:

وفي قصر شيرين نهر كبير يرى من البلدة جارياً بتعاريج، وفيها منبع للنفط اخذ امتيازه الانكليز، فرأيناهم قد مدّوا انابيبه من قصر شيرين الى كرمانشاه، ليجعلوا مصفاته في كرمانشاه بجانب النهر الذي هو شمالي المدينة.

وجمعوا من الحصى والرمل هناك شيئاً كثيراً ليبنوا منه ما يحتاجون اليه لمصلحة النفط بالاسمنت، ووضعوا انبوباً كبيراً من الحديد ليستخرجوا به ماء النهر بواسطة (الطلنبة) لعلو جوانب النهر عن الماء.

وكانت تلك الانابيب عند ذهابنا مكشوفة، وعند عودتنا وجدناهم قد طموها حتى وصلوا الى قرب كرمانشاه، وقد نصبوا خيامهم الكثيرة في عدة أماكن، والفعلة الذين يشتغلون هم ايرانيون والمهندس انكليزي.

ويحمل العامل الايراني فوق رأس المهندس الانكليزي شمسية عظيمة بقدر الخيمة الصغيرة لتقيه حر الشمس.

ولا تزيد اجرة العامل الايراني عن ثلاثة قرانات تعادل ثلاثة فرنكات في ذلك الوقت، الذي كانت فيه الليرة العثمانية تعادل خمس ليرات سورية ونصفا، والليرة السورية عشرين فرنكا ثم خرجنا. من قصر شيرين فمررنا بقرية سرنا منها الى:

اكرنت:

فمررنا قريباً منها عى مقهى هناك ولم نر البلد، وأهله حاذقون بصناعة السكاكين والملاقط وفؤوس تكسير السكر[1] وغيرها.

فنزلنا في ذلك المقهى على ماء جار هناك، ثم سرنا من اكرنت فمررنا في

---

(١) ينتج السكر في ايران بصورة قوالب يدعى الواحد منها: (كلّة قند) والايرانيون يحتسون الشاي مرّاً بعد أن يضعوا في الفم قطعة صغيرة من القند (السكر) للتحلية.

طريقنا بقرية تسمى:

هارون آباد:

ويقال انها من بناء هارون الرشيد، ولما تملكها البهلوي سماها: شاه آباد، وانشأ بها عمارة، فمررنا بها في الذهاب.

ولما مررنا بها في الرجوع، وجدنا البنائين يبنون بها عمارة بالصخر والحجارة.

وعمارة ايران كلها بالآجر، ورأينا الشرطة فيها يراقبون العمال وربما عملوا معهم فتذكرنا أيام كان الجند يحرسون الحجارة وآلات البناء لعمارة عزت باشا العابد في ساحة المرجة بدمشق.

وسرنا من شاه آباد الى:

ماهي دشت:

وماهي بالفارسية: السمك، ودشت: البرية ويوجد بها سمك كثير في نهر هناك ومن ماهي دشت الى:

كرمانشاه:

فدخلناها[1] يوم الاحد ١٥ المحرم سنة ١٣٥٣ وفي كرمانشاه صرنا نفتش عن المكاتب والكتب، لنأخذ منها لكتابنا اعيان الشيعة، فأخذنا منها ما وصلت اليه مقدرتنا، ولم نقصر في البحث والتفتيش وعثرنا فيها على رسالة الشيخ حسين بن عبد الصمد والد البهائي التي يذكر فيها رحلته الى حلب واهتداء بعض اهلها على يده فنسخناها.

---

(١) كما اشرنا سابقا: يأبى على المؤلف تواضعه ان يذكر الاستقبالات العظيمة التي قوبل بها منذ اطلاله عى كرمانشاه حتى مغادرته ايران، واذا اضطر الى ان يشير الى شيء من ذلك اشار اليه عرضا كما سياتي في الحديث عن طهران وهمدان وملاير.

وهذه الرسالة كنا رأيناها في النجف أيام طلب العلم، واسفنا ان لا نكون نسخناها، فلما وجدناها هناك بادرنا الى نسخها، فنسخها لنا بعض السادة الفضلاء وهو السيد جواد الموسوي جزاه الله خيرا.

احتراق مكتبة:

ومما أسفنا له ان مكتبة امام الجمعة في كرمانشاه كانت قد احترقت قبل ورودنا بأيام، لانه وضع فيها مدفأة فاحترقت واتت النار على جميع ما فيها.

وفيها من نفائس المخطوطات ما لا يأتي عليه الحصر، وقد كانت كتبها تجمع من عهد الآقا محمد باقر البهبهاني العالم الفقيه الشهير، فذهبت ضحية الاهمال والتهاون.

وهل يستسيغ عاقل وضع مدفأة في مكتبة مملوءة بأنواع الكتب المخطوطة.

واخبرنا ان في كرمانشاه كتبا نفيسة عند امرأة من أهل البيوتات، فاجتهدنا في أن نتمكن من الاطلاع عيها فلم نوفق، وهكذا يكون نصيب الكتب اذا كانت بيد غير اهلها.

ومما اخبرني به بمنزله العامر في كرمانشاه من لفظه العلامة الشيخ حيدر قلي، وهو من اجلاء العلماء ويجيد اللغة الانكليزية، قال: رأيت في دائرة المعارف البريطانية صفحة ٩٠٤ الطبعة الثالثة والعشرين عند الكلام على المسكوكات العربية ما تعريبه ملخصا: «ان اول من امر بضرب السكة الاسلامية، هو الخليفة علي بالبصرة سنة ٤٠ من الهجرة الموافقة لسنة ٦٦٠ م، ثم أكمل الأمر عبد الملك الخليفة سنة ٧٦ من الهجرة الموافقة ٦٩٥ م ا هـ».

وعند الشيخ حيدر المذكور مكتبة حافلة استفدنا من محتوياتها كثيراً، وأهدانا نسخة مخطوطة من ديوان ابي فراس الحمداني مرتبة على حروف المعجم.

الشيخ بهلول:

وجاء الواعظ الطبسي الذي كنا رأيناه في النجف، وصعد المنبر، ووعظ ليالي قليلة، وأراده اهل كرمانشاه على الاقامة مدة فلم تتهيأ أسباب ذلك.

وصادف انه وجد في كرمانشاه في تلك الايام رجل واعظ من أهل العلم، يسمى الشيخ غلام رضا ويلقب (بهلول)، وهو رجل زاهد في الدنيا قانع بالقوت وباللباس الدون، وكان يسكن حجرة في المسجد، الذي نصلي فيه، فيأتي له المحسنون بقوته، واذا احتاج للقوت جعل نفسه حمالا وأخذ اجرة يقتات بها.

وصنعته الوعظ يصعد المنابر، ويعظ الناس بعد الصلوات بما لا يقل عن مدة ساعة، وقد يزيد ولا يطلب لذلك جزاءً، وينتقل من بلد الى آخر وحضر الى المسجد الذي نصلي فيه، والناس قد كثروا كثرة هائلة طمعا في أن يسمعوا موعظة الطبسي، واذا بالشيخ بهلول صعد المنبر.

والطبسي أرغب الى الناس منه، فافتتح كلامه بما تعريبه: من جاء منكم بأمل الطبسي فالطبسي قد ذهب وقد جاء بهلول.

وقد قال عن نفسه في بعض الايام على المنبر وأنا اسمعه ما تعريبه: الناس يقولون عني اني مجتهد واني تقي زاهد، فأنا لست بمجتهد ولكني طلبت العلم، وحصلت منه بعض المبادي، وقرأت الشرائع في الفقه وأنا لست مثل ابي ذر في الزهد، ولا في الشقاوة مثل يزيد بن معاوية.

فهذا كان يصعد المنبر كل ليلة بعد الصلاة مدة وجودنا في كرمانشاه، ويعظ الناس نحوا من ساعة، ولكنه كان ينزع عمامته الوسخة ويضعها بجانبه، ويعظ وهو مكشوف الرأس، ليس على رأسه غير قلنسوة.

فذكر في بعض الليالي خبر عبد الله بن عفيف الازدي المعروف، وقال: انه لما احاط به اصحاب عبيد الله بن زياد بالكوفة، كانت ابنته ترشده وتقول: أتاك

القوم من هنا ومن هنا فيذب عن نفسه، فرأوا انه لا يمكن أخذه ما دامت ابنته ترشده فأسروها.

فلما فرغ من موعظته ونزل عن المنبر دعوته، واسررت اليه والناس ينظرون ويفكرون ماذا أريد أن أسر اليه، فقلت له اولا: أنت واعظ وخطيب ولا يليق ان تعظ الناس، وانت مكشوف الرأس، اذ يطلب من مثلك ان يكون بزي الكمال، وهذا لا ربط له بالزهد والتقشف، فقد قال الفقهاء: ان لباس الشهرة ينافي العدالة، وهذا نظيره فليس لمثلك أن يمشي حافياً مكشوف الرأس لانه زاهد.

(ثانيا): ما نقلته في هذا الحديث كذب صريح، فابنة عبد الله بن عفيف لم تؤسر كما ذكره المفيد وغيره، وتركته وانصرفت ولم اخبر احدا بما قلته له.

ففي الليلة الثانية لم ينزع عمامته وقت الموعظة، وهكذا كل مدة اقامته في كرمانشاه ثم سألت عنه فقيل لي انه عاد الى عادته.

ولما وردت قما اخبرت انه قال لهم: ان فلانا أسر الي بكذا وكذا، وأنا عاتب عليه لم لم ينهني على رؤوس الأشهاد ليكون اردع لي، فقلت له: (ليعذرني من التقصير).

وكنت عازما ان لا اخبر بذلك أحدا ولكنه هو قد اخبر به.

ودخل علينا في بعض الأيام ونحن في منزل بعض الفضلاء جلوسا في سرداب، وهم يسمونه (زير زمين) وقد احضر صاحب المنزل لنا كتبا كثيرة، ونحن ننقل منها والحاضرون يساعدوننا، وفيها كتاب اسمه تذكرة القبور، فقلت لصاحب المنزل مداعبة: لا لزوم لهذا الكتاب فهذا السرداب هو تذكرة للقبور.

لما دخل بهلول قال: هذا المجلس يذكرنا بمحضر العلامة المجلسي، الذي كان أهله بين ناسخ وممل ومطالع ومصحح.

وصف بلدة كرمانشاه:

هكذا يلفظها عامة الناس وكثير يقولون كرمنشاه، والصواب في اسمها

كرمانشاهان اي مدينة الملوك، وشاهان جمع شاه، والشاه الملك والألف والنون علامة الجمع بلسان الفرس.

ولعلها سميت بذلك لان ملوك الفرس كانوا يسكنونها، ويدل عيه ما سيأتي في طاق بستان وبيستون.

والعرب قالوا في تعريبها قرميسين، وهي مدينة نزهة ذات أنهار وبساتين وعمارات جيدة.

وقد شرعت الحكومة في توسيع شوارعها وتشييد المباني فيها، وفيها بعض الشبه بقرى جبل عامل في ازقتها القديمة وسقوفها المبنية بالخشب، وفوقه التراب وفوق السطوح الاحجار الطويلة المدورة، التي تمر على السطوح ليثبت ترابها، فلا يخرقه المطر، وهي المسماة في بلادنا مداحل (أو محادل)، وأكثر أهل كرمانشاه مسلمون شيعيون.

ويوجد فيها مسلمون غيرهم من الاكراد ولهم مسجد يخصّهم وامام، واتفق أني رأيت يوماً رجلاً ليس على رأسه القلنسوة البهلوية، وليس لباسه لباس أهل العلم، فسألت كيف لم يلبس القبعة البهلوية بل لف على رأسه (شماغا) أسود مع انه ليس من أهل العلم، فقيل لي: هذا إمام جامع الاكراد من غير الشيعة. والامام يباح له ترك البهلوية.

وفي كرمانشاه كثير من اليهود، وفيها ثكنة عسكرية في قبلة البلدة، وقد كتبوا بالحصى المنضد على الارض وسط النبات الاخضر قريبا منها عبارات المدح للشاه (زنده باد شاه ايران) أي فليحي شاه ايران.

ومقبرتها في شمال البلدة، ولآل الاقا البهبهاني هناك مقبرة مبنية قد دفن فيها جملة من علمائهم.

وتزرع في أرضها انواع الحبوب على ماء النهر وماء المطر، وبقرها شبيه ببقر جبل عامل الا انه اكسح من مؤخره كسائر بقر ايران. ورأيت فيها شوك

الدردار.

وأهلها فرس وأكراد واتراك، وجل البلاد المجاورة لها أهلها اكراد، وهم يجلبون اليها الجبن والسمن واللبن والحطب المسمى في بلادنا بالسنديان والملول وغيرها.

ورأيت يوماً بعض الدواب تنقل الملح، وهو كالصخور ولم يكن عليه يومئذ للحكومة رسم.

ومنها يذهب الذاهب الى كردستان وفيها من المساجد الجامعة عدد كبير كنا نصلي في احدها، فيجتمع فيه الجم الغفير، وفيها طواحين على الماء.

وبانيها بهرام بن شابور ذي الاكتاف، وجددها قباد بن برويز، وبنى فيها أيضا انوشيروان العادل وخسروبرويز.

وقريب منها بينها وبين طاق بستان نهر يسمى قراسو، لا ينتفع منه أهلها الا بآلة رافعة للماء لعلو ارضها عن مجراه.

ومن المشهور بينهم ان سبب ذلك ان النبي ﷺ لما ارسل كتابا الى كسرى مزق الكتاب والقاه في النهر، فلذلك لم ينتفع به.

ومعجزات النبي ﷺ كثيرة متواترة معنى، لكن صدور معجزة منه في هذا النهر لم يثبت، والظاهر أن مجرى النهر من اصله على هذه الصفة، وان هذه الحكاية من بعض الاقاصيص.

حكاية:

ومما اتفق لنا في كرمانشاه انه جاء سيد صاحب مجلة، وذكر لنا ان امرأة كانت مصابة بمرض السرطان، وعجزت عنها الاطباء، فاستجارت بمرقد الرضا عليه السلام في طوس فبرئت، وان طبيباً افرنجياً اسمه الدكتور ارثور اعطى تقريراً بأنها لا تبرأ.

وقد طبع ذلك هذا السيد في ورقة وقرأها علينا.

وفي اليوم الثاني جاء وأعاد قراءتها وجعل يكرر قراءتها لكل قادم.

فقلت: ان فضائل ائمة اهل البيت عليهم السلام وكراماتهم لا يشك فيها أحد، ولكن كثيراً من الكرامات التي تنقل على السنة الناس هي مكذوبة، لان الكرامة لا تأتي عفوا، ومتى شاءها الانسان وعلى يد كل أحد ومع كل مناسبة، وانما تكون عند موجب قوي يقتضيها، فأهل النجف يقولون ان المعدان جاؤا لزيارة امير المؤمنين عليه السلام وباب البلد مغلق ففتح لهم الأمير الباب، وهل كان الامير بواباً لهؤلاء الاعراب البوالين على أعقابهم التاركين للصلاة المستحلين المحرمات حتى يخرج ويفتح لهم، وخدام العباس عليه السلام يقولون: ان رجلاً جاء ومعه نذر للعباس لم يدفعه فاصيب بكذا، قصداً ان لا يفوتهم شيء من النذور.

طاق بوستان:

وفي شماليها بقدر فرسخ موضع يسمى طاق بستان، والطاق بالفارسية هو القنطرة، وطاق بستان ايوان عال منحوت في الجبل، وفوق الايوان صورة شخص له اجنحة يقال انه رمز للآلهة.

وعادة الفرس تصوير ذلك كما يأتي في بيستون، وفي صدر الايوان مما يلي الأرض تمثال شبديز فرس كسرى ابرويز، قد نحت من الصخر متصلاً بصخر الايوان غير مفصول عنه، ومثل تمثيلاً عجيباً يخيل للناظر اليه أنه جواد حقيقي، وابرويز راكب عليه وعلى رأسه التاج وقد ألبس شبديز درعاً ونقش ذلك في الحجر، بحيث يخيل لناظره على طول المدة أنه درع حقيقي، والفرس ذهبت احدى رجليه وبقيت الاخرى بحافرها المتسع.

وفي هذا الايوان صورة شيرين جارية ابرويز، وهذا الطاق في جبل بيستون، وارتفاع هذا الايوان نحو ستين قدماً او خمسين، وعمقه عشرون قدماً وعرضه أربعة وعشرون قدماً.

وعن كتاب عجائب المخلوقات: في جبل بيستون شبه ايوان، وفي هذا

الايوان صورة كسرى ابرويز على فرسه شبديز في وسط الايوان وعليه (اي على الفرس) درع، وبالغ صانعه في تنميقه حتى بين المسامير المسمرة في الدرع، وفي حيطان الايوان صورة شيرين وجواريها وعليها صور كثيرة من رجال ونساء اتباع كسرى وشيرين.

وقد بولغ في تجويد هذه الصور حتى لا يشك من نظر اليها انها حية متحركة.

وبين يدي كسرى رجل في زي عامل على رأسه قلنسوة، وهو مشدود الوسط بيده مسحاة يحفر الارض والماء يخرج من تحت رجليه.

وسمعت الآن ان تمثال هذا الرجل ما بقي.

وفي معجم البلدان: شبداز بكسر اوله، ويقال شبديز منزل بين حلوان وقرميسين في جبل بيستون، سمي باسم فرس كان لكسرى.

وصورة شبديز على فرسخ من مدينة قرميسين وهو رجل على فرس من حجر عليه درع لا يخرم كأنه من الحديد، يبين زرده والمسامير المسمرة في الزرد. من نظر اليه يظن ان متحرك، وهذه الصورة صورة ابرويز على فرسه شبديز، وليس في الارض صورة تشبهها.

وفي الطاق الذي فيه هذه الصورة عدة صور من رجال ونساء ورجالة وفرسان، وبين يديه رجل في زي فاعل على رأسه قلنسوة وهو مشدود الوسط بيده بيل (مسحاة) كأنه يحفر به الأرض، والماء يخرج من تحت رجليه.

(أقول): صورة هذا الشخص الذي في زي فاعل غير موجودة اليوم وكأنها كسرت واتلفت على تطاول الأزمان كما كسرت احدى رجلي الفرس.

وقد قيل في قصة شبديرز وفي ابرويز وشيرين اشعار كثيرة، أورد جملة منها ياقوت في معجم الادباء، قال: وقد ذكر هذه القصة خالد الفياض في شعر قال

فيه:

والملك كسرى شهنشاه تقنصه
سهم بريش جناح الموت مقطوب
اذ كان لذته شبديز يركبه
وغنج شيرين والديباج والطيب

وقال ابو عمران الكردي (ابو عمرو الكسروي) يذكره:

وهم نقروا شبديز في الصخر عبرة
وراكبه برويز كالبدر طالع
عليه بهاء الملك والوفد عكّف
يخال به فجر من الافق ساطع
تلاحظه شيرين واللحظ فاتن
وتعطو بكف حسنتها الاشاجع
يدوم على كر الجديدين شخصه
ويلفى قويم الجسم واللون ناصع

واجتاز بعض الملوك هناك، ونزل وأعجبه الموضع واستدعى خلوقاً وزعفرانا فخلق وجه شبديز وشيرين والملك (وما يفيدهم خلوقه وزعفرانه) فقال بعض الشعراء:

كاد شبديز ان يحمحم لما
خلق الوجه منه بالزعفران
وكأن الهمام كسرى وشيرين
مع الشيخ موبذ الموبذان
من خلوق قد ضمخوهم جميعا
أصبحوا في مطارف الارجوان

وقال آخر يذكر شبديز وبرويز:

شبديز منحوت صخر بعد بهجته
للناظرين فلا جري ولا خبب
عليه برويز مثل البدر منتصباً
للناظرين فلا يجدي ولا يهب
وربما فاض للعافين من يده
سحائب ودقها المرجان والذهب
فلا تزال مدى الأيام صورته
تحن شوقا اليها العجم والعرب

وقبل ان تدخل الى طاق بوستان، تجد على يمين الطاق صوراً كثيرة لملوك الفرس نقشت في الصخر.

وقد صور محمد علي ميرزا ابن فتحلي شاه القاجاري، الذي كان حاكم كرمانشاه نفسه في هذا الجبل قريباً من طاق بوستان، وخلفه خادمه وذلك بصبغ ثابت لا يزيله المطر ولا الشمس، تشبهاً بملوك الفرس القدماء.

وفي هذا الجبل الذي فيه طاق بوستان قريبا منه مجرى ماء، يخرج من الجبل ويشكل نهرا يسقي قسماً من تلك السهول.

ويعترضك قبل ان تصل الى طاق بوستان بقليل تراب ممتد الى مسافة طويلة، يكون علوه نحو قامة بشكل هندسي منظم اسفله واسع، ثم يضيق قليلاً قليلا حتى يصير نحو ستة اشبار، لا يعرف لماذا عمل، وهناك شكل اسد من حجر ملقى قريبا من مجرى الماء.

بيستون:

ومعناه بالفارسية بدون اساطين، وذلك لان في هذا الجبل مكاناً مجوفاً وأعلاه ناتىء، كانما يريد ان يقع على الواقف تحته فكأنه بناء بغير أساطين.

وقد مر في طاق بوستان ان بيستون اسم لذلك الجبل، ولكن المعروف اليوم ان بيستون اسم قرية قريبة من ذلك المكان.

وعن كتاب عجائب المخلوقات: (جبل بيستون بين حلوان وهمدان، وهو عال شامخ لا ترتقى ذروته، ومن أعلاه الى أسفله أملس كانه منحوت وعرضه مسيرة ثلاثة أيام واكثر).

وفي ذلك الجبل أيضا مكان بعد طاق بوستان الى جهة الشرق على يسار الذاهب الى همدان، صعدنا اليه من الطريق الى نحو من منتصف الجبل، وهو مكشوف بين الأدغال والحشيش، وفي أعلاه صورة نحتت من الحجر، مثل الصورة التي في اعلى طاق بوستان، التي يقال انها رمز الالهة كما مر، وتحتها فيما يواجهك من الجبل صورة دارا متوجهاً الى المشرق، وخلفه اثنان يحملان الحراب وأمامه سبعة من الملوك متوجهين اليه الى جهة المغرب، وهم مسلسلون، وتحت رجليه واحد ممدود وقد داس عليه، وكلها منحوته في الصخر بصورة كبيرة.

وعن يمينك وأنت واقف أمام هذه الصور، ووجهك الى الجبل كتابتان في الصخر عاليتان في مكان مربع، متخالفتان في شكل الحروف، وهما باللسان الفهلوي وحروفهما مما يسمى بالحرف المسماري وهما حكاية لواقعة دارا مع هؤلاء الملوك.

وقد كتبت هذه الحكاية بلسانين من الألسنة التي يتكلم بها في ذلك الوقت.

الى همدان:

وبعدما بقينا في كرمانشاه نحوا من ثلاثة عشر يوماً ضيوفاً على الحاج عبد الحسين صاحب، عزمنا على التوجه الى همدان.

وكان في طريقنا على طاق بوستان ثم بيستون المقدم ذكرهما، وهما عن يسار الذاهب الى همدان.

وطاق بوستان تبعد عن كرمانشاه نحوا من فرسخ وبيستون يبعد عن طاق

بوستان نحوا من هذه المسافة.

وبعدما قطعنا شيئا من المسافة وجدنا سيارة محترقة كانت تحمل صفائح البنزين، فاحترقت هي والبنزين وبقيت الصفائح خالية.

وبعدما سرنا مسافة أخرى رأينا سيارة تحترق بما فيها من صفائح البنزين وسائقها مكبوب على وجهه قريباً منها غماً وحزناً.

ومررنا في طريقنا بقرية (بيستون) وقد مر الكلام عليها.

وسرنا من بيستون الى قرية تسمى (سحنة)، ومن سحنة الى قرية تسمى (كنكاور)، ومن كنكاور الى قرية تسيم (أسد آباد)، وهي بلدة السيد جمال الدين المعروف بالأفغاني، ومن اسد آباد الى قرية تسمى (زاغة)، ومنها (الى همذان) بالذال المعجمة وفتح الميم.

همذان:

وهمدان من بلاد الجبل الموصوفة بكثرة ثلوجها، وشدة بردها.

ونحن دخلناها في نيسان، وكانت الثلوج تغطي جبالها المجاورة، واخبرنا انه في فصل الشتاء يتساقط الثلج حتى يساوي السطوح أحياناً، وأنهم ينقبون نقباً تحت الثلج يصلون منه الى السوق.

وهم يستعدون في أواخر تشرين الأول لمؤنة الشتاء من حطب وفحم، وكل ما يحتاجونه، ويبعثون بمواشيهم الى الامكنة الدافئة التي يسمونها (گرم سير).

وإذا اضطروا الى ابقاء بعض الحيوانات استعدوا لعلفها طول الشتاء وبعض الربيع.

وفي الشتاء يصنعون لحافاً لمجالسهم وغرفهم بقدر المجلس والغرفة، ويضعون كرسيا من الخشب مثبتا في وسط الغرفة ويطرحون عليه ذلك اللحاف، ويضعون تحت الكرسي كانوناً صغيراً فيه شيء من دقيق الفحم المشتعل، ويجلسون تحت ذلك اللحاف.

فيجيء الرجل ويدخل تحت اللحاف جالسا ويرفعه الى عنقه، ويجيء الآخر ويجلس بجانبه.

فاذا كان الليل نام الرجل وعائلته كلهم تحت ذلك اللحاف واحدا بجنب الآخر، فتنحصر تلك الحرارة وتنتشر الى الجميع.

وهذا ليس خاصا بهمذان بل يعمل في جميع بلاد ايران.

واهل العراق قد يقلدونهم في ذلك كما هو الحال في كثير من عوائد ايران التي تسربت الى العراق للمجاورة والمخالطة.

وفي برد همذان يقول بعض الشعراء:

همذان متلفة النفوس ببردها
والزمهرير وحرّها مأمون
غلب الشتاء مصيفها وخريفها
فكأنما تموزها كانون

وقال الحسن بن خالويه الهمذاني يصف برد همذان:

إذا همذان اعتادها القرّ وانقضى
برغمك ايلول وأنت مقيم
فعينك عمشاء وأنفك سائل
ووجهك مسود البياض بهيم
وأنت أسير البرد تمشي بعلة
على السيف تحبو مرة وتقوم
بلاد اذا ما الصيف أقبل جنة
ولكنها عند الشتاء جحيم

ومن العادات في همذان ما شهدناه في منزل مضيفنا الحاج محمد جعفر شمس، الذي كان قد دعانا ونحن في كرمانشاه للنزول عنده في همذان، ثم خرج

مع من خرجوا لانتظارنا خارج همذان، وذلك اننا لما دخلنا البلد ونزلنا من السيارة، دعا بكبش وطلب منها ان نمرّ بين الرأس والجثة ففعلنا، ثم مشينا حتى وصلنا داره، فطلب منا ان ننوي الاقامة، فأجبناه.

وصرنا نصلي جماعة في مسجد قريب من داره، وله مجلس متسع قد فرش بالسجاد الفاخر، وفي جوانبه متكآت قد كسيت أيضا بالسجاد.

ووقف أُجراء محله التجاري وهو يشتغل بتجارة الدخان، وهم أربعة في آخر المجلس مكفّرين (متكتفين) على حسب قواعد الفرس.

وجلس هو بجانب باب المجلس على ركبتيه وكذلك كل من يدخل المجلس عليه أن يجلس على ركبتيه، ولو طال الجلوس الى أن يقوم.

فاذا أراد هو شيئا من أجرائه لم يتكلم، بل التفت اليهم بجانب طرفه، فيجيء أحدهم الى امامه ثم ينحني قريباً من الركوع، بحيث تصل أذنه الى فمه فيناجيه بما يريده، ثم يعود الخادم ماشياً الى الوراء ويأتي بما أراد.

وقبل الفجر ينصب السماور، ويحضر هؤلاء الأربعة.

واول طلوع الشمس تتوافد علينا الزوار، فمتى جلس أحدهم واستقر به المجلس جاءه الخادم بكأس الشاي، فيضع الخادم ركبته اليسرى على الأرض وينصب ركبته اليمنى، وهو ما يسمونه في بلادنا الجلوس على ركبة ونصف، ويضع الكأس أمام الزائر ثم يرجع الى الوراء مكفّراً (متكتفاً) ويقف.

ولا يمكن أن يناول الكأس للزائر بيده كما يفعل في هذه البلاد.

ويستمر توافد الزوار الى قريب الظهر، ولا يمكن ان يؤتى الى أحد بكأس من الشاي، فيمتنع عن شربه الا اذا كان قد شرب في بيته، فانه يضع فوق الشاي شيئا من ماء الليمون الحامض الذي يؤتى به من گيلان (أي رشت) ونواحيها.

ويكون دائماً في المجلس أباريق صغار من البلور فيها ماء الليمون الحامض، فمنهم من يشرب كأساً واحداً، ومنهم أكثر الى ثلاثة، وهو الغالب، ومنهم

من يزيد، ويؤتى بالسكر قطعاً صغيرة في أواني من البلور اسفلها عال تسمى قندان أي وعاء القند، كل قطعة منها بقدر الفولة الصغيرة، فيأخذ أحدهم قطعة واحدة ويضعها في فمه ويشرب الكأس ويدفع مرارته بها.

أما أنا فكنت أخذ عدة قطع وأضعها في الكأس حتى تذوب وأشربه، وكثيراً ما كنت اقتصر على كأس واحد قليل الشاي، فان زدت فاثنان، فيتعجبون مني لانهم يكثرون من شرب الشاي.

فاذا كان قريب الظهر انقطع مجيء الزوار وأخذ السماور، حتى اذا كان قريب العصر أعيد اشعال السماور الى عند الغروب، وبعد الغروب الى الساعة الثالثة ليلا، فيبتدأ بوضع العشاء وفي هذ المدة من بعد الصلاة الى الساعة الثالثة، توضع الخضر والفواكة امام القادم، فيأكل منها ما شاء.

وفي الساعة الرابعة مساء ينتهي تناول العشاء وشرب الشاي ويسرع في اعداد فراش النوم، ثم يبتدىء النوم فاذا كان الفجر اشعل السماور وهكذا.

وكل من يجيء يؤتى اليه بنارجيلة فيدخن بها قليلاً، ثم يرفع رأسها بيده ويفرغ الدخان منها، ثم يدفعها الى الذي بجانبه، فيفعل كذلك وبهذا يكتفي في المجلس بنارجيلتين أو ثلاثة ولو كان كبيراً.

ويوضع في الرأس تنباك كثير وجمر كثير يكفي لتدخين جماعة.

والتنباك يزرع في بلادهم فهو رخيص عندهم، وبعضهم يدخن (التوتن) في السبيل أو اللفائف.

وكان في دار مضيفنا بئر فجاءنا بالماء منها، فوجدت فيه مجوجة مع ان في البلد مياهاً عذبة كثيرة تأتي من رؤوس الجبال، فقلت له: ما هذا الماء؟ فقال: انه ماء بئر بارد، فقلت له: إن فيه مجوجة. فقال: ان المتجددين يوصون اناسا فيأتون لهم بالماء من خارج البلدة في القرب، فقلت له: اجعلنا مثل هؤلاء المتجددين وائت لنا بالماء من خارج البلد ففعل.

ولقد رأينا من حسن صفات أهل همذان وكريم فعالهم مـا دعـانا الى ان نكذب البديع الهمذاني في قوله:

هـــمذان لي بـــلد أقـول بـفضله
لكـــــنه مـــن اقـبح البـــلدان
شبانه فـي الجـهل مـثل شـيوخه
وشـــيوخه فـي العـقل كـالشبان

وقد قلت في ذلك قصيدة مطولة في هذه الرحلة:

وكم بها عـالم مـا البـحر مشـبهه
ومن رئيس بنى في النجم أوطانا
وعـاقل عـقله يـنبيك عـن ثـقة
ان البـــديع بـــما قـد قـاله مـانا
كفى لها بابن سينا مـفخرا وكـفى
لها البديع، فـما شـخص له دانـى

ودعينا يوما الى بسـتان خـارج البـلد فـيه شـجر العـنب وغـيره وفـيه فوارة(نافورة) تعلو زيادة على القامة بماء غزير. فلما تغدينا نام القوم وفيهم جل علماء البلدة، أما أنا فخرجت خارج البستان بقصد التفرج والاخـتبار، فـلحقني أخو مضيفنا وهو اكبر منه، وله أخ آخر أصغر، وأخوه الاكـبر ذو فـطرة سـليمة وتقوى على عادة القدماء وهو يدخن بالسبيل (الغليون).

فطلبت اليه ان يعود فأبى فسرنا مغربين في أرض منحدرة يجري فيها الماء، لكنها خالية من الشجر والزرع مع انها قابلة لهما، فاخبرت انها لتـاجر بـغدادي أخذها بدين له على أحد أهل همذان، وتحتاج عمارتها الى مال.

وبينما نحن نسير صعدا الى جانب ساقية قـد اخـتلط مـاؤها بـالطين، اذ عطشت فقلت لصاحبي: هل يوجد ماء هنا لنشرب؟ فأشار الى ماء الساقية: فقلت

له: انه وسخ فقال: لا اعرف غيره. مع انه لابد له من منبع صاف.

وهناك رجل يكرب الارض فسألته قال: الماء أمامكم فسرنا في الربوة صعدا حتى مررت برجلين يكربان الأرض، فطلبت اليهما ان يذهب أحدهما فيدلنا على منبع الماء هناك.

وهو ماء عذب صاف فشربنا منه واسترحنا وهناك رجل سقانا الشاي ثم عدنا.

وفي خارج همذان قلعة يسمونها (كهنة قلعة) أي القلعة القديمة وهي التي تسمى في بلادنا (قشلة)، وهي مبنية باللبن بنيت في عهد فتحعلي شاه القاجاري، وقد وضعت فيها الدولة الحاضرة جنودا.

وقرب همذان الى جهة الشمال تل عظيم من التراب قالوا انه كان قلعة مبنية باللبن في عهد الاكاسرة، فاصبحت على طول العهد تلاً من التراب.

وفي همذان كثير من اليهود اهل تجارة وغنى، وفيها بعض النصارى، ولليهود معبد قديم يعظمونه، وفيه بناء كثير مررنا يوما بجانبه، وقيل لنا ان فيه مدفن فتاة يهودية كانت نجتهم من القتل بحيلة احتالتها عند ملك ذلك الزمان قبل الاسلام، فهم يعظمونها لذلك اليوم.

وكان من أهل همذان استاذنا الفقيه الآقا رضا بن محمد هادي الهمذاني، وابن اخته الفاضل الشيخ علي، الذي كان يشبهه في علمه وهديه وتقواه ولو ساعده الاجل لخلفه.

ورأينا فيها ابناً للشيخ علي هذا، يلبس العمامة، فقال: ان عمامتي (قشق)[1] أي مهربة، وذلك انه لا يسمح لاحد في ايران ان يلبس العمامة والعباءة الا ان يكون معه رخصة من العلماء.

وسألنا فيها عن الشيخ محمد ولد شيخنا الاقا رضا المقدم ذكره، الذي ترك

---

(١) تكتب بالفارسية: قاچاق.

الدرس في حياة والده أيام كنا في النجف واتبع الكسب، فصار أجير ساعاتي أو صائغ، مع انه كان من اهل التحصيل والفهم، فلم يعارضه ابوه في ذلك، وانما نصحه بان يكون أجير ساعاتي لا صائغ أو بالعكس.

وبعد وفاة والده جاء الى همذان ونزع العمامة وصار يكتب قصص المدّعين، التي يراد تقديمها الى الحكام المسماة في بلادنا (عرض حال) وفي ايران (محكمة).

وبذلك يعلم صدق ما يؤثر من حديث (كل امرىء ميسر لما خلق له)، وسبحان مصرف الامور (انك لا تهدي من احببت).

وأردنا ان نراه لانه ولد استاذنا الذي له الحق العظيم علينا، وكأنه خجل من مواجهتنا لانه يلبس القبعة ويتعاطى الذي لم يكن ينبغي له ان يتعاطاه، وبعد الالحاح زارنا ورددنا له الزيارة.

جريدة كمالي:

في همذان جريدة واحدة أسبوعية اسمها جريدة كمالي يصدرها سيد شاب فاضل، كان ابوه من زهاد العلماء وساح وجاء الينا في جبل عامل، وبقي عندنا أياماً.

وكان عند دخولنا همذان قد توفي، وقد ذكرنا ترجمته في مسودات كتاب أعيان الشيعة فلما رآها ولده تعجب، وقال إن فيها اشياء ما كنت أعرفها.

ولم يذكر في جريدته خبر ورودنا الا بعد مدة، ذلك لان الجرائد في ايران حالها مع الحكومة حالها في أيام الاحكام العرفية، فلا يقدر الصحفي أن يكتب شيئا الا بعد عرضه على الحكومة وموافقتها عليه وهي تضايق وتدقق في ذلك فوق اللزوم.

ابن سينا:

وفي همذان قبر الرئيس ابن سينا حكيم الاسلام وفيلسوفه المشهور، صاحب القانون في الطب والاشارات، ولكننا لم نتمكن من زيارة قبره.

واصله من بخارى والذي تحقق عندنا انه كان اسماعيلي المذهب.

مكتبات همذان:

ورأينا في همذان عدة مكتبات نقلنا منها واستفدنا من محتوياتها.

مساجد همذان:

وفي همذان مساجد كثيرة أحدها مسجد يسمى مسجد جهل ستون (أي مسجد أربعين سارية).

وفيها مسجد عظيم يسمى مسجد الشاه من بناء الشاه عباس، لكنه خراب وفيه آثار قديمة.

حسينيات همذان:

شاهدنا فيها حسينية واسعة بنيت جديدا غاية في الاتقان.

أواني الفخار في همذان:

ودعانا الى منزله لتناول العشاء أحد علماء همذان من السادات، وقد غاب عنا اسمه، فكانت أواني العشاء كلها من الفخار الذي يصنع في همذان، فسررنا بذلك وقلنا: ان هذا احسن عشاء تناولناه لان أوانيه كلها وطنية.

مرور ابي تمام بهمذان:

كان ابو تمام مر بهمذان آتيا من خراسان وقد مدح بها عبد الله بن طاهر الخزاعي، فأجازه، ثم عاد الى وطنه.

فلما وصل الى همذان نزل على آل ابي سلمة، ويظهر انهم كانوا أهل ثروة

ووجاهة بها، وانهم كانوا عرباً ولم نجد لهم ذكرا في غير قصة ابي تمام هذه معهم.

وكان ذلك أول فصل الشتاء وأراد الخروج منها الى بلاده فقالوا له: لا تفكر في هذا فالسير من هنا في فصل الشتاء غير ممكن.

وضاق صدره لذلك واغتنم آل أبي سلمة فرصة وجوده عندهم ففتحوا له مكتبتهم، ليسلّوه بمطالعة كتبها.

فصنف من تلك المكتبة كتاب الحماسة الذي شاع ذكره في البلدان، وانتشر صيته في كل مكان وكثرت شروحه.

وقيل في حقه ان ابا تمام في جمعه اشعر منه في شعره.

وحسبك بمكتبة يجمع ابو تمام من محتوياتها خاصة كتابا مثل ديوان الحماسة.

وبقي الكتاب في خزائن آل أبي سلمة يضنون به عن كل انسان سواء للمطالعة أو للنسخ، حتى ضعفت احوالهم، فوصل الكتاب الى اصفهان ومنها انتشر في أقطار الدنيا.

طلسم همذان:

في خارج همذان الى جهة الشرق ،سورة أسد من الحجر ملقاة على الارض، يزعمون ان بعض حكماء اليونان قد عملها طلسما للثلج، وان الثلج بها كان اكثر مما هو الآن.

الواعظ شمس:

وجاء الى همذان واعظ شاب يدعى آقا شمس، وهو من وعاظ ايران المتميزين، لم اسمع في جميع وعاظها أطول مجلسا في المحاضرة والوعظ منه.

والمشتهرون في ايران بالخطابة اربعة هذا والطبسي وملا عبد الله الطهراني وبهلول.

فعقد له مجلس للمحاضرة في همذان في مكان فسيح مكشوف ليس فيه سقف، ووضع في وسطه مقعد عال جداً فصعد اليه، واجتمع حوله الالوف المؤلفة.

وتمتاز محاضراته عن غيرها في ايران على كثرتها بتنوع موضوعاتها واشتمالها على الغرائب، وقد خصص للنساء جانب يجلسن فيه لاستماع محاضراته وبيد كثير منهن الاقلام والورق يكتبن ما يستشهد به من الشعر.

وقد قيل ان جميعه من انشائه وقد انير المكان (باللوكسات) الكثيرة المسماة في ايران (چراغ برقي).

وبقينا ليلتين نحضر مجلس محاضراته ونعجب بها.

وصف همذان على العموم:

همذان مدينة عامرة كبيرة أكبر من كرمانشاه، ولسان اهلها الاصلي الفارسية لكنهم يعرفون التركية جميعهم، لان القرى المحيطة بها أكثر أهلها اتراك، ولاجل مخالطتهم لهم ومعاملتهم معهم يتعلمون التركية ويتكلمون بها.

وشوارعها القديمة ضيقة لكن قد انشئت فيها شوارع متسعة وأبنية مرتفعة.

وهي غزيرة المياه ومياهها عذبة ومنابع كثير منها عال عن البلدة، لكن لا ينتفعون منها في الشرب لعدم سوقها الى المدينة بأقنية أو انابيب خالية من الاوساخ.

بهار:

بوزن نهار قرية شمالي همذان، تبعد عنها نحوا من فرسخين فيها أنهار جارية وبساتين وحدائق ومزروعات.

وبهار في اللغة الفارسية بمعنى فصل الربيع.

والايرانيون يلغزون في اسمها فيقولون رأيت بهارا في فصل الشتاء.

ومن هذه القرية كان الشيخ محمد باقر البهاري، أحد تلاميذ الشيخ ملا

حسين قلي الهمذاني، العالم العارف الأخلاقي المشهور المعاصر، وله ولد رأيناه في همذان.

كان يزورنا كثيراً ويمكث عندنا ويكتب لنا، وكتب لنا ترجمة أبيه لدرجها في أعيان الشيعة.

ومن هذه القرية الشيخ رضا البهاري أخو الشيخ محمد المذكور، وهو متزوج بابنة مضيفنا.

وقد زارنا في همذان ودعانا الى ضيافته في قرية بهار التي يسكنها، فذهبنا اليها في العربة، وهي شمالي همذان.

ولما وصلنا القرية وجدنا معلم مدرستها قد خرج بتلاميذه الصغار لاستقبالنا، وقد اصطفوا وجعلوا ينشدون النشيد الفارسي الشيق.

وبالغ الشيخ رضا في اكرامنا وبتنا عنده تلك الليلة، واستفدنا من مكتبته التي في القرية فوائد جمة، ثم عدنا الى همذان عند العصر وأصابنا مطر في الطريق.

الى ملاير:

وبعد ما بقينا في همذان نحواً من خمسة عشر يوماً، وانتهينا من مراجعة مكتباتها، ونقلنا ما أردنا منها، سرنا الى ملاير، فلما قربنا منها رأينا السيد علم الهدى، وهو من العلماء الاعلام مكفوف البصر، ومعه بعض العلماء ووجهاء البلدة، وقد جاؤا لانتظارنا.

وكان قد اخبرهم صاحب منزلنا في همذان بقدومنا في ذلك اليوم حسب طلبهم.

وكان في نيتنا الذهاب الى قم رأساً، فلما رأيناه اضطررنا للنزول ومشينا معه الى منزله.

فلما دخلنا البلد جاء بعض الوجهاء بكبش من الغنم وأمر بذبحه أمامنا، ثم

قطعوا رأسه ونحوه عنه، ثم مشينا بين الرأس والجثة، وتناولنا طعام الغذاء في منزل علم الهدى.

وأردنا ان نتابع السير فقال: لا يمكن حتى تصلوا صلاة الظهر في المسجد الجامع، ثم أمر منادياً ان ينادي في السوق الصلاة في المسجد الجامع، فامتلأ المسجد من المصلين.

وسرنا من ملاير الى:

سلطان آباد:

وفي أواسط صفر الخير سنة ١٣٥٣ ومعنى سلطان آباد عمارة السلطان، وتسمى أيضاً هي وجهاتها عراق العجم.

فاجتزنا بها ولم ننزل فيها وشاهدنا أهل القرى التي حولها يحملون كباب الصوف الملون على دوابهم، لينقلوها الى قراهم، فيصنعون منها الطنافس المسماة بالسجاد[1]، فان فيها صناعة وتجارة عظيمة للسجاد، وسرنا منها الى:

قم:

وكان قد جاء سيل فطغى على الطرق، لذلك كنا نسير في جهات بعيدة عن مواضع السيل، فلم نصل الى قم في ذلك اليوم.

وبتنا قبلها بفراسخ في مقهى قرب قرية هناك، وفيه موظف صاحب منصب من الجند.

فأخذ يدخن الافيون ليلا مع أصحاب المقهى.

وفي الصباح توجهنا الى قم فوجدنا السيل قد غمر الطريق، ولم يمكنا عبور الجسر القريب منها بالسيارة فعبرناه مشاة.

---

(١) تدعى حالياً (پشتى)، اما السجاد فيدعى «قالي».

بلدة قم:

قم بلدة عامرة لها تاريخ قديم، وألف لها تواريخ خاصة بها.

ويغلب على أهلها الفقر، وأهلها معروفون بالتشيع من عصر الائمة عليهم السلام، كأهل الكوفة.

وجل رواة الشيعة من هذين البلدين، ونزلها الاشعريون من العرب في الاسلام، وكانوا من اتباع ائمة اهل البيت الطاهر ورواة حديثهم، وأهلها اليوم معروفون بالتقوى.

وفي قم نهر كبير يجري من الغرب الى الشرق في شمال البلدة وعليه قنطرة.

وبناء البلدة أكثره باللبن من الطين غير المطبوخ وبعضه بالآجر المطبوخ.

وماؤها فيه مجوجة لكن يقولون انه نافع، وفيها آبار قديمة عادية ينزل اليها بدرج عريض، وهي بعيدة العمق وشربهم من تلك الآبار.

ويكثر فيها البعوض وأسعارها رضية ويباع الباذنجان فيها بالعدد، وكل مائة باذنجانة تساوي قرانا واحدا (خمسة قروش سورية) على حساب الليرة العثمانية الذهب ٥٥٠ قرشا سوريا، ويكثر فيها الفستق.

ومن عجائبها ان على مسافة منها أرضا ذات رمال لا يمكن سلوكها ومن دخلها غاص فيها كما يغوص في الماء والطين، ولم يمكنه التخلص.

ونهرها يجري الى ان يصل الى هذا الرمل فيغور فيه، وفيها منارة قديمة عالية يقال انها من زمن عمر بن عبد العزيز.

الشيخ عبد الكريم اليزدي:

هو عالم قم ومدرسها، قرأ على السيد محمد الاصفهاني وهو ذو عقل راجح رصين ورأي صائب وعلم وافر وأخلاق حسنة وتفكير وتدبر، ولا يمكننا ان نقول ان عمله أوفر من عقله أو عقله أوفر من علمه، لاننا رأيناه سابقاً في كلا الميدانين.

سكن اولا في سلطان آباد ثم انتقل الى قم، وانشأ فيها مدرسة دينية

وتوطنها حتى مات.

وكان يأتي اليه كل يوم موزع البريد برزمة من الكتب والرسائل، فيقبضها منه المنشي[1] لان عنده منشياً خاصاً، فما كان منها غير مهم فتحه المنشي وأجاب عليه وجاء بالجواب إليه فوقعه، وما كان منها مهما أجاب عنه بنفسه.

وكانت تجري في مجلسه مذاكرات علمية كثيرة، كنت اشترك فيها وكلها بالفارسية.

وكان معه مرض في المعدة فكان متقيد بطعام خاص في وقت خاص حسب اشارة الاطباء.

ومن رصانته ورجاحة عقله، ان الاموال التي تأتيه لا يتسلمها بيده بل يضعها عند تاجر، ويحول عليه بصرفها في وجوهها من معاشات الطلبة، ويأخذ هو معاشاً من تحت يد ذلك التاجر فيكون قد عاش عيشة رغدا، وقطع السنة الناس عنه، والفقراء دائما ببابه وفي ركابه، فيعطيهم من جيبه أو يأمر من معه فيعطيهم.

المتولي باشي:

ومن أجلاء قم المتولي باشي لمشهد السيدة فاطمة واسمه السيد محمد باقر ابن السيد حسين الحسيني العاملي القمي، وهو رجل من أجلاء السادات، وأصله عاملي وكان جاء قديما الى حج بيت الله الحرام، ورأيناه في دمشق.

ولما وردنا قما أخبرنا انه مقعد فزرناه في بيته وزارنا في منزلنا ولده السيد مصباح، وهو يتولى أمور المشهد نيابة عن أبيه.

مدرسة قم:

أنشأ الشيخ عبد الكريم المقدم ذكره مدرسة في قم قيل لنا ان فيها تسعمائة

---

(١) السكرتير.

طالب، وهو يقوم بأكثر نفقات طلابها، وقد عين لهم طبيباً خاصاً، وهو يجري لهم امتحاناً في كل ستة أشهر، وفي رأس كل سنة.

ويحضر هذا الامتحان مندوب من قبل الحكومة للاعفاء من الخدمة العسكرية، وكان الشيخ عبد الكريم يشكو ويقول: اننا نربى الطالب حتى اذا صار في محل الثمرة نزع العمامة ولباس أهل العلم ولبس لباس أهل الحكم ودخل في إحدى الادارات.

الميرزا عبد الله الطهراني:

في قم رجل من أهل طهران اسمه الميرزا عبد الله الطهراني، من افاضل تلاميذ مدرسة الشيخ عبد الكريم، جم الفضل راجح العقل حسن الخلق عالي الهمة محب للخير ناصح مشفق، كان يزورنا كثيراً ويلازمنا ويقضي حوائجنا ويقوم بمهامنا.

السيل في قم:

كان السيل كما مر قد جاء الى قم قبل ورودنا اليها بثلاثة أيام فهدم من الدور نحوا من ثلثمائة بيت في المحلة الجديدة، لان بيوتها جميعها مبنية باللبن من الأساس.

فلما جاء السيل وتخلل البيوت ودخل في أعماق اللبن فصار طينا وقعت الحيطان، لكن لم يقع تلف في النفوس ولا في الأموال، لان السيل يجيئها عادة من مكان بعيد، والى ان يصل الى قم يمضي زمان طويل.

فجاءتهم برقية فحذروا وأخرجوا أثاثهم ودوابهم من البيوت، التي يخشى عليها من السيل، وخرجوا هم منها.

فلما وصلها السيل كانت خالية من كل شيء فلم يقع ضرر في النفوس والأثاث والحيوانات.

ولو ان هؤلاء كانوا قد بنوا أساس بيوتهم بالحجارة لقاومت السيل وثبتت.

وفي ذلك عبرة وموعظة، فان كل شيء لا يكون اساسه محكما يكون مآله الى الخراب.

وكان الصفويون قد بنوا سدا في مكان بعيد يمنع السيل فتهدم على مدى الايام.

وجاءت الأخبار بانه جاء في ذلك الوقت سيل على تبريز فخرب عدداً وافراً من بيوتها.

معصومة قم:

في قم مشهد فاطمة أخت الرضا عليه السلام والايرانيون يسمونها معصومة قم، ولها مشهد معظم مزور له قبة وأروقة ومتولي وخدام وقوام.

وفي مشهدها مدفن ميرزا علي اصغر خان، الذي قتله أهل المشروطة وهو وزير ناصر الدين الشاه وابنه من بعده.

قبور العلماء والرواة في قم:

في قم مقبرة يسمونها مقبرة شيخون أي مقبرة الشيوخ، وشيخون جمع شيخ، وأصله شيخان لان علامة الجمع عند الفرس الف ونون، وهم يقلبون الألف واوا.

وفي هذه المقبرة قبور جماعة من أجلاء الرواة، أمثال زكريا بن آدم وبعض بني بابويه، وجماعة من العلماء كالميرزا القمي، لكنها مشرفة على الاندراس، لان الحكومة[1] فتحت في المقبرة شوارع ولم تهتم بأمرها بل تسعى لمحو أثرها.

---

(١) حكومة الشاه، وبعد الثورة الاسلامية بدأ الاهتمام بهذه المقبرة وهي اليوم من المعالم التاريخية في مدينة قم.

أرحامنا في قم:

كان السيد حسن ابن السيد محمد الأمين، وهو أخو جدّنا السيد علي بن السيد محمد الامين، قد هاجر الى العراق لطلب العلم، مع اخيه السيد حسين، فبقي أخوه في النجف، وعلت رتبته في العلم، وذهب هو الى قم وتوطنها.

وكانت له فيها ذرية ثم انقرضت، وتزوجت إحدى بناته بسيد من سادات قم، وتخلّفت باولاد وبقي من ذريتهم في قم الى الان سيدان فاضلان جليلان أخوان، يؤم احدهما الجماعة في مسجد والآخر في مسجد آخر.

وحدثنا أحدهما بكيفية مجيء أخي جدّنا المذكور الى ايران، واستيطانه قما في خبر معجب غاب عن ذاكرتنا.

ولاحدهما ولد مراهق يشتغل بطلب العلم وقد فرغ من قراءة المغني، وفهم مطالبه فهماً كافياً، لكن كانت قراءته له بالفارسية، فهو لا يستطيع صوغ جملة واحدة بالعربية، وهو جيد الخط وكان يساعدنا على الكتابة في أكثر الايام، فاذا املينا عليه كلمة فيها هاء أو حاء قد يشتبه عليه الأمر فيقول بهاء (حطى) أو بهاء (هوز).

وهذا لو قرأ المغني باللغة العربية لكان يمكنه بذلك معرفة العربية الفصحى والتكلم بها، ولكنه مع الاسف قرأه بالفارسية.

أعمالنا في قم:

وجدنا في قم «ذيل السلافة» لمؤلفها، فنقلنا ما فيه مما هو من شرط كتابنا أعيان الشيعة.

وكذلك بقينا نبحث في المكتبات عن الكتب التي يمكن أن نستفيد منها لكتابنا المذكور، فوجدنا جزءاً من المجموع الرائق، ونقلنا منه وكذلك غيره من الكتب، التي غاب عنا اسمها.

وأخبرنا انّ في اصفهان نسخة من «رياض العلماء» معروضة للبيع، فسألنا

عن ذلك الميرزا عبد الله الطهراني المقدم الذكر، فاخبرنا بصحة الخبر وقال: ان اصحابها يطلبون بها ستين تومانا، ويمكن ان نأخذها باقل، والستون تومانا تعادل ثلاثين ليرة سورية، وهي تعادل خمس ليرات عثمانية ونصف ليرة عثمانية ذهباً في ذلك الوقت تقريباً، فان كل خمس ليرات سورية ونصف كانت تعادل ليرة عثمانية واحدة.

فقلنا له: ابعث الى اصحابها برقية. قال: لا يوافق ويوجب تمسكهم بها ولكن نكتب لهم كتابا، فجاءه انها بيعت على الحاج آقا حسين الطهراني ملك التجار بمائة وعشرين تومانا أي بضعف ما كان يطلب بها.

فظللنا نفحص عن نسخة غيرها، فوجدنا جزءين منه هما الثاني والثالث فاشتريناهما بقيمة غالية.

واما الجزء الاول والرابع فما مفقودان، ولم نجد الجزء الخامس، انما وجدنا نسخة منه عند بعض الناس فاستأجرنا رجلاً على استنساخها، ودفعنا له الاجرة، وقال: انه بعد رجوعنا من خراسان يكون قد أتمها وصححها وأرسلها الينا الى طهران.

وبعد شراء الجزئين الثاني والثالث والاستئجار على نسخ الرابع، عرض علينا جزء بخط المؤلف مالكته امرأة وهي تريد به ثلاثين ليرة عثمانية، فأردنا شراءه لو تساهلت لكنها لم تتساهل، وليس بأمكاننا شراءه بهذه القيمة.

واقمنا في قم نحوا من خمسة عشر يوما وخرجنا منها في أواخر صفر الخير سنة ١٣٥٣ هـ متوجهين الى طهران.

البحيرة المالحة[1]:

وفي الطريق بين قم وطهران بحيرة مالحة على يمين الذاهب من قم الى طهران.

---

(١) تدعى في ايران: درياچه نمک.

بلد الشاه عبد العظيم:

وهي على فرسخ من طهران، وهي بلد نزهة عامرة ذات أنهار واشجار، وحدائق وبساتين، وبها مدفن السيد عبد العظيم الحسني، وعليه قبة عظيمة وله مشهد جليل مزور.

وفي مشهده دفن الشاه ناصر الدين القاجاري المقتول.

وكان بين طهران وبلد الشاه عبد العظيم خط حديدي فأبطل، وصار السير بالسيارات الكبيرة التي تذهب وتجيء كل يوم بصورة منظمة.

وبعدما استرحنا وشربنا الشاي، وأكلنا من الفواكه التي احضرت، وزرنا المشهد ورأينا المستشفى، ركبنا السيارات مع من كانوا في انتظارنا، وبينهم العلامة الشيخ اسحق الرشتي.

سرنا الى طهران ونزلنا في دار الشيخ اسحق في محلة تسمى محلة العرب، في شارع يسمى (خيابان ناصري) أي الشارع الناصري، نسبة الى ناصر الدين شاه، لان له في ذلك الشارع قصراً عالياً مصحفا بالكاشي يسمى شمس الدولة، يظهر الى الطريق العام ويبعد عنه قليلاً، ثم سمي بعد ذلك شارع ناصر خسرو، إرادة لمحو آثار القاجاريين ووزرائهم.

وصرنا نصلي في فسحة دار مضيفنا جماعة، ونستقبل وفود الزائرين غدوة وعشياً يومين أو ثلاثة، ثم جعلنا نفحص عن الكتب النافعة لنا في المكتبات وننقل منها.

وجلسنا في طرف المجلس وأمامنا المحبرة والكتب والدفاتر، والشيخ اسحاق يستقبل الناس ويتحدث اليهم، أما نحن فنكتفي عند مجيء أحد برد السلام والقيام له والدفتر في يدنا، ثم نجلس ونحييه بصبحكم الله أو مساكم الله بالخير، ونأخذ في عملنا من قراءة وكتابة.

وجاءنا يوماً امام الجمعة الخويي، وهو رجل جليل من أجلاء العلماء شيخ ابيض اللحية بهي الطلعة، فقمنا له وحييناه على العادة، ثم جلسنا نكتب وكأنه استنكر ذلك لانه لم يره من أحد غيرنا، فقال بالفارسية: نحن حضرنا للسلام عليك وأنت تشتغل عن حديثنا بالكتابة والقراءة؟! فقلنا له: لم يكن هذا منا استخفافا بمقامكم العالي ولكن لنا عملا هو أعز علينا من كل شيء ولأجله مكثنا في هذه البلدة فأعذرونا.

وأخذنا في عملنا وسكت هو عاذرا أو عاذلا، الله أعلم ولكننا على أي الحالين لا نترك طريقتنا.

وكان قد حدث لنا في (قم) مثل ذلك، إذ كنا نريد مقابلة أحد الكتب المخطوطة، وكنا قد كلّفنا من نسخه لنا، فلما وردنا قما، سألنا عن ناسخ الكتاب، فوجدناه خارج البلد فأرسلنا إليه وأحضر الكتاب، فاذا هو لم يقابله.

فشرعنا في مقابلته أول يوم وصولنا، وحضر طلبة الشيخ عبد الكريم للسلام علينا، فشرعنا في المقابلة، وهم جلوس والشيخ عبد الكريم جالس، فقالوا: اننا جئنا للسلام عليك وأنت تشتغل عنا بمقابلة الكتاب.

فقلت لهم: إنني رجل مسافر وأوقاتي ثمينة، وما جئت هذا البلد الا لمقابلة هذا الكتاب وأمثال هذا لا شغل لي سوى ذلك.

ومع هذا إذا لم أقابله أشتغل معكم بأحاديث لا فائدة فيها.

وسماع تراجم العلماء من احسن الاحاديث، إقرأ يارجل وارفع صوتك، ليسمعوا تراجم العلماء ويستفيدوا منها.

فجعل يقرأ ورفع صوته.

وكان في المجلس سيد من الطلبة متعجرف قد اخذته العزة، والظاهر انه مثر وكأنه لم يعجبه ذلك ورآه استخفافا به وبأهل المجلس، فناء بجانبه وأعرض فلم أبال به واستمررت على المقابلة.

وأمثال هذا الرجل قد تعودوا على تضييع أعمارهم فيما لا يفيد، فاذا رأوا خلاف ما تعودوه استعظموه (ولكل امرىء من دهره ما تعودا).

فبقيت في قم حتى فرغت من مقابلة الكتاب.

مدينة طهران:

هي عاصمة المملكة الايرانية اليوم وكانت تعرف قديما بالري، ويضرب المثل بملكها.

وملك الري هو الذي باع به عمر بن سعد دينه، وقبل أن يقاتل الحسين لأجله، فخسر الدنيا والآخرة.

وكانت اصفهان هي عاصمة ايران في عهد الملوك الصفوية، فنقلت العاصمة الى طهران في عهد القاجاريين.

وهي مدينة كبيرة يبلغ عدد نفوسها ستمائة الف[1].

وقد وسعت شوارعها في عهد رضا شاه وزيدت عمارتها.

وفي طهران المياه الغزيرة والانهار الكثيرة والبساتين والحدائق الناضرة، وفي شوراعها المتسعة تسير العربات على الخيل والسيارات يمينا وشمالا، وتسير المارة على جانبي الطريق، ولا يسير أحد في الوسط لذلك قل ان يقع اصطدام ولا دهس، واهلها ذوو اخلاق حسنة ونفوس طيبة.

مكتبات طهران:

في طهران مكتبات كثيرة يعسر احصاؤها منها خاصة ومنها عامة، لكننا نذكر منها ما رأيناه أو ما هو مشهور.

---

(١) يناهز عدد سكانها اليوم اثني عشر مليون نسمة.

١ ـ مكتبة مدرسة سبهسالار:

وهي مكتبة موضوعة في حجرة كبيرة من حجر هذه المدرسة، وبجانبها حجرة للمطالعة، وقيمها رجل من علماء كرمانشاه كريم الاخلاق.

وقد كنا نذهب اليها كل يوم فنستفيد من محتوياتها، ونـنقل منها لكتابنا أعيان الشيعة، ونبقى فيها الى الظهر الى وقت اقفالها.

والظاهر أن واقفها هو واقف المدرسة المار ذكره، وفيها من نفائس المخطوطات ومنها جزء من كتاب نثر الدرر للآبي.

٢ ـ مكتبة المجلس النيابي: ومحلها بجانب المجلس، ولها قاعة متسعة لجلوس المطالعين، فمن طلب كتاباً جاءه به الخادم مع دواة وورق.

وهي مكتبة جيدة فيها مجموعة لا بأس بها من المطبوعات ونفائس المخطوطات.

انشئت بعد انشاء المجلس النيابي وسميت باسمه، وقد ذهبنا اليها عدة ايام واستفدنا من محتوياتها.

٣ ـ مكتبة مدرسة المروي: ولها فهرس مطبوع ولم يتيسر لنا الذهاب اليها، واكتفينا بأخذ فهرسها المطبوع.

٤ ـ مكتبة سادات اخوان: أخذنا قليلاً من بعض محتوياتها ولم يتيسر لنا الاطلاع على جميع ما فيها.

٥ ـ مكتبة الشيخ فضل الله النوري: وأصلها مكتبة عظيمة لكن فقد شيء كثير منها، وبقي باقيها عند ولده الشيخ ضياء الدين، الذي خلع لباس أهل العلم وطريقتهم.

وفي هذا الباقي جملة من المخطوطات النفيسة فكنا نذهب الى دار ولده، التي هي في أطراف طهران، فنبقى هناك من الصباح الى المساء في المكتبة، حتى راجعنا جميع محتوياتها، ونسخنا منها ما لنا به حاجة.

وفي بعض الأيام كنا نأخذ بعضها الى المنزل.

ومن نفائس محتوياتها كتاب زهر الرياض، والظاهر انه نسخة الأصل.

٦ ـ مكتبة شريعتمدار الرشتي: وهذه كنا نذهب اليها، فنكون في دار صاحبها الجليل على الرحب والسعة ونبقى طيلة النهار الى المساء، وهو يأتي لنا بمحتوياتها تدريجاً فننقل منها الى أن استوفيناها.

٧ ـ مكتبة الحاج آقا حسين ملك التجار: وهي مكتبة جليلة فيها نفائس المخطوطات، بما يقدر بخمسة آلاف مجلد.

ومن محتوياتها كتاب التبيان في تفسير القرآن للشيخ الطوسي، وهذه لم نوفق لرؤيتها لان صاحبها كان غائبا عن طهران، كما انه لا يستفيد منها أحد لان صاحبها همه ان يجمع نفائس الكتب ويشتريها بأغلى الأثمان ويضعها في صناديق.

ويريد ان يبني لها بناية ويقف لها أوقافاً ويجعلها مكتبة عامة لكنه يأخذ الأمر بالتسويف.

٨ ـ مكتبة الشيخ محمد المدرس، وقد وجدنا فيها كتاب الرجال للشيخ الطوسي.

لشكرة: وهي قرية في الشمال الشرقي من طهران، على جانب نهر هناك يمر في واد، وفيها بستان فيه قصر كانا لناصر الدين شاه القاجاري.

وقريب منها طريق يتوجه الى الشمال رأينا عربات النقل تسير فيه، وتنقل الفحم الحجري الخام الى طهران، وكان قد دعانا الى قريته:

افجة:

السيد هادي الافجئي، فركبنا السيارة الى لشكره ومنها اتي لنا بدواب ركبناها، فقطعنا النهر الى افجة.

وكان معنا الشيخ اسحاق والشيخ محمد المدرس، وبين الدواب فرس أبى كل الرفقاء أن يركبها، فقلت: أنا أركبها فقال المدرس كأنك تحسن ركوب الخيل؟ فقلت: يمكن.

فلما استويت على ظهرها قال المدرس: انك خيّال.

ثم سرنا حتى وصلنا قرية افجة وهي على ربوة، وقريب منها مجمع الانهار فبتنا بها في ضيافة السيد هادي الافجئي.

وفي جنوبها واد يجري فيه نهر، فذهبت منها حتى وصلت قعر الوادي، ووصلت الى النهر.

وفي خارج القرية قد زرعوا زرعاً ليس منه في بلادنا، زرعوه (للقصيل)، في مايسمونه في بلادنا (الحواكير) وكانوا في ذلك الوقت (يقصلونه) وهو أخضر، وينقلونه الى القرية ويخزنونه بعد تجفيفه الى الشتاء علفاً للدواب.

وفي اليوم الثاني دعينا الى قرية تسمى:

ناران:

وهي شرقي افجة، نزهة ذات أنهار وحدائق فجاءوا لنا بدواب ركبناها وسرنا اليها.

وفي الطريق سواق من الماء على حافاتها الأشجار في منظر يخلب الألباب.

فبتنا بها تلك الليلة، وكان فيها جندي من الدرك كان يصعد السطح وينفخ ببوقه (البرزان) عند وقت الصلاة بدل الأذان، ثم خرجنا منها في الصباح عائدين الى طهران.

وتأخر حضور الدواب فقلت لشاب معلم مدرسة: هل لك في المشي؟ فقال: نعم.

فمشينا على ضفاف تلك السواقي في ظلال تلك الأشجار ثم لحقونا

بالدواب فأبينا الركوب حتى وصلنا أفجة، ومنها ركبنا الى لشكرة.

وكانت السيارة قد حضرت لميعادها فركبناها وعدنا الى طهران.

ما نسخناه في طهران من الكتب:

نسخنا في طهران رسالة أبي غالب الزراري وتتمة أمل الآمل للقزويني، ورسالة في وفيات العلماء وغير ذلك.

وأوصينا على نسخ فهرست الشيخ الطوسي فنسخ لنا.

خطباء طهران:

في طهران خطباء لا يحصون كثرة لكن الخطيب الوحيد فيها الذي لا يباري هو:

ميرزا عبد الله الطهراني:

وهذا كان يخطب ولا يستوعب خطابه أقل من ساعة، حضرنا مجالسه في طهران مراراً عديدة.

وكان يخطب في مسجد الجمعة الذي كنا نصلي فيه بعد فراغنا من الصلاة عشاء، ويخطب في المجالس العظيمة.

ومن خطباء طهران خطيب هو من السادات اسمه:

ميرزا يحيى:

ومنهم خطيب مسن اسمه على ما أظن:

الشيخ محمد:

وهو رجل أبيض الوجه طويل القامة شيخ كبير يقول ان أصله عاملي، وخطابته في الدرجة الوسطى أو دونها، ولكنه منقّب، فكان يسألني عن آيات كلها بمعنى واحد وعباراتها مختلفة فالمعنى الواحد قد عبر عنه بعبارتين مختلفتين أو

ثلاث عبارات مختلفة أو أكثر.

يقول: ما الوجه في اختلاف العبارات فيها؟ فأقول له: ان التفنن في العبارة من مقاصد البلغاء.

وقال لي مرة: ان في مصباح المتهجد دعاءً ناقصاً ونقصانه ظاهر وأراني إياه.

وهذا الدعاء كنت قد لاحظت حين جمعت مفتاح الجنات أنه ناقص كما لاحظه هو، وظهر لي ان نقصانه من سهو قلم الشيخ الطوسي، لا من النساخ لتطابق النسخ كلها على هذا النقصان وظهوره ظهورا بيناً.

الشيخ محمد المستعرب:

هذا رجل من أهل طهران، أبوه كان من العلماء المعروفين في طهران، وهو في شبابه كان يطلب العلم في النجف أيام كنا هناك، وكان يتكلم العربية الفصحى، لطيف ظريف نظيف خفيف الروح جميل الخلقة بهي الطلعة، ينظم الشعر العربي الجيد كثير الخلطة باصحابنا العامليين، مزّاح قال له يوماً بعض الطلبة من بلاد حمص وهو يريد الذهاب الى طهران: ما تأخذني معك الى طهران، فقال له: ما أوصوني على دبوب.

وقد سافر الى طهران ونحن في النجف، وكان يعرف بالشيخ محمد الطهراني، وكنت لا ازال اسأل عنه من أراه من الطهرانيين، فلا يعرفه احد لاني اسألهم عن الشيخ محمد الطهراني، وهم يسمونه الشيخ محمد المستعرب.

فلما وردنا طهران وسلّم علينا في جملة من جاء لم أعرفه لأن حالته قد تغيرت الى الضد مما وصفته به آنفاً.

فهو رث الهيئة وسخ الثياب قبيح الخلقة مسكين فاقد نضارة الشباب.

فقلت له: هل تعرف رجلاً يسمى الشيخ محمد الطهراني كان في النجف وكان لنا صديقا؟

فقال: أنا هو.

فقلت له: لا، هو رجل غيرك.

فقال: انا هو.

فقلت: يا سبحان الله لست اياه، وأنا أعرفه، وانت لا تشبهه في شيء من صفاته.

فقال: يا سبحان الله أنا هو، ولكن غيرتني نوائب الدهر عما كنت تعهدني وأصبت بمصائب حولتني عما كنت تعرفني، منها انهم الزموني بلبس القبعة مدة وما عدت الى العمامة الّا بشق الأنفس.

عملنا في طهران:

كانت أكثر أعمالنا في طهران مقصورة على التفتيش في المكتبات عما هو من شرط كتابنا أعيان الشيعة، ونقله الى المسودات.

أما المكتبات الاهلية فكنا نمكث فيها كل النهار من الصباح الى المساء، ونبقى على ذلك اياما حتى نستقري جميع ما فيها، كمكتبة شريعة مدار الرشتي ومكتبة الشيخ فضل الله النوري.

وأما المكاتب العامة كمكتبة مسجد سبه سالار، ومكتبة المجلس النيابي فكنا نذهب اليها من الصبح الى الظهر، وهو الوقت الذي تفتح فيه وبعد الظهر نكون في المنزل ننقل مما عندنا من الكتب.

صلاة الجماعة:

كنا اولا نصلي جماعة في ساحة دار الشيخ اسحق الرشتي، ثم دعينا للصلاة جماعة في مسجد يسمى مسجد الجمعة، فكان يمتلىء بالمصلين على سعته.

وبعد الصلاة كان يخطب الميرزا عبد الله الطهراني المتقدم ذكره، وهو أخطب خطباء طهران، فتستمر خطبته ساعة على الاقل.

وكان يقف على الباب شرطيان الى ان يخرج الناس يحفظان النظام، ويمشيان امامنا حين الخروج من المسجد، يمنعان عنا زحام الناس.

وفي آخر ليلة وكنا نريد السفر في صبيحتها، وكانت ليلة الجمعة دعانا بعد فراغه من الخطبة فصعدنا المنبر، وتكلمنا بعض الكلمات وودعنا الجماعة ونزلنا.

موسى جار الله التركستاني[1]:

---

(١) هو رجل من أهل تركستان من بلاد روسيا يعبر عن نفسه في كتاباته ووشيعته تارة بموسى جار الله، وأخرى بموسى جار الله ابن فاطمة. ولا ندري وجه تلقيبه نفسه بجار الله أو تلقيب ابيه به ولا وجه اختياره الانتساب الى أمه والله تعالى يقول: (أدعوهم لآبائهم) (الاحزاب/٥) وصرّح في الوشيعة بأنه من متصوفة الإسلام ويظهر من ملامحه حينما زارنا بمنزلنا في الكوفة أواخر عام ١٣٥٢ هـ انه تجاوز الستين من عمره يلبس اللباس الافرنجي، وعلى رأسه قلنسوة من المخمل الاسود، وهو كثير شعر الرأس واللحية قد وخطه الشيب، يحسن العربية الفصحى والفارسية والتركية، ولابد أن يكون يحسن غيرها من اللغات الفرنجية وقد حضر المؤتمر الاسلامي المنعقد في القدس عام ١٣٥١ هـ ثم جاء إلى العراق عام ١٣٥٢ هـ ثمّ ذهب الى إيران عام ١٣٥٣ هـ ثم عاد إلى العراق في تلك السنة ووجه الأسئلة المشار إليها إلى علماء النجف والكاظمية، ثم سافر إلى مصر، وألف فيها «وشيعته» وطبعها عام ١٣٥٥ هـ وهو باق في مصر إلى الآن عام ١٣٥٩ هـ ولسنا نعلم تفصيل أحواله ولكننا نذكر شيئا منها مما أدرجه في أوائل «الوشيعة» وما جرى لنا معه في الكوفة وطهران. ذكر في أوائل الوشيعة: «هاجرتُ بيتي ووطني في نهاية سنة ١٩٣٠ م، هجرة اضطرارية وكانت قد سدت علي كل طرق النجاة حتى آثرت مضطراً أوعر الطرق وأصعبها وأطولها، فساقتني الأقدار من طريق التركستان الغربي الى الاقطار الإسلامية إلى التركستان الشرقي الصيني فالبامير، فأفغانستان، وبقيت أربعة أشهر وزيادة على متون الخيول حتى وصلت الى كابل، ورأيت من كل عجائب الطبيعة وأعاجيب الأمم والأحوال ما كان ينسيني الصعوبات التي كنت ألقاها أو أتورّط فيها. وأصعب عذاب لا أكاد أنساه هو أني بأيدي حرس كانت ترقبني ولا تتركني على اختياري في البحث وفي الإقامة حيث أريد» ـ وهذا يدل على أنه نفي من بلاده لأمور لعلها سياسية ـ وكان الأولى به بعدما رأى ما حل بالإسلام والمسلمين وما حل به نفسه أن لا يسعى بما يثير الفتن بينهم، ويوغر الصدور، وأن لا يدفن المحاسن، ويجتهد في اختلاق المعائب والتعصب بالباطل، قال: «أقمت بكابل في الانتظار أربعين يوماً

ضيفا عند حكومتها الكريمة، ثم فتح الله جل جلاله على وجهي أبواب السفر بإشارة من جلالة الملك اعلى حضرت نادر شاه، فانتهزت ضرورة الاغتراب في اختيار السياحة بالبلاد الاسلامية، وقد كنت سحت من قبل في الهند، وجزيرة العرب، ومصر، وكل بلاد تركيا، وكل التركستان الغربي، إذ أنا طالب صغير قد فرغ من درس العلوم المعروفة في المدارس الثانوية والمدارس الدينية، ودامت سياحتي في تلك المرة ستة أعوام كنت فيها في مختلف الأقطار الإسلامية إلا العراق وإلا الإيران (كذا) وفي هذه المرة الأخيرة أعدت سياحتي في كل الأقطار الإسلامية التي كنت فيها من قبل. أما سياحتي في البلاد العراقية والإيرانية فقد دامت سنة وزيادة، وكانت صعبة شديدة، ثم قال: ذهبت في نهاية سنة ١٩٢٠ م، الى بخارى بعدما استولت عليها البلاشقة بقوة عسكرية من أبنائها ـ وهذا يدل على أنه من بلاد تركستان الروسية ـ ثم في سنة ١٩٢٧ م، زرت المدينة المنورة وأقمت بالحرم النبوي عشرين يوماً. ثم قال: جلت في بلاد الشيعة طولاً وعرضا سبعة أشهر وزيادة وكنت أمكث في كل عواصمها أياما وأسابيع، وأزور معابدها، ومشاهدها، ومدارسها، وأحضر محافلها وحفلاتها في العزاء والمآتم وحلقات الدروس، وكنت أستمع ولا أتكلم بكلمة، وهذا دليل على أن دأبه كان التجسس وتطلب العورات ولم تكن نيته خالصة ولا كان طالباً للحق وإلا لتكلم وباحث وحقق معهم ودقق فأما أن يخصموه أو يخصمهم، ولكنه كان ينظرهم بعين السخط التي لا تبدي إلا المساوىء، فأخطأ نظره في كثير من الأمور التي رآها واعتقدها وخالف اعتقاده الحقيقة فيها.

ما جرى لنا معه في الكوفة:

زارنا بمنزلنا في الكوفة من أرض العراق أواخر عام ١٣٥٢ هـ حينما تشرفنا بزيارة المشاهد الشريفة وذلك بعد ما جاء من المؤتمر الاسلامي بالقدس. دخل علينا فسلم فرددنا له السلام ورحبنا به وقلنا له: هل أنت مسلم فقال: او ما يكفي لبيان إسلامي السلام.

فقلنا له: قد يسلّم غير المسلمين ـ وكانت هيأته في لباسه الإفرنجي ولباس رأسه وطول شعره كما قدمنا يُظن منها أنه موسوي غير مسلم ـ ثم قال: إني وردت النجف، وسمعت بكم فجئت لزيارتكم، فشكرناه على ذلك، وسألناه: من أي بلد هو؟ فقال: إنه مسلم يتوطن بلاد الافرنج، ثم انه رأى في كتاب عندنا بيتين قديمين في الجاحظ وهما:

لو يمسخ الخنزير مسخاً ثانياً ... ما كان إلا دون مسخ الجاحظ

رجل ينوب عن الجحيم بوجهه ... وهو القذى في عين كل ملاحظ

فاغتاظ لذلك، فقلنا له: هذا شعر قديم، قد قيل في الجاحظ وأودع في الكتب وطبع وانتشر،

وتبعته ليست علينا وكان في مجلسنا سيّد فاضل يساعدنا في الكتابة، فأراد أن يجيبه، فانتهره وأظهر الغضب، فاحتملنا له ذلك، لأنه ضيف وأخبرنا أن له مؤلفات غابت عن ذاكرتنا أسماؤها ثم سألنا سؤالين:

السؤال الأول: ما سبب قول الشيعة وعملهم بالتقية؟ فقلنا له: التقية لا تختص بالشيعة، بل هي عامة عندهم وعند غيرهم من المسلمين، بل عند جميع العقلاء، لأنها عبارة عن إظهار خلاف المعتقد بقول أو عمل عند الخوف على النفس أو العرض أو المال، وهذا مما قضي به العقل وحكم بجوازه الشرع حتى جوّز إظهار الكفر بقوله تعالى: (إلّا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) (النحل / ١٠٦) (إلا أن تتقوا منهم تقاة) (آل عمران / ٢٨)، (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) (غافر / ٢٨)، (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) (البقرة / ١٩٥) وإنما اشتهر الشيعة بالتقية دون غيرهم لكثرة ما جرى عليهم من الظلم والاضطهاد، وحصل لهم من الخوف، فكثر عندهم استعمال التقيّة واشتهروا بها دون غيرهم.

السؤال الثاني: ما دليل حلية المتعة؟ فقلنا له: الدليل عليها أنها كانت مشروعة بإجماع المسلمين منزل بها القرآن الكريم بقوله تعالى: (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن) (النساء/ ٢٤) حتى ان ابن مسعود كان يقرأ (فما استمتعتم به منهن) إلى أجل مسمًّى، رواه الطبري في تفسيره وغيره وعمل بها في عهد النبيﷺ وعهد الخليفة الاول وبعض مدة الخليفة الثاني حتى حرمها لمصلحة رآها. فقال: «متعتان كانتا على عهد رسول اللهﷺ أنا أحرمهما وأعاقب عليهما متعة الحج ومتعة النساء» فقد ثبتت شرعيتها ولم يثبت نسخها.

فقال: هكذا أجابني بعض علماء النجف عن السؤالين، وسكت ولم يبد اعتراضا، وكان عليه ان يبدي إعتراضه، إن كان عنده اعتراض لنا وللعالم النجفي لينظر ما عندنا في ذلك، فإن كان حقاً قبله وإن كان باطلاً ردّه علينا لا أن يسكت في الحضور، ثم يقذف بكلامه في المغيب من مكان سحيق.

وحضر وقت الغداء، فدعوناه إلى أن يتغدى معنا، فلم يقبل، وألححنا عيه، فأبى وودعنا، وشيّعناه ومضى.

ما جرى لنا معه في طهران:

ثمّ رأيناه في طهران عاصمة إيران سنة ١٣٥٣ هـ وكنا نصلّي في مسجد يسمى مسجد الجمعة، فحضر ذات ليلة وصلّى معنا، ولما فرغنا من الصلاة رأيناه فسلّمنا عليه، وتحدّثنا معه، وكان من حديث معنا أن قال: أنا أحترم جميع المذاهب ولا أتعصّب، فشكرنا له ذلك، ثم صعد الخطيب المنبر ليخطب بما جرت به عادته كلّ ليلة بعد انقضاء الصلاة، وهو أشهر

وفي بعض الليالي جاءنا رجل في ذلك المسجد اسمه موسى جار الله التركستاني، كنا رأيناه في الكوفة وأخبرنا عن نفسه وانه رجل يحب أهل الاديان، وبقي ليلتين أو أكثر يأتم بنا ثم يجلس أمام منبر الخطيب، ثم ارسل الينا كلمات ينتقد بها الايرانيين بأمور تافهة لا تستحق جواباً.

وكان قد زارنا في منزلنا فسألناه عن محل نزوله لنرد له الزيارة فقال: انه نازل في بيت امرأة أرمنية، فلم نستحسن زيارته في بيت أرمنية ثم جاء الى العراق، فأرسل الى علمائها مسائل ينتقد بها الشيعة بأمور أكل الدهر عليها وشرب.

فأرسلت الينا لنجيب عنها فأرسلنا لهم أجوبتها، ثم ذهب الى مصر وألف كتاباً سماه (الوشيعة في نقد عقائد الشيعة)، اكثر فيه من الوقيعة والامور الواهية الشنيعة، وخالف فيه اجماع المسلمين في عدة مواضع، وأتى بأمور سخيفة أبانت عن سوء نيته واعوجاج سليقته.

وطبعه له في مصر بعض من يريدون تحصيل المال من أي وجه اتفق غير مبالين بما ينجم عن امثال هذه الكتب من تفريق الكلمة، وايغار الصدور وقد رددنا عليه بكتاب سمّيناه (نقض الوشيعة).

خطيب في طهران ويسمى الميرزا عبد الله الطهراني، وكان خطابه يطول أكثر من ساعة وهو بالفارسية، فجلس يستمع إليه، فقلنا له: هل تحسن الفارسية؟ فقال: نعم، ثم قام وقال: أريد أن أجلس قريباً من المنبر، حتى لا يفوتني شيء من الخطاب، واستمرَّ على ذلك ليلتين، ثم زارنا في منزلنا بطهران، فسألناه عن منزله، لنردَّ له الزيارة. فقال: إنه نازل عند امرأة أرمنية، ثم لم يتسع لنا المجال لزيارته، ثم أرسل إلينا في اليوم الثالث انتقادات ينتقد بها خطباء طهران وعلماءها، وقد أدرجها في «وشيعته». هذا ما جرى لنا معه في العراق وإيران ثم لم نره بعد ذلك، وقد بلغنا أنه توفي» نقل من كتاب «نقض الوشيعة» للمؤلف.

الماء في طهران:

طهران واقعة جنوبي جبل عال يسمى شمران أو شميران، والماء الغزير يتفجر من أعالي ذلك الجبل فهو يشبه جبل الصالحية بالنسبة الى دمشق، ولكن أهل المدينة لا ينتفعون بذلك الماء كما ينتفع أهل دمشق بماء بردى والفيجة، فما يجيء من ذلك الماء الى البلدة دائماً هو مكشوف تلقى فيه القمامة والأقذار والاوساخ وقشور الفواكه.

والماء الذي يشربه أهل البلد يأتي في كل اسبوع أو نصف شهر أو اكثر مرة واحدة فيملؤون منه انابير (حواصل) قد اعدوها في دورهم، من مائها شربهم وطبخهم وسائر حوائجهم.

ومن ليس عنده انبار يستقي من أنبار جاره مع انه يمكنهم جلب تلك المياه بانابيب الى دورهم بواسطة شركة أهلية كما فعل أهل دمشق بماء الفيجة وقد خاطبتهم بذلك، فقالوا: قبل هذا ألفت شركة وأكلت الاموال التي دفعت لها.

وفي طهران ماءان اثنان يجريان الى البلد دائما لايخالطهما شيء:

(أحدهما) الماء الذي جلبه الشاه ناصر الدين القاجاري.

(والاخر): الماء الذي جلب الى سفارة الانكليز، والذي يريد ان يشرب ماء صافيا نظيفاً يستقي من أحدهما.

الكهرباء في طهران:

طهران هي المدينة الوحيدة التي تنار بالكهرباء بين مدن ايران، ولكن ليس فيها قطارات تسير على الكهرباء.

البقر:

ويمنع دخول البقر الى طهران وانما يجب ان يكون خارج المدينة.

شوارع طهران:

شوارعها القديمة ضيقة ولكن شوارعها الجديدة متسعة جدا بحيث ان السيارات والعربات الواقفة تقف في وسط الشارع، والسائرة تسير في يمين الشارع ويساره والمارة تمر على حافتيه، ومن ذلك يعلم كم هي سعة الشارع التي تسير سيارة وعربة في يمينه ومثلهما في يساره وتقف عربة وسيارة في وسطه، وتسير المارة على جانبيه فوق الارصفة.

وشوارع طهران العامة مرصوفة بالحصى.

السائح الهندي:

ورأينا في طهران سائحاً هندياً دار أكثر أقطار الارض على دراجة (بسكليت)، وهو مستمر في سياحته لزيارة باقي الاقطار، ومعه دفتر فيه توقيعات من مشاهير البلاد التي زارها تشهد برؤيتهم له فيها، وقد طلب منا التوقيع على دفتره فكتبنا له فيه اننا رأيناه في طهران.

شمرانات:

أو شمران أو شميران هو مصيف أهل طهران، ويقع شمالي المدينة وهو أعلى منها، وفيه مياه جارية غزيرة تنبع من أعالي الجبال، وتسقي بساتينه وحدائقه الكثيرة.

ولاغلب أهل طهران فيه بيوت ودور يسكنونها في الصيف أو يؤجرونهاللمصطافين، دعينا اليه مرارا وبقينا فيه أياما، وفيه اقول:

فلا عدا الغيثُ طهراناً وجاد بها

حدائقاً ناضراتٍ في شميرانا

تجريش:

وهي قرية بنواحي شمران وقد دعانا بعض الصلحاء من أهلها وهو رجل

خباز لزيارتها والصلاة جماعة بأهلها.

وكان عندنا يومئذ شغل كثير لم نقدر على تركه، ووعدناه بالحضور متى فرغنا، ثم جاء مراراً وكرر مطالبتنا بذلك.

فلما فرغنا كان قد دعانا الى منزله بشمران (بديع الزمان)، فقلنا له الليلة نذهب ونصلي بكم.

فوصلنا شمران عند الغروب، وذهبنا الى منزل بديع الزمان فوصلناه بعد الغروب بربع ساعة تقريبا وأردنا الذهاب الى المسجد وفاء بالوعد، فقال لنا اصحابنا: ان الوقت قد فات، ولابد ان يكون الجماعة قد تفرقوا فلم نذهب.

ولما طال الأمر على الجماعة ولم نحضر وكانت الساعة قد بلغت الواحدة، حضر ذلك الرجل الى منزلنا وقال: الجماعة لا يزالون حاضرين ينتظرونكم، فذهبنا فوجدناهم مجتمعين، فصلينا بهم وجعل ذلك الرجل يحضر كل يوم عند الفجر، ونذهب معه ونصلي بهم جماعة، ونرجع الى المنزل فانظر الى تمسك هؤلاء القوم بالدين والتقوى.

الى خراسان:

ثم خرجنا من طهران في أوائل ربيع الثاني سنة ١٢٥٢ هقاصدين خراسان فمررنا في طريقنا ببلدة تسمى:

جابان:

وعندها مقهى فيها ماء جار غزير، وفيه مطعم، وبينما نحن نتغدى اذ جاء تاجران اخوان من أهل طهران، لهم محل تجاري كبير قرب المقهى فيه أنواع البضائع وأصنافها وجاءا بطعام أيضا ودفعا ثمن ما كنا استحضرناه.

وكان قد حضر وقت صلاة الظهر فدعوانا الى الصلاة جماعة فصلينا بالحاضرين، وأصعدانا الى مكان مفروش وفيه اسرّة فنمنا هناك.

فلما ان افقنا وجدنا شيئا كثيرا في الفراش من الحشرات الي يسميها الشاميون (بق) والايرانيون (ساس) وهو ما يقض المضاجع ويشغل البال في دمشق فقلنا: سبحان الله لحقنا هذا الحيوان الى هنا.

وكان عندهما أخوهما من أهل العلم، غاب عنا اسمه قد جاء اليهما من طهران.

ومن الغريب اننا في العودة وصلنا الى هذا المكان في الساعة الواحدة ليلاً، فما وقفت السيارة الا وكان هذان الرجلان على رؤوسنا، فعلمنا انهما كانا يستطلعان خبرنا منزلاً فمنزلاً وساعة فساعة، فأخذانا الى محل تجارتهما وأحضرا الشاي والعشاء، ثم تابعنا السير الى:

شاهرود:

وبعض الناس يقولون شاروط فيحرفون اسمها، ومعنى شاه ملك ومعنى رود النهر أي ملك الانهار، لانه يتشعب منها انهار كثيرة.

وفيها حيوان يسمى: (غريب كَز) اذا لسع الغريب حدث منه مرض يصعب شفاؤه فلم نبت بها لا في الذهاب ولا في الاياب.

ثم تابعنا السير الى (خير آباد خرابة)، وبينهما فرسخان، ومنها الى (الهاك) أربعة فراسخ، منها الى (ميامين)، وبينهما ستة فراسخ، ومنها الى (دهن زيدر)، وبينهما فرسخان، وهو مقهى فيه مياه جارية عذبة وأمكنة نزهة وابنية لمبيت المسافرين.

فجلسنا فيه وتغدينا وصلينا وتابعنا السير، فمررنا بين جبال وأراض قاحلة.

وفي رؤوس الجبال الى جوانب الطريق آثار مخافر كانت قديماً، وقيل لنا ان هذه هي الارض التي كان التركمان يخرجون فيها، فيسلبون الزوار ويقتلونهم أو يأسرونهم، وهي اليوم آمنة.

ومررنا بموضع فيها قيل لنا ان فيه قبور جماعة من أهل البحرين قتلهم التركمان في هذا المكان، ثم سرنا حتى مررنا ببلد يسمى (ميان دشت)، وبينهما أربعة فراسخ، ومنها الى (عباس آباد)، وبينهما ستة فراسخ، ومنها الى (كهك)، وبينهما ستة فراسخ، ومنها الى (مزينان) وبينهما فرسخان، ومنها الى (داورزن) وبينهما فرسخان، ومنها الى (سوتخر) وبينهما اربعة فراسخ، ومنها الى (ريوند) وبينهما أربعة فراسخ، ومنها اى (سبزوار) فوصلناها بعد الغروب.

وسبزوار مدينة قديمة لها ذكر في التاريخ، وكانت تسمى بيهق وهي مدينة نزهة كثيرة البساتين والأشجار والثمار والخضر، وفيها البطيخ العزيز النظير المسمى بالطالبي.

وعند الصباح سرنا قاصدين (نيسابور) وهي من أمهات مدن خراسان وقربها قبر الفردوسي الشاعر الفارسي المشهور، ثم سرنا فمررنا بمكان يسمى:

قدم گاه:

أي محل القدم، وقريب منها محل قدم في الصخر وقربه عين جارية، يزعمون انه محل قدم الرضا عليه السلام، ويسمون العين عين الرضا.

والزوار تتبرك بمحل القدم وبالشرب من العين، والله اعلم بحقيقة ذلك، ثم تابعنا السير حتى اشرفنا على:

المشهد المقدس الرضوي:

ولاحت لنا قبته الشريفة صاعدة في الجو، يلمع فيها الذهب الابريز وتخشع لرؤيتها القلوب. ثم دخلنا المدينة في جمادى الاولى سنة ١٣٥٣ هـ وذهبنا تواً الى الحضرة الشريفة فتوضأنا وزرنا، وقد دخل وقت الظهر فصلينا.

ومن أول يوم وردنا اشتغلنا بالنسخ والتدوين، حتى اننا كنا نقوم آخر الليل ونضيء السراج ونكتب الى الصباح، فيرانا مضيفنا ويعجب من ذلك.

وكان مضيفنا أول الأمر العلامة السيد صدر الدين الصدر الموسوي. وقد كان يقيم اولا في قم حيث مدرسة الشيخ عبد الكريم اليزدي، وكان وجهها ومقدمها، ثم انتقل الى المشهد الرضوي، فكان من مقدمي علمائه، وكان يؤم الجماعة في مسجد گوهر شاد ويعظ الناس.

ولما انتقلنا من داره الى دار استأجرناها طيلة مكوثنا في المشهد، جعل يأتي الينا كل يوم غدوة وعشياً، وذهب معنا الى دور الجماعة الذين زارونا حين أردنا رد الزيارة لهم[1].

---

(١) عاد بعد ذلك الى قم فكان رئيس جامعتها الركين. وفي قم توفي وقد كانت وفاته بعد وفاة صاحب الرحلة، لذلك لم يترجمه في (أعيان الشيعة)، لان طريقته كانت ان لا يترجم للاحياء. وعند صدور الجزء الاول من (اعيان الشيعة) واطلاع السيد الصدر عليه أرسل الى مؤلفه القصيدة التالية، الدالة على اخلاصه ووفائه وطيب عنصره:

امولاي يا من قد اقر بفضله
محبوره طرا بل واذعن حاسده
لقد جمعت فيك الفضائل كلها
فلا فضل الا أنت لاشك واجده
اذا ذكرت بين الورى طرق العلا
فكل طريق للعلا أنت رائده
لعمري لقد جددت ذكر معاشر
لهم طارف المجد الاثيل وتالده
وأحييت في تأليفك اليوم مجدهم
وقد بليت آثاره ومعاهده
ومثلت منهم كل عين سميدع
عيانا لنا حتى كأنّا نشاهده
أبوك لقد سماك من قبل (محسنا)
وفي يومنا هذا كتابك شاهده
وفي كل عصر واحد يعقد الرجا
عليه وهذا العصر انك واحده

وصف مدينة المشهد ومبدأ عمارتها:

قال محمد حسن خان صنيع الدولة، من مشاهير أدباء الفرس في كتابه بالفارسية المطبوع (تاريخ مشهد خراسان)، الذي هو أتم وأحسن ما كتب في ذلك، المؤلف سنة ١٣٠٠ وقد نقل منه نبذة مختصرة الفاضل الشبيبي فيما كتبه في مجلة العرفان م ٥ ص ٢٩٧ ما صورته:

«مدينة مشهد خراسان قائمة على أنقاض مدينة سنا آباد البلدة الفارسية، التي وليها حميد بن قحطبة من قبل الرشيد، وكان له فيها دار وبستان دفن فيه هارون الرشيد ثم الامام الرضا.

وقد لاقى عمران المدينة عمران المشهد الى ان استفحل شأنها على عهد السلطان ميرزا شاهرخ الكوركاني، فأمر بانشاء العمارات في طوس سنة ٨٠٨ وتقدمت بعد ذلك.

قال: ويكتنف مدينة المشهد سور عظيم غير تام الاستدارة من آثار الشاه طهماسب ابن الشاه اسماعيل محيطه نحو فرسخ، وفيه ١٤١ برجاً بين كل برج وآخر مرمى بندقية قديمة، وستة أبواب.

ويقطع البلدة شارع طويل جدا عرضه ٢٢ ذراعاً، وتخترق البلدة عدة اقنية جارية تحت الأرض، (اقول) ولكنه لا أثر لهذا السور اليوم.

وإنّـا الى الاصلاح في حاجة فقم
بـه، رجـل الاصـلاح انت، وقائده
أدام رب العـرش للـعلم منهلا
مصفى نميره يرتوي منه وارده
وحـصناً منيعاً لا يضام نزيله
ويبلغ ما يرجو ويأمل وافده

أحياء المدينة وحماماتها وفنادقها:

قال: وفي المدينة ستة أحياء كبيرة وعشرة صغيرة واكثر من ثلاثين حماماً و١١ فندقاً.

مدارسها:

ومشهد طوس من أكثر مدن ايران عدد مدارس ففيه نحو ٢٠ مدرسة كبيرة تشبه مدارس اصفهان من حيث العمارة، وطلابها ذوو طبع جيد في الآداب والمعقولات.

واقدم مدارسها مدرسة البابين، أقيمت على عهد الشاهرخ الكوركاني سنة ٨٤٣، وبعدها المدارس التي شيدت في أيام الصفويين في القرن الحادي عشر، وفي اكثر هذه المدارس كتابات كوفية ونسخية عربية الألفاظ.

مدينة طوس:

قال ياقوت: طوس مدينة بخراسان تشتمل على بلدتين يقال لاحداهما الطابران، وللاخرى نوقان.

وبطوس قبر علي بن موسى الرضا، وقبر هارون الرشيد، وقال مسعر بن المهلهل: طوس اربع مدن منها اثنتان كبيرتان واثنتان صغيرتان، وبها دار حميد بن قحطبة مساحتها ميل في ميل.

وفي بعض بساتينها قبر علي بن موسى الرضا، وقبر الرشيد.

سنا آباد:

قال ياقوت: هي قرية بطوس فيها قبر الامام علي بن موسى الرضا وقبر امير المؤمنين الرشيد بينهما، وبين مدينة طوس نحو ميل ا هـ وجاء في أخبار الرضا عليه السلام ان سنا آباد من رستاق نوقان، وانها من نوقان على دعوة أي قدر ما يدعو الرجل الآخر برفع صوته فيجيبه، وقال علي بن ابي عبد الله الخواني في

قصيدته في رثاء الرضا عليه السلام:

يا أرض طوس سقاك الله رحمته

ماذا حويت من الخيرات يا طوس

طابت بقاعك في الدنيا وطيبها

شخص ثوى بسنا آباد مرموس

وهو صريح في ان قبر الرضا عليه السلام بسنا آباد وانها من قرى طوس.

نوقان:

بضم النون قال ياقوت: «احدى قصبتي طوس لان طوس ولاية ولها مدينتان احدهما طابران والاخرى نوقان وفيها تنحت القدور البرام ا هـ

ومر ان نوقان على دعوة من سنا آباد.

ونوقان اليوم احدى محال المشهد المقدس وتسمى بهذا الاسم الى اليوم وقد دعينا الى ضيافة فيها.

طابران:

بفتح الباء قال ياقوت: هي احدى مدينتي طوس لان طوس عبارة عن مدينتين أكبرهما طابران والاخرى نوقان ا هـ

فتحصل من ذلك ان طوس على ما لعله يفهم من كلام ياقوت السابق في نوقان وطابران ليس اسما لمدينة معينة، بل اسم لقطر وولاية يدخل فيها نوقان وطابران، اما كلامه السابق في سنا آباد فيدل على خروجها عن اسم طوس، وانما هي من توابعها فتنسب اليها بهذا الاعتبار.

اما كلام مسعر فربما دل على ان اسم طوس يطلق على مجموع المدن الاربع مع اطلاقه على واحدة بعينها.

وهي ما عدا الثلاث: سنا آباد ونوقان وطابران، وحينئذ فمراده بالمدن

الاربع هذه الثلاث مع طوس فطوس عنده تطلق على مدينة بعينها، وعلى المجموع منها ومن الثلاث، وكيف كان فمدفن الامام الرضاعليه السلام في سنا آباد سواء ادخلت في اسم طوس أم كانت من توابعها.

مدينة طوس أو المشهد كما هي اليوم:

هي مدينة كبيرة في منبسط من الأرض فسيح، وحوله جبال بعيدة، وهي من اكبر مدن ايران بعد طهران، ومن اكبر مدن خراسان، وقريبة من حدود روسيا وتسمى طوس وتسمى ايضا المشهد باعتبار انها مدفن الامام الرضاعليه السلام.

عرفت ان اسمها الاصلي سنا آباد وان نوقان من جملة محالها اليوم، وانها قديما كانت بلدة على دعوة منها.

وهي مدينة جميلة معتدلة الهواء عذبة الماء كثيرة الخيرات والفواكة والثمار والخضار، لم ار احسن من فواكهها وخضارها بل ولا مثلها في جميع بلاد ايران.

فيها البطيخ الاخضر غاية في الجودة المسمى عندهم (هندوانه) والبطيخ الاصفر المسمى (خربوزة) الذي هو كالسكر وفيها الدراق المسمى (هلو) لا يوجد مثله في غيرها.

ولحومها والبانها من الذ اللحوم والألبان واطيبها، وهي كثيرة الانهار والاشجار والبساتين.

وبعض أنهارها يجري في وسط المدينة لكن اهلها لا ينتفعون منه بالشرب لانه كسائر انهار مدن ايران مكشوف تلقى فيه الاوساخ والاقذار.

ولا يدخل البلد ماء نظيف سوى ان من كانت تأتينا بالماء الى منزلنا كانت تقول انه من ماء علاء الدولة، فدل على ان شخصا يلقب علاء الدولة جاء بماء زلال الى المشهد لشرب أهله لكننا لم نره ولم نفحص عنه.

وقد أحدثت في طوس الشوارع الواسعة والميادين والحدائق والابنية كسائر مدن ايران وهدمت منها الدهاليز (الدالانات)، التي امام الدور وهدمت

سقوف الازقة.

وكانت قبل ذلك لا يوجد فيها دار ليس امامها دهليز مسقوف ليقي من يقف امام البيت من سقوط الثلج، وفي خارج طوس قرى ومتنزهات كثيرة.

مبدأ عمارة المشهد:

قال صنيع الدولة في كتابه السابق الذكر:

لما قبض الرشيد في خراسان دفن في دار حميد المقدم ذكرها، وأمر المأمون فأقيمت ثمة قبة دعيت القبة الهارونية ثم دفن الى جنبه الامام أبو الحسن علي بن موسى الرضا من أئمة أهل البيت سنة ٢٠٣ فغلب اسمه على القبر.

وقيل ان الديالمة تقدموا بعد ذلك بعمارة مشهده، ثم اخربه الامير سبكتكين، وبقي خراباً لا يجرؤ الشيعة على عمارته خوفاً من غيرهم، الى ان تقدم بها السلطان محمود بن سبكتكين، فجدد العمارة كما ذكره ابن الاثير، ثم عمره شرف الدين القمي على عهد السلطان سنجر السلجوقي.

ولم تزل عمارته قائمة الى ان أخربها التاتار، ثم تقدم بتجديدها السلطان محمد خدابنده حفيد هولاكو.

وقد وصف عمارته هذه ابن بطوطة مارّاً بمدينة طوس سنة ٧٣٤، وتقدم بعد ذلك غير واحد من الملوك والصدور بتعمير المشهد والانفاق على زينته.

وصف المشهد:

قال صنيع الدولة في الكتاب السابق: موقع بناء المشهد وسط المدينة، وهو مربع ومساحته موضع الضريح عشرة أذرع في عشرة، وارتفاع القبة عليه عشرون ذراعاً، وللسور المحيط به اثناعشر باباً، غشي بعضها بالذهب وبعضها بالفضة، اثبت فيها نصوص آيات واحاديث كثيرة ومقاطع شعرية عربية وفارسية.

وعلى موضع الضريح عدة مشبكات أولها من الفولاذ، ولا تاريخ له وبينه

وبين المشبك الثاني عدة مشبكات من النحاس، طليت بالذهب لحفظ المجوهرات، التي داخله، وهي كثيرة.

اما القبة فهي مغشاة بالذهب الوهاج، وفي دائرها كتابة عربية واضحة محصلها: انه أمر بتزيين هذه القبة الشاه عباس الكبير، حين شد الرحال الى زيارة الامام من قاعدة مملكته اصفهان، امر بذلك سنة ١٠١٠ وتم سنة ١٠١٦ عمل كمال الدين محمود اليزدي ١٠١٥ كتبه علي رضا العباسي.

وهناك أيضاً كتابة عربية اخرى يظهر منها ان الشاه سليمان الصفوي، أمر مرة أخرى بتذهيب القبة بعد سقوطها بزلزلة سنة ١٠٨٤، وكان تذهيبها سنة ١٠٨٦.

الروضة كما هي اليوم:

الحضرة الشريفة الرضوية نهاية في الحسن والاتقان والابداع، لها منائر مكسوة بالذهب الابريز الخالص، مفرطة في العلو، أسفلها غليظ وأعلاها دقيق، تبتدىء بالغلظ ثم تستدق تدريجاً بخلاف باقي المنائر، فانها على نسق واحد.

والقبة الشريفة أيضا مكسوة بالذهب، وأحد أبواب الحضرة الشريفة، عنده ايوان مقرنص كلّه مكسو بالذهب.

وفي الصحن سقاية مكسوة بالذهب، وللحضرة صحن من جهة القبلة كان اول دخولنا منه.

مسجد العجوز:

وفي وسطه مسجد صغير محاط بحاجز يسمونه مسجد العجوز، وقد صلينا فيه أول ورودنا، وسبب تسميته مسجد العجوز انه كان بيتا لعجوز، فلما أرادوا بناء الصحن الشريف، طلبوا منها بيعه فأبت ثم وقفته مسجداً.

مسجد گوهرشاد:

وگوهرشاد هي زوجة شاهرخ بن تيمورلنك، وقد بنت گوهرشاد هذا

المسجد العظيم، ووقفت عليه أوقافا عظيمة جليلة، بحيث ان لأوقافه إدارة خارجة عن إدارة أوقاف المشهد، ومتولياً خاصاً غير متولي المشهد.

وهو مسجد معظّم غاية في الاتقان، له ايوان عال وفي جانبي الايوان منارتان عاليتان، علو كل منهما نحو أربعين ذراعاً، وهما مكسوتان بالكاشي الفاخر المنقوش بالنقش العجيب، وكذلك الايوان باطنه وجانباه.

وقال صنيع الدولة في كتابه الآنف الذكر: ومن أهم آثار المشهد مسجد گوهرشاد، وهو آية في احكامه وجمال هندامه، زين بالقاشاني المعرّق وغيره، طوله نحو ٥٣ ذراعا في عرض ٤٨.

وفيه قبة رفيعة ومآذن عالية لم تتضعضع بعد، مع انّ بناءها يرتقي الى اوائل القرن التاسع.

ولهذا المسجد أربعة أبواب، وقد عمر فيه على عهد الصفويين والقاجاريين.

وفيه كتابة منحوتة على الرخام أو مفخورة في القاشاني، جاء في بعضها بعد ذكر المتقدمة بالعمارة گوهرشاد وتمجيدها كثيراً بالعربية مانصه:

اتفق تحريرها في أوائل شهر الله المبارك رجب المرجب سنة ٨٦١ عمل العبد الضعيف الفقير المحتاج لعناية الملك الرحمن قوام الدين بن زين الدين الشيرازي الطيان ا هـ

الصحن العتيق:

شمالي المشهد، قال صنيع الدولة في كتابه المتقدم:

طوله ٨٦ ذراعا في عرض ٦٠ وهو من آثار الصفويين، كما تشهد بذلك الكتابات الظاهرة الى الآن ا هـ

وفيه باب للحضرة الشريفة في ايوان متسع وداخله أروقة كثيرة متسعة.

الصحن الجديد:

قال صنيع الدولة: هو من آثار فتحعلي شاه طوله ٧٢ ذراعاً في عرض ٤٩، وهو مغشى الجدران بالقاشاني البديع الصنع، وما يلي الأرض منه بالرخام وفيه كتابات عربية كثيرة اهـ

الكتابات في المشهد:

قال: الكتابات داخل المشهد كثيرة مختلفة يرتقي أقدمها الى سنة نيف وخمسمائة جلها عربي الاسلوب واللفظ، وبعضها بالخط الكوفي.

يذكر في أواخرها اسم الكاتب والمتقدم بالعمل غالبا، وفي جملة المكتوب أبيات أبي نواس المشهورة التي اولها:

مطهرون نقيات ثيابهم

تجري الصلاة عليهم اينما ذكروا

وكتب تحتها: تقرب بهذه العمارة الضعيف الذليل المحتاج الى رحمة ربّه تعالى مولى آل محمد عبد العزيز ابن آدم بن ابي نصر القمي.

ومن الكتابات الكوفية في أطر بعض المحاريب ما نصه: بسم الله الرحمن الرحيم شهد الله انه لا إله الا هو والملائكة، الى قوله ان الدين عند الله الاسلام.

وعند هذا المحراب مكتوب: كن في صلاتك خاشعاً.

وكتب بهذا الخط ايضا نص الآية: ﴿**ان الحسنات يذهبن السيئات**﴾ لا إله الا الله محمد رسول الله اللهم اغفر لمن استغفر لابي زيد محمد بن أبي زيد النقاش.

وكتب أيضاً سورة التوحيد بخط دقيق تاريخه سنة ٦١٢ ويوجد داخل المشهد غير ما ذكرنا: رسم آيات واحاديث وكلم جامعة، وعظات كلها عربية تقرأ واضحة جاء فيها ما نصه: من كلام رسول الله ﷺ انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم باخلاقكم.

قال ابراهيم بن العباس الصولي: لو وزنت هذه الكلمة بأحسن كلام الناس

لرجحت.

قال رسول الله ﷺ لا علم كالتفكر. لكل قلب شغل. من رضي عن نفسه كثر الساخط عليه. قلب الاحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه. رسول الموت الولادة.

وعلى المحراب الذي يلي الرأس رسوم آيات واحاديث كثيرة، وهي عمل علي بن محمد بن أبي طاهر غفر الله ذنوبه وغير ذلك كثير ا هـ

دار الحفاظ:

من البنايات التي حول الحضرة الشريفة، وهي ودار السيادة الآتية من البنايات العجيبة الوضع البديعة الصنع.

واستيعاب وصفهما لا يتيسر لنا لان ما فيهما من العمارات تحتاج رؤيته لأجل وصفه الى زمان طويل، لم يكن يتيسر لنا لاشتغالنا بما هو أهم من ذلك، هو التنقيب عن الكتب والنسخ منها فنكتفي بنقل ما في كتاب تاريخ المشهد.

قال صنيع الدولة في الكتاب المار ذكره: الآثار الماثلة ازاء المشهد كثيرة من أهمها دار الحفاظ وهو بناء على مربع (أي غير مدور)، مستطيل طوله ١٨ ذراعا في عرض سبعة أذرع ونصف وارضه مبلطة بالقاشاني أحدثته گوهرشاد زوجة الامير شاهرخ ابن الامير تيمور الكوركاني امير هراة وخراسان.

وفي هذه الدار خمسة أضرحة لبعض ملوك الفرس، وفيه كتابات فارسية وغير ذلك.

(أقول): دار الحفاظ هذه دخلتها مرتين وتأملتها فرأيتها من عجائب البنيان في علوها واتقانها.

دار السيادة:

قال: وهي ايضا من آثار گوهرشاد، وهي بناية مستطيلة طولها ٣٢ ذراعاً وعرضها مختلف، وفيها مسيل ماء عذب وبعض الاضرحة، وقد ضعضعتها الزلزلة

على عهد الشاه سليمان الصفوي فتقدم بترميمها.

وفي بعض جدرها كتابات متأخرة اكثرها شعر فارسي، غير أن في بعض دروبها كتابات قديمة سابقة على وجود هذه الدار اذ ان تاريخها يرتقي الى القرن السادس والثامن، وكذلك من الجهة الشرقية والغربية.

الأبواب والأبنية كثيرة:

والأبنية المحيطة بالحضرة الشريفة كثيرة يحار فيها الفكر بكثرتها واتساعها وتعدد بيوتها واروقتها واتقانها.

وللحضرة الشريفة عدة ابواب، ويقف على كل باب اثنان من الخدمة يمنعان من الزحام والاخلال بالنظام.

وفي داخل الحضرة أيضا خدام يتجولون لملاحظة السراق والنشالين، ويحفظون النظام.

وعلى القبر الشريف شباكان داخل وخارج والداخل من الذهب المرصع بالحجارة الكريمة والخارج من الفضة، والجهة الشرقية قائمة على أربعة أركان عظيمة وهي عند الركن الشمالي الغربي ضيقة.

وفوق الرأس من جهة الغرب بهو متسع يصلي فيه الناس بعد الزيارة، ويدعون ويستغفرون.

وكان هناك سيد فاضل جليل يقرأ على بعض القبور، فاذا فرغنا من الزيارة تخلى لنا عن مكانه، فصلينا فيه، وفي احدى الليالي كان معنا خطيب نجفي هو ابن الشيخ جاسم جسام، فطلبنا منه أن ينشدنا في ذلك المكان بصوته الرقيق الرخيم الشجي الأبيات التي منها:

ياأرض طوس سقاك الله رحمته

ماذاحويت من الخيرات ياطوس

فلما أنشدها فاضت العيون وخشعت القلوب.

مقبرة الشيخ البهائي:

للشيخ البهائي حجرة خاصة في المشهد، فيها قبره وعليه صندوق علق عليه زيارة مكتوبة على لوحة ليزار بها الشيخ البهائي، لم يبق في ذاكرتي ما كتب فيها، ولعلي لم أقرأها لاني اقتصرت على قراءة الفاتحة وإهداء ثوابها له والترحم عليه.

وذكرني ما للبهائي من العظمة والجلال في بلاد ايران حياً وميتاً بما قرأته في كشكوله ما حاصله: رحم الله ابي لو لم يأت الى بلاد العجم لما ابتليت بصحبة الملوك وأهل الدنيا.

فقال لسان حالي مخاطبا الشيخ البهائي: وانت رحمك الله تتجنى على زمانك وتتضجر من مجيئك لبلاد العجم، حتى أصبحت فيها شيخ الاسلام تركب مع الشاه عباس أعظم ملوك الصفوية ويأتمر بأوامرك.

والشهيد الثاني شيخ أبيك يحرس الكرم في الليل في قرية جبع، ويراجع هناك الدروس التي يدرسها في النهار، ويبني مسجده وداره بيده ويتاجر بالشريط لتحصيل معاشه، ويسافر مع المكارية والجمالة لتلك الغاية ويعاملونه كما يعاملون أحدهم.

وانت تدفن بمشهد الامام الرضا في حجرة معظمة وتزار كما يزار، وصاحبا المعالم والمدارك وغيرهما من فطاحل علماء جبل عامل مضيعة العلماء الذين لا يقصرون عنك، يدفنون في مقبرة جبع في جبل عامل في تربة لا بناء عليها، وقد اشرفت قبورهم على الاندراس والاندثار بتوالي السيول والأمطار ولا يزور قبورهم الا النادر في نادر من الازمان والاعصار.

مقبرة الحر العاملي:

وفي المشهد المقدس مقبرة الشيخ محمد بن الحسن بن الحر العاملي

صاحب الوسائل، في حجرة منفردة تشبه حجرة الشيخ البهائي، زرناه وترحمنا عليه وقرأنا له الفاتحة.

مقبرة طهماسب وعباس ميرزا:

وفي المشهد المقدس مقبرة الشاه طهماسب الصفوي، ومقبرة عباس ميرزا بن فتحعلي المتوفى سنة ١٢٤٩.

الفيروزج:

وفي طوس معدن يوجد في جبل هناك، فيؤخذ ويحك ويعمل منه فصوص الخواتم والاقراط، التي توضع في آذان النساء، وتسمى (گوش واره)، وله تجارة عظيمة، وينقل من طوس الى جميع أقطار الدنيا.

جبل سنا آباد:

وفي سنا آباد جبل تعمل منه القدور والأواني من حجرين: السواد والبياض، وتصل منه جوزات القليات وفناجين القهوة واباريق الشاي (القواري) وغير ذلك.

المكتبة المباركة الرضوية:

في المشهد المقدس الرضوي مكتبة حافلة بنفائس المخطوطات رغم ما ذهب منها، وفيها قسم وافر من المطبوعات.

وهي في بناية تابعة لبنايات الحضرة الشريفة وقريبة منها، يصعد اليها بدرج وفيها حجر احداها داخل الاخرى.

ففي اول مدخلها خادمان لعمل الشاي وجلب الماء ونحو ذلك، ثم غرفة للتجليد فيها عدة مجلدين، ثم غرفة للكتاب فيها عدد من الكتاب، ثم غرفة فيها خادمان لجلب الكتب.

فمن أراد كتابا جاءه به أحدهما، ثم غرفة للمطالعة ثم غرفة المدير ثم غرف فيها الكتب.

وكل هذه الغرف بعضها داخل بعض ولكنها كلها لا تليق بمكتبة مثل هذه المكتبة.

وفي النية أن يبنوا لها بناية تليق بها، لكن الحوادث المتتابعة حالت دون ذلك.

ونظامها ان الكتب المخطوطة لا يمكن اعارتها الى خارج المكتبة، أما المطبوعة فيمكن بوصول يعطى من المستعير شأن سائر مكتبات الدنيا.

اما نحن فقد أوعز المتولي باشي الأسدي محمد مؤمن خان الى المدير بأن يسلّمنا أي كتاب أردناه ولو مخطوطاً الى خارج المكتبة لقاء وصول مطبوع نملأه ونعطيه اياه ممضي.

فكنا نحضر اليها صباحاً عند فتحها ونبقى فيها الى الظهر، وهو وقت اقفالها وعند الظهر نأخذ ما نريده من مخطوطاتها أو مطبوعاتها الى المنزل، فننقل منه ما نريد وهكذا حتى استقرأنا جل محتوياتها.

المصاحف الشريفة المنسوبة الى خطوط الائمة عليهم السلام

اطلعنا في خزانة الكتب الرضوية المباركة على مصاحف شريفة منسوبة كتابتها الى خط مولانا علي أمير المؤمنين والحسنين وعلي بن الحسين صلوات الله عليهم، وقد تشرفنا برؤية المصاحف التي فيها في ١٣ ربيع الثاني سنة ١٣٥٣ هـ وهذه صفة ما رأيناه فيها:

١ ـ جزء من القرآن المجيد من أول سورة هود الى آخر سورة الكهف، منسوب الى انه بخط مولانا علي أمير المؤمنين عليه السلام، مكتوب على الرق (الجلد الرقيق) بالخط الكوفي، الذي تعسر قراءته على غير الممارس بمداد غير شديد السواد مائل الى الصفرة، والجانب الذي كان منه ملاصقا للحم لم يثبت مداده ثبات مداد الذي كان ملاصقاً للشعر أو الصوف بل كان فيه بعض التغير.

والظاهر ان سبب ذلك دسومة الجلد فلم يثبت عليه المداد كما ثبت على الجانب الذي يلي الشعر أو الصوف.

وخطه بنسبة واحدة من أوله الى آخره في مقدار حجم الحروف وعدد السطور واتساقها لا يزيد حرف عن حرف ولا كلمة عن كلمة ولا سطر عن سطر ولا صفحة عن صفحة في حجم حروفها وكلماتها وعدد سطورها، فكأنه طبع في مطبعة بحروف واحدة.

وهو بشكل ما نسميه في جبل عامل سفينة ويسميه العجم بياضاً أي ان اسفل كراريسه من جهة العرض لا من جهة الطول، فيفتح من ناحية العرض لا الطول.

عدد أوراقه ٦٨ في كل صفحة ١٥ سطر طوله ٣٤ سانتيماً وعرضه ٢٣ سانتيماً، وقطره ٣ سانتيمات، وجلده مذهب.

وهو موضوع في صندوق مذهب كلاهما في غاية الاتقان وبديع الصنع، وهو غير منقط ولا مشكل في الأصل، ولكن عليه نقط بالحمرة مدورة هي علامات على الشكل.

والظاهر انها متأخرة عن كتابته ولكنها من زمن قديم وظنناها أولا نقطاً للحروف المعجمة كما كان يظن ذلك غيرنا ويظنه قيم المكتبة من زمن طويل على ما أخبرنا، ثم ظهر لنا بالتأمل انها علامات على الشكل فجعل للكسرة نقطة تحت الحرف وللفتحة نقطة فوقه وللضمة نقطة وللتنوين نقطتان من فوق للمنصوب ومن تحت للمخفوض وامام الحرف للمرفوع واذا كان المضموم في وسط الكلمة، فتوضع النقطتان بجانبه من امامه، اما الحرف الساكن فليس عليه علامة.

وتوجد نقط قليلة خضراء من تحت أو فوق واقل منها زرقاء كذلك، لم نتحقق المراد منها لاحتياج ذلك الى ملاحظة كثيرة، وتأمل طويل كان يقصر وقتنا عنه، ولعل غيرنا يستطيع بتأمله معرفته فيوضحه وفي آخره هكذا في سطرين.

كتب على بن
أبي طالب

ويلاحظ ان كلمة ابن كتبت بدون الف وهي في آخر السطر، كما انها في الآتي كتبت أيضاً بدون الف. وهي في أول السطر.

وهو من وقف الشاه عباس الاول الصفوي، وقفه سنة ١٠٠٨.

وكتب الشيخ البهائي على ظهره بخط يده وهو خط جيد ما صورته: هذا الجزء من القرآن المجيد الذي هو بشريف خط سيد الاوصياء وحجة الله على أهل الارض والسماء، نفس الرسول وزوج البتول وابي السبطين وامام الثقلين، المخصوص باختصاص انما وليكم الله المعزز باعزاز من كنت مولاه فعلي مولاه:

سلام من الرحمن نحو جنابه

فان سلامي لا يليق ببابه

وقف على الروضة المنورة المقدسة المطهرة الرضية الرضوية على ساكنها الف صلاة وسلام وتحية.

والواقف هو تراب أعتابها والمفتخر بخدمة بابها أعني سيد سلاطين الزمان وأشرف خواقين الدوران، صاحب النسب الطاهر النبوي والحسب الظاهر العلوي، ابو المظفر شاه عباس الحسيني الموسوي الصفوي، خلد الله تعالى ملكه وأجرى في بحار النصر والتأييد فلكه، بمحمد وآله الطاهرين.

وكان ذلك في شهر جمادى الاولى سنة ١٠٠٨ من الهجرة

حرره تراب اقدام خدام

العتبة المقدسة

الرضوية بهاء

الدين محمد العاملي

عفي عنه

٢ ـ جزء من المصحف المجيد بالخط الكوفي على الرق (الجلد الرقيق) منسوب الى انه خط مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام، رأيناه في المكتبة

الشريفة الرضوية أيضا، وورقه ومداده وهيئة خطه وأسفل كرارسيه وجميع مميزاته كالجزء السابق، وسوره غير سور الجزء السابق.

وهو غير منقط ولكن وضع عليه نقط بالحمرة مدورة علامة على الشكل كما بيناه في الذي قبله.

والظاهر انها متأخرة على كتابته كالسابق، وتوجد نقط قليلة خضراء من فوق أو تحت واقل منها زرقاء لم نتحقق المقصود منها كما مر.

عدد أوراقه ٩٢ وسطور كل صفحة ٨ وطوله ٢٧ سانتيما وعرضه ١٨ سانتيما وقطره ٣ سانتيمات.

وقد حصل بعض المحو على اسم أمير المؤمنين، والظاهر انه من كثرة لمس الايدي للتبرك، لكنه بقي مقروءاً واضحاً.

وقد وضع فوقهما ورق رقيق يمنع وصول الأيدي اليهما، ولا يمنع من قرائتهما.

ويلاحظ ان كلمة ابن كتبت بدون الف وهي في أول السطر كما كتبت بدون الف في الذي قبله، وهي في آخر السطر.

وكتبت الشيخ البهائي عل ورقة ملحقة بأوله نحو ما كتبه على الذي قبله مع الاختلاف وهذه صورته: هذا الجزء من المصحف المجيد الذي هو بشريف خط سيد الاوصياء، وحجة على جميع أهل الارض والسماء نفس الرسول، وزوج البتول وابي السبطين وامام الثقلين المخصوص باختصاص انما وليكم الله المعزز بأعزاز من كنت مولاه فعلي مولاه:

سلام من الرحمن نحو جنابه

فان سلامي لا يليق ببابه

وقف على الروضة المنورة المقدسة الرضية الرضوية على ساكنها ألف ألف صلاة وسلام وتحية.

والواقف هو السلطان الاعظم سيد سلاطين العرب والعجم صاحب النسب الطاهر النبوي والحسب الباهر العلوي المفتخر بخدمة الحرم المقدس الرضوي شاه عباس الحسيني الموسوي الصفوي خلد الله تعالى ملكه وأجرى فى بحار النصر والتأييد فلكه، وكان ذلك فى شهر رجب المرجب من شهور سنة ألف وثمان من الهجرة النبوية حرره تراب أقدام خدام العتبة المقدسة المرضية الرضوية بهاء الدين محمد العاملي عفي عنه.

٣ ـ جزء مجلد فيه جزآن من القرآن الكريم منسوبة كتابتهما الى خط مولانا الحسن بن علي عليهما السلام رأيناهما في المكتبة الرضوية المباركة أيضا وهما الجزء (٢٣ـ٢٤) شرع في اول الجزء٢٣ من سورة (يس) وختم بالآية ٤٥ من سورة فصلت التي هي الجزء ٢٤ عدد أوراقه ١٢٢ كل صفحة ١٧سطر طوله ١٦ سانتيماً عرضه ١٢ سانتيماً قطره ٥ سانتيمات مكتوب على الرق (الجلد الرقيق) وفى آخره:

فى السطر الاول: كتبه حسن ابن علي ابن.

وفي السطر الثاني: ابي طالب في سنة احدى اربعين.

ويلاحظ انه قد كتب ابن بالالف في وسط السطر وفى آخره وان اربعين لم يكتب قبلها واو.

ومر ان المنسوب الى خط أمير المؤمنين عليه السلام قد كتب ابن بدون الف في آخر السطر واوله، وهو مقارب للمنسوب الى خط أمير المؤمنين عليه السلام في الرسم، وموافق له في ان الذي كان ملاصقا للحم من الجلد لم يكن ثبت عليه المداد ثباته على الملاصق للشعر او الصوف وفي جميع مميزاته السابقة.

وهو من وقف الشاه عباس الاول الصفوي سنة ١٠٠٨ ووقفيته مكتوبة بالفارسي بخط الشيخ البهائي وهذه صورتها: اين جزء قرآن مجيد را كه بخط شريف حضرت امام همام سبط الرسول وقرّة عين الوصي والبتول أبي محمد

الحسن عليه الصلاة والسلام است وقف نمد بر روضه مقدسه منوره مطهره وسدره مرتبه رضيه رضويه على صاحبها آلاف الف سلام وتحية بادشاه اسلام بناء ظل الله خاك آستانه خير البشر مروج مذهب حق ائمة اثني عشر غلام باخلاص أمير المؤمنين حيدر ابو المظفر شاه عباس الحسيني الموسوي الصفوي بهادر خان خلد الله تعالى ملكه وسلطانه وأفاض على العالمين بره وعدله واحسانه بحق محمد وآله الطاهرين آمين رب العالمين.

حرره الداعي بهاء الدين محمد خادم

٤ ـ جزء من القرآن الكريم منسوب الى خط مولانا الحسين بن علي بن ابي طالب عليهما السلام رأيناه فى المكتبة المباركة الرضوية وهو من أول الجزء ١٦ الآية ٤٧ من سورة الكهف الى آخر سورة طه التي هي آخر الجزء المذكور عدد صفحاته ٤٢ كل صفحة ٧ سطور طوله ١٦ سانتيما عرضه ١٠ سانتيمات ونصف قطره سنتيمان.

مكتوب على الرق (الجلد الرقيق) الابيض بالخط الكوفي منقط تنقيطاً يظهر انه حادث وجميع المميزات المتقدمة موجودة فيه.

وفي آخره (كتبه حسين بن علي) وابن كتبت بدون الف.

٥ ـ قرآن منسوب الى خط مولانا زين العابدين وسيد الساجدين علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام.

رأيناه في المكتبة المباركة الرضوية مكتوب على الرق (الجلد الرقيق) بالخط الكوفي.

سقط منه من أول سورة الفاتحة الى الآية ١٧٩ من سورة البقرة ومن اول آية ١٨٠ الى آخر القرآن الكريم موجود فيه.

واقفه غير معلوم وقد وضع له هامش جديد من الورق وجداول، عدد اوراقه ٣٦٩ وعدد سطور كل صفحة ١٦ سطراً وطوله فى الاصل بدون الحاشية

المتجددة ١٦ سانتيماً وعرضه ١١ سانتيماً وقطره ٦ سانتيمات ونصف.

ومميزاته جميع المميزات المتقدمة الا ان خطه أدق من خط المصحفين، اللذين بخط امير المؤمنين وابنه الحسن عليهما السلام.

وفيه نقط بالسواد علامة على الاعجام، وهي كنقط هذا الزمان ونقط بالحمرة علامة على الشكل والاعراب، وهي أقرب الى التدوير ويظهر ان التنقيط بالحمرة متأخر عن التنقيط بالسواد وفي آخره بعد سورة الناس فى سطور ما صورته:

السطر الثاني: قوله الحق وله الملك ان الله لا

السطر الثاني: يخلف الميعاد كتبه المنتظر

السطر الثالث: بوعده علي بن الحسين بن علي بن

السطر الرابع: ابي طالب

ومداد جميع هذه المصاحف غير شديد السواد.

وهناك مصاحف جليلة منسوبة الى خطوط الائمة عليهم السلام موجودة على ضريح الرضاعليه السلام، لم يتسع وقتنا لرؤيتها.

بعض المخطوطات النادرة الموجودة في المكتبة الرضوية

منها قرآن كريم ٦٠٦ أوراق. طوله ٣٦ سانتيماً وعرضه ٢٤ سانتيماً وقطره ١١ سانتيماً، في آخره بشكل دائرة ما صورته:

الحمد لله الحميد على اتمام تنميق كلام الله المجيد، بيد الراجي الى رحمة ربه المنان السيد جعفر محمد خان ابن السيد باقر محمد خان الحسيني، بحسب ارشاد عين الرشاد خان اعلى الشان صاحب السيف والسنان، ناشر الجود والاحسان، الفياض بن الفياض بن الفياض خدايارخان بهادر ثابت جنك عباسي ادام الله ظلال اقباله وضاعف قدره.

ويظهر انه من ملوك الهند. وفي الصفحة المقابلة بشكل دائرة ايضاً:

ووقف على الحرم الرضوي بتاريخ ٢١ من شهر ربيع الاول سنة ١١٤٨ من هجرة النبي العربي صلوات الله وسلامه عليه صلاة دائمة مباركة وتاريخ ختم تحريره (تمام القرآن بجميل مدد السبحان)، وتاريخ آخر مقتبس من كلام الله وهو هذا (وتمت كلمة ربه) والحمد لله رب العالمين.

ومن عجائب هذا القرآن ان جميع صفحاته وهوامشها مذهبة ومنقوشة حتى ان الصفحات البياض الباقية في أوله وآخره كلها مذهبة أيضاً بالذهب الابريز الخالص المعروف بخان يالغ.

ومن العجيب ان كل صفحتين متقابلتين بتذهيب ونقش واحد، لا يشبه تذهيب باقي الصفحات ونقشها من أوله الى آخره.

وكثيراً ما يتفق أن الصفحتين المتقابلتين أيضا مختلفتان في التذهيب والنقش.

فهذا القرآن الكريم يعد من عجائب الدنيا ولا يغني وصفه عن مشاهدته، وخطه في غاية الجودة بخط النسخ المسمى (شيوه كشمير)، وغير دقيق ولذلك كان كبير الحجم جداً، وفي رأس الاجزاء تذهيب خاص غاية في الاتقان والجمال والجلال.

كتاب خواص الأشجار:

ومنها كتاب خواص الأشجار مؤلفة (ديسقو ريدوس) سنة ٢٥٣ قبل الميلاد وسنة ٨٣٥ قبل الهجرة، وهو مترجم عدة تراجم منها ترجمة حنين بن اسحق العبادي وترجمة بختيشوع بن جبرئيل من اليوناني الى السرياني.

وترجمه في المائة السادسة من السرياني الى العربي مهران بن منصور بن مهران، بأمر حاكم ديار بكر الب اينانج قتلغ بك ابو المظفر تمرتاش الغازي بن ارتق شهاب الدولة، من وزراء ملوك الطوائف.

منه نسخة رأيناها في المكتبة الرضوية وحيدة في العالم كبيرة الطول

والعرض والسمك، وله فهرست في أوله كبير.

وهو ترجمة مهران بن منصور بن مهران ومن خواصه ان النباتات كلها مصورة فيه باليد، واقفه الشاه عباس الصفوي سنة ١٠١٧.

مجموعة الامثال:

(ومنها) مجموعة شعرية كلها أمثال حقها ان تسمى (مجموعة الامثال)، مرتبة على الحروف باعتبار أول البيت لا آخره، وجدنا منها في المكتبة الرضوية المباركة جزءاً واحداً ذهب أوله، فيه بعض حرف اللام وما بعده الى الياء.

وهو مجلد ضخم وأوراقه كبيرة جدا وعدد أوراقه ٢٦٧.

وخطه في غاية الجودة، فيظهر انه بخط المؤلف.

وهو بشكل ما نسميه في جبل عامل سفينة وقد مر وصف السفينة عند ذكر المصاحف الشريفة.

ويظهر ان ذلك كان متعارفاً في القديم في عمل الكتب، والموجود من حرف اللام ما اوله لو لم. لو. لولا. له. لها. ليت. ليت شعري. ليس. ليست. لئن. لك.

ومن حرف الميم ما أوله. ما آب. ما آفة. ما ابالي. ما ابصر. ما ابعد. ما أحسن. ما اسعد.

وهكذا الى آخر حرف الياء.

ولا يذكر في المثل الا بيتاً واحداً، والبيت مكتوب في وسط الصفحة وفي الهامش من الجانبين ذكر قائل ذلك البيت، وشيء من القصيدة التي منها هذا البيت، ومن جملة ابيات الامثال التي أولها (لولا) قوله:

لولا الحياكة والذين يلونها

بدت الفروج ولاحت الادبار

قال: انشده الراغب.

والأشعار المجموعة في هذا المجلد التي هي امثال لمشاهير الشعراء، مما دل على سعة اطلاع جامعها كلها جيدة.

وقد جمع هذا الجزء أبيات سبعة أحرف والأول غير تام، فكان بهذه الضخامة فينبغي ان تكون الأجزاء الباقية ثلاثة بنسبة جزء واحد لكل سبعة أحرف.

وجامع هذه المجموعة لم يعلم من هو على التحقيق، ويفهم من بعض أشعاره ان اسمه سعيد لقوله كما يأتي: سوى ما أنت فيه يا سعيد.

وفي بعض الحواشي قال كاتبه محمد بن ايدمر. وقد قال فيها: واقبال الشرابي النبوي المستنصري هو الذي رباني صغيراً وجعلني في جملة الخواص ممن يدخل عليه كل يوم وكان ذلك ممنوعاً عن غيرنا اهـ

فهو اذاً في عصر المستنصر العباسي، وكلامه الآتي يدل على انه كان في عصر علاء الدين عطا ملك بن محمد الجويني.

وفي المجموعة أشعار سبعة أحرف من الأمثال كما مر وفي آخر حرف اللام: عدة أبيات حرف اللام ١١٩٢ بيتاً في ستة كراريس عدا ما في الحاشية.

وفي آخر حرف الميم: عدة أبيات حرف الميم ١٢٣٨ بيتا عدا الحواشي في ستة كراريس وقائمتين.

وفي آخر حرف النون: تكملة عدة أبيات حرف النون ٢٨٤ بيتاً فرداً سائراً عدا ما في الحاشية، وذلك في اربع عشرة قائمة ووجهة واحدة.

وفي آخر حرف الهاء: عدة أبيات حرف الهاء ٣٩٧ عدا ما في الحاشية، وذلك في كراستين الا ثلاثة سطور.

وفي آخر حرف الواو تكملة عدة ابيات، حرف الواو ٢٠٦٧ بيتاً في عشر كراريس وثلاث قوائم ووجهة واحدة، وذلك عدا ما على الحاشية والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

وفي حرف اللام الف: عدة أبيات حرف اللام والالف المركبة عدا الحاشية ٦٤٧ بيتاً.

وفي آخر حرف الياء: عدة أبياته ٧٤٨، وقد أورد لنفسه اشعاراً في هـذه المجموعة لا بأس بايرادها هنا قال ما لفظه: كاتبه عفا الله عنه:

مـــال يـــخلفه للـــضد صـــاحبه

خير له من سؤال الناس والطـلب

وفيها قال كاتبه عفا الله عنه: كان لي على المرحوم علاء الدين عطا ملك بن محمد الجويني اطلاق فاشتغل عنه فكتبت اليه والشعر لي:

مالي ظمئتُ وبحرُ جـودِكَ مُـتْرَعٌ

وعـلامَ أطـوي والقِـرى مـبذولُ

وأحومُ حولَ الوِردِ أطلبُ خـلوةً

حـاشاك يـخلو ربـعُكَ المأهـولُ

فـــي كـلِّ عـامٍ لي بـبابِكَ مـنهلٌ

عـــذبٌ وانت القـصدُ والمأمـولُ

والعـــامُ جـدبٌ والعـطاءُ مـيسّرٌ

والإذنُ فـــي إطـــلاقِهِ مســـؤولُ

فأنعم باطلاق ما سألته وزاد فوق ما كنت طلبته تغمده الله برحمته اهوله:

مـــضى شـبابي ومـضى رونـقي

وابيضَّ نورُ الشـيبِ فـي مَـفرقي

وضاع عـمري بـالهوى والمـنى

وما حظي بـالحظّ قـلبي الشـقي

وضاقَ وقـتي عـن بـلوغِ المـنى

فـلستُ ارجـــو مـنه ان نـلتقي

وآن ان يـــــخشعَ قـــلبي لمـــا

فـــرطتُ فـــي نـفسي وان اتـقي

استغفر الله لما قد مضى
واسألُ العصمةَ فيما بقي

وله:

الا يا قلبُ ما هذا الصدودُ
وما هذا التلددُ والشرودُ
تصابُ ولا تلينُ فليت شعري
قسوتَ فأنت صخرٌ أو حديدُ
وكيف الصبرُ منك على أمورٍ
تكادُ الراسياتُ لها تميدُ
مضى الاحبابُ انقرضوا وماتوا
وضمَّهمُ الصفائحُ والصعيدُ
وضاع العمرُ فالماضي تولّىٰ
وباقيه فمأمولٌ بعيدُ
ولم تظفر يداك اذاً بشيء
سوى ما أنت فيه يا سعيدُ
وجاء الشيبُ يُنذِرُ بالمنايا
وهذا كلُّه صعبٌ شديدُ
تصبَّرْ إنّ هذا الموتَ حتمٌ
فما يُرجى البقاءُ ولا الخلودُ
اما قد آن للقلبِ المعنّى
خشوعٌ أو نزوعٌ او ردودُ
واصغاءٌ الى الداعي بوعظٍ
بليغٍ تقشعرُ له الجلودُ

وله ايضا:

اذا مـــا المـرءُ شـابَ ولم تـعظْهُ
تـــــجاربُه فـــــليس له انـــتباه
يسـر المـرءَ طـولُ العـمرِ جـهلاً
وطـــولُ العـــمرِ يـفعلُ مـا تـراه
ومن عرفَ الزمـانَ أطـاعَ قسـرا
أوامـــــرَهُ وتـــابعَ مـــا قـضاه
فـــطبْ نـــفساً بـــما لابـــد مـنه
ودافـعْ مـا اسـتطعت بـما سـواه

وله:

نـــحن مـــن قـــومٍ كـرامٍ سـادةٍ
مـــلكوا المـــلك وامـــوا بـالاممْ
بســـطوا العـــدلَ لمـــن سـالمَهمْ
وأحـــــلَوا بأعـــــاديهم نِـــقَمْ
ان يـروموا الصـعبَ يسـهلْ لهـم
او يـــروموا يـــصعبوا فـــيما المْ
طَـــوّقوا بـالجودِ أعـناقَ الورى
واســـــترقوها بـــإسداءِ النـــعمْ
فـــضلوا الخـــلقَ بـخلقٍ حسـنٍ
وجـــــمالٍ وكـــــمالٍ وكـــرمْ
وجـــــلالٍ وبـــــهاءٍ ســـــاطعٍ
وحـــــلومٍ وعـــــلومٍ وحكـــمْ

نسبٌ اوضحُ من شمسِ الضحى
وفـــروعٌ زاكـــياتٌ وشِـــيَمْ

أوقاف المشهد المقدس:

للمشهد المقدس الرضوي اوقاف كثيرة جليلة من قرى ومزارع وبساتين ودور ودكاكين وحوانيت وغيرها، وله أوقاف في بخارى وبلاد الافغان.

حدثني بعض اهل العلم من الأفغانيين ان بعض من في الأفغان قرّروا منع ارسال ريع هذه الاوقاف الى المشهد.

وهذه الاوقاف جميعا يديرها المتولي باشي وهي متنوعة: بعضها لاصلاح الحضرة الشريفة وبعضها لمعاش الخدمة وبعضها للمطبخ وبعضها للمستشفى.

وقال ان منها قسما لزوار جبل عامل المنقطعين، وان الزائر من العامليين له حق في الضيافة من المطبخ الى سنة، ولكن رضا شاه جمعها كلها وصرف مجموعها على مجموع الوجوه المذكورة.

وفي السنة التي كنت فيها متشرفاً بزيارة المشهد المقدس سألت عن وارداتها تلك السنة وحسبتها، فوجدتها تبلغ خمسين الف ليرة عثمانية ذهباً.

المطبخ:

في المشهد الرضوي مطبخ تابع لأوقاف الحضرة الشريفة ولكن لا يصرف منه على المستحقين الا النزر اليسير.

ومر انه يقال ان الزائر العاملي له حق الضيافة في المطبخ الى سنة.

البست:

جعل ملوك ايران حول الحضرة الشريفة من جوانبها الأربعة مكاناً الى مقدار مخصوص، وجعل له حاجز من كل جهة. وهذا يسمى البست ومعناه السد والمنع.

والبست قد جعل حرماً للحضرة الشريفة اكراماً واعظاماً لساكنها من دخله لم يؤخذ، ولو كان قد جنى أعظم جناية، ولكنه ينتظر حتى يخرج فيقبض عليه، ولا يجوز لغير المسلم ان يدخل البست فاذا وصل اليه منع من الدخول.

النقارة خانة:

في المشهد المقدس الرضوي مكان عال مشرف يسمى النقارة خانة، يجتمع فيه جماعة كل يوم عند طلوع الشمس وقبيل غروبها، بيدهم نقارات وآلات يزمرون بها، يفعلون ذلك مدة من الزمان كما يفعل على أبواب الامراء والملوك.

وهذا من تسويلات الشيطان لا يرضى به الرحمن ولا الرضا عليه السلام.

خدام الحضرة الشريفة:

خدام الحضرة الشريف الرضوية كلّهم أو جلهم كانوا يلبسون العمائم قبل تملك البهلوي، فلما تملك الزمهم بلبس القبعة البهلوية، واللباس الافرنجي الا قليلا منهم لا يزالون يلبسون لباس اهل العلم.

وهم مقسمون الى جماعات بعدد مخصوص، وتسمى كل جماعة كشيك[1] ولها رئيس يسمى سر كشيك.

واخطأ كاتب مصري في مجلة الرسالة حين وصف قدم گاه فسماه كشش، ولهم معاشات من صندوق أوقاف الرضا عليه السلام، بعضها نقود وبعضها حبوب من حاصلات المزارع الموقوفة.

ولا يتقاضون من الزوار شيئا كما يجري في سائر المشاهد، الا ان بعض الزائرين يجيئون بخدام يقرؤون لهم الزيارة التي يجهلونها فيكرمونهم بحسب حالهم وهذا لا يقع منه أمر مستهجن.

---

(١) كشيك: خفر.

الخاجة ربيع:

في المشهد الرضوي خارج المدينة قبر الربيع بن خثيم أحد الزهاد الثمانية وهو من أصحاب أمير المؤمنين علي عليه السلام.

والايرانيون يسمونه الخاجة ربيع له مشهد وعليه قبة أمر ببنائها الشاه عباس الاول لما سأل الشيخ البهائي عنه فمدحه، وذكر له الخبر المنقول على الافواه عن الرضا عليه السلام انه قال لو لم يكن في خروجي الى خراسان، زيارة قبر الربيع بن خثيم لكفى أو ما هذا معناه، فهذا الذي دعا الشاه عباس الى تعمير قبره وصار معروفاً الى اليوم.

ونحن نقول ان خبر الربيع بن خثيم مع أمير المؤمنين عليه السلام يوجب الريب في أمره فان المنقول انه لما كان حرب صفين أتى الى امير المؤمنين عليه السلام وظهر منه الشك في حرب أهل الشام لانهم مسلمون فكيف يحارب المسلم المسلم، وطلب من امير المؤمنين عليه السلام أن يذهب الى خراسان فيرابط هناك ولا يشهد الحرب فاذن له أمير المؤمنين، فذهب الى خراسان ومات فيها.

هذا مضمون الخبر المروي في سبب ذهابه الى خراسان، وكان عليه السلام لما رأى تردده خاف أن يفتق عليه فتقاً ببقائه فاذن له في الذهاب الى خراسان ليستريح منه.

ولو فرض ان سلم من ذلك كله فيبعد ان يقول الرضا عليه السلام فيه هذا القول، فكيف يقوله مع هذا المنقول عنه؟! فمن الغريب جزم الشيخ البهائي بذلك.

ولم يتيسر لنا الذهاب الى محل قبره لانه بعيد عن المدينة، ولم يتفق لنا فراغ لنذهب اليه وقد قيل لنا ان مكانه مأوى الفسقة والله أعلم بحاله.

بعض عادات الايرانيين:

الايرانيون أهل آداب خاصة ومن آدابهم التكفير (التكتف) أمام العظماء،

ومنهم استحسن الخليفة ادخاله في الصلاة.

ومن آدابهم الانحناء عند التسليم ويفشون السلام صغاراً وكباراً رجالاً ونساء، ولا يخلون بذلك أبدا، لكنهم لا يلتزمون بان يسلم الراكب على الماشي والقائم على القاعد وراكب الفرس على راكب الاتان وغير ذلك مما ورد في الشرع، بل اكثر ما يقع منهم سلام الوضيع على الرفيع فيقول احدهم سلام عليكم، ويحني رأسه فيجيبه الآخر سلام عليكم ورحمة الله ويحني رأسه.

وهم متأدبون متواضعون في خطاباتهم وكتاباتهم فيقول الخارج عند خروجه: (خدا حافظ) الله يحفظكم فيجيبه المقيم: (خوش آمدي)[1] جئت مجيئاً حسناً، يقول هذا لمن هو دونه، فان كان مثله او فوقه بقليل قال له: (مشرف مزين) شرفتني وزينت محلي، فإن كان المخاطب رجلاً جليلاً قال له كلمات تعظيم اكثر من هذا، وقد غابت عن ذكراتي وحفظت منهما: (قدم بر جشم) قدمك على عيني، (مرحمة[2] عالي زياد) زاد الله في مراحمكم العالية.

واذا ارادوا مفارقة من يحترمونه قالوا (اذن ميفرمائيد) اتأمرون بالاذن لي.

ويبتدئون خطابهم في الكتب لأقرانهم أو أعلى منهم بقولهم (فدايت شوم) أصير فداء لك.

ولمن هو أدنى منهم بكلام دون ذلك غاب عن حفظي ولمن فوقهم حتى يرتقي الى أعاظم العلماء والى الملوك بقولهم (بعرض عالي ميرساند) يصل الى العرض العالي.

واذا قدم الى أحدهم نارجيلة أو كأس من الشاي أو إناء ماء أمسكه بيديه وجعل يقدمه الى الجماعة ويقول (بفرمائيد) تفضل فينحني المقدم له ثم يقدمه الى الآخر فالآخر وهكذا لا بقصد ان يأخذه منه ولكن ذلك عندهم من الآداب، حتى

---

(١) خوش آمدي: مرحباً بك.

(٢) وتكتب مرحمت.

انهم اذا كانوا في خزانة الحمام والتقى احدهم بالآخر اخذ بكفيه ماء وقدمه للآخر (تفضل) فينحني الآخر.

ومن كلماتهم الاحترامية في المخاطبات (قربان)[1] اي اكون قرباناً لك.

والايرانيون أهل جلد وصبر وحذق في الصناعة والتصوير اليدوي واتقان في العمل دنيوياً او اخروياً واقتصاد في المعيشة

ما يعاب على الايرانيين

كل امة مهما حسنت صفاتها لابد ان يكون فيها عيوب والكمال لغير الله تعالى محال.

فما يعاب على الايرانيين استعمالهم تدخين التريك «الافيون»، وهو يستخرج من الخشخاش، فيجرح الخشخاش وهو أخضر فيخرج منه صمغ أحمر يميل الى السواد ويسيل فيجمع ويجعل اصابع فهو الافيون.

وهذا شائع في ايران شيوعاً هائلا بين جميع الطبقات.

وسرت عدواه الى العراق فصار يستعمله الاجلاء، وسرى ايضاً الى بيوت العلم بل صار علامة الجلالة.

وهو من السموم كثيره يقتل وهو مخدر لا مسكر، ويفعل في الطباع فعل الحشيش يقطع الشهوتين، ويقلل الغيرة ويميل بالنفس عن اخلاق الرجولة.

فلو فرضنا انه لا يسكر بل يخدر، فهو بهذه الآثار التي تواتر تأثيره لها ان لم يكن محرماً فيلزم ان يترك ولا يدخن، لسوء تأثيره وقبح عاقبته.

والخشخاش يزرع في ايران والعراق ويستخرج منه الافيون فيهما، لكنه في ايران أكثر وقد حصرته الحكومة لحسابها فتشتريه من الزراع وتبيعه شبه شركة حصر الدخان.

---

(١) وربما تؤدي معنى: «سيدي» كما تستخدم اليوم في الحياة العسكرية.

واصل استعماله جاء من الصين ويجلب منه الى الصين كميات كثيرة.

فالله تعالى يلهم الايرانيين تركه.

وقلت مرة لرجل كبير في المشهد المقدس: لو كانت الحكومة تمنع زرعه وصنعه وبيعه لأحسنت صنعاً.

وارادات الحكومة منعه في عهد القاجاريين، فعينت لذلك مفتشين فكان هؤلاء المفتشون أنفسهم يدخنون الأفيون فيقفون على الأبواب فاذا شموا من باب رائحة الافيون هجم أحدهم فيرى أصحاب البيت يدخنون، فيقول لهم: هذا ممنوع فيقولون: تفضل ويناولونه (البابور)، فيدخن ويعطونه قراناً ويخرج فيكون قد دخن الترياك مجانا وأخذ خرج البيت[1].

وتدخينه: منهم من يضعه مع التتن او التنباك. ومنهم ـ وهم الاكثر ـ يدخنونه (بالبابور)، وهو شبه الدواة مثقوب قد جعلت فيه شبه القصبة من خشب، فيوضع الافيون على الثقب وتوضع فوقه جمرة بملقط وتنفح فيجر الرجل الدخان بتلك القصبة ويخرجه من انفه كما يخرج دخان التتن والتنباك.

صناعات ايران

في ايران صناعات كثيرة لا يجاريهم فيها أحد اهمها عمل الطنافس (السجاد).

وقد ملأت تجارتها أقطار الأرض، ولم يقدر أحد أن يأتي بمثلها.

وهي تعمل من الصوف فمنها ما سداه ولحمته صوفه، ومنها ما سداه قطن ولحمته صوف.

ويستخرجون أصباغها من بلادهم، وهي أصباغ لا تتغير بالشمس ولا

---

(١) كان هذا في عهد رحلة صاحب الرحلة، أي منذ حوالي اربعين سنة. اما اليوم فان استعمال الافيون في ايران ممنوع منعا باتا ويعاقب من ينقله ويتجر به بعقوبة الموت.

بالماء.

ويمنع صبغها بالاصباغ الافرنجية وحكم الصبغ الافرنجي انه يتغير بالشمس والغسل بالماء.

والناس ترغب فيه لانه أرخص، ولأنه يلصق بالصوف الجيد والرديء، بخلاف الصبغ الوطني فانه لا يلصق الا بالصوف الجيد.

فإذن السجاد وطني بجميع اجزائه صوفه وقطنه وصبغه.

والبسط البديعة الصنع من الصوف بأنواعها الجميلة ومن القطن الذي لا يبليه الزمان، يفرشونه في المساجد والمدارس والعبات التي تعمل من صوف الابل ولا يجاريهم في نسجها وصنعها أحد، تصنع في اصفهان ونائين وغيرهما، وترسل الى اقطار الدنيا وتصبغ بالألوان المتعددة ولا تتغير. بعضها سداه ولحمته صوف وبعضها سداه قطن ولحمته صوف والقماش المسمى بالبرك من الصوف الخالص سداه ولحمته بخيوطه الدقيقة ونسيجه البديع والوانه المختلفة يصنع منه الاقبية والجباب وغيرها.

والقماش الكرماني المتقن يصنع منه أيضاً الاقبية والجباب والقماش المسمى قلم كار يحاك من القطن الدقيق الخيوط ويرسم بالقلم بنقش بديع وصبغ لا يتغير، يعمل منه وجوه اللحف والمصليات والستائر والبقج وغيرها.

وصنعة النحاس البديعة يعملون منه القدور والأواني والأباريق والصواني، وينقشون الجميع بالنقوش البديعة الجميلة، ويصنعون السماورات في اصفهان وغيرها.

الشاي عند الايرانيين:

الايرانيون مولعون بشرب الشاي صباحاً ومساء رجالاً ونساءً واطفالاً، علماء وجهالاً، أغنياء وفقراء.

ورأيت خارج كرمنشاه عند طلوع الشمس اثنين من الفقراء معهما (طنبر)،

وقد جمعا حطباً أشعلا به ناراً وجلسا يغليان الشاي في اناء معهما ويشربان.

وقد اهتدوا الى زراعته فصاروا يزرعونه في نواحي رشت وگيلان، ولكن مزروعه عندهم لا يكفي لما يستهلكونه ويرجى ان يجيء يوم يكفيهم.

وقد رأينا الشاي الذي هو من حاصل بلادهم وشربنا منه وأحضرنا معنا منه الى سوريا.

وهم من كثرة شربهم الشاي يقتصدون في وضع السكر معه، فيضع الشخص قطعة صغيرة من السكر في فمه، ويشرب بها كأس الشاي كله.

ويالیتهم اكتفوا بالشاي عن (الترياك) ويحكى عن بعضهم انه كان مهموماً وقال بعد شربه (لو لم يخلق الله هذا الشاي ماذا كان يجري على بني آدم)!

أصحاب المحضر

قد عينت الحكومة فى ايران فى كل مدينة أناساً من اهل العلم لعمل محضر التزويج، وأناسا لعمل محضر المعاملات فالفريق الاول شغلهم اجراء عقود النكاح وتسجيلها والطلاق وتسجيله وحصر الارث.

وهم بمنزلة القضاة الشرعيين، ويقال لكل واحد منهم صاحب محضر شرعي، ولا يجوز فى قانون الدولة اجراء عقد النكاح لرجل او امرأة قبل بلوغ الثامنة عشرة من عمره، ومن فعل عوقب العاقد والمعقود لهما وأولياؤهما.

كما انه لا يجوز اجراء عقد النكاح بدون رخصة صاحب المحضر وعلمه، ويسجل صاحب المحضر المهر إن كان كله مقبوضا، وما بقى منه مؤجلاً.

واذا اراد دفع ما عليه من المهر المؤجل فعليه اخبار صاحب المحضر ليسجل ذلك.

لهذا لا يقع فى ايران نزاع على التزويج ولا على المهر لان من يدعي زوجية امرأة او تدعى زوجية رجل لا تقبل الدعوى من احدهما ما لم تكن مسجلة عند صاحب المحضر.

ولا تقع دعوى فى المهر لان ما يتعلق به يجب تسجيله عند صاحب المحضر.

اما النفقة فسألتهم عمن يفصل فيها اذا وقع فيها نزاع، وهل لذلك قضاة؟ فأجابوا بالعدم وانه لا يقع فيها نزاع فعجبت لذلك.

والفريق الثاني شغلهم سماع عقود البيوع والاجارات ونحوها وتسجيلها وارسال اوراق بها الى ادارة (الطابو) لتسجل نهائياً، فأوراقهم هذه بمنزلة العلم والخبر الذى يعمله المختار فى بلادنا ويرسله الى ادارة الطابو.

والاملاك فى ايران سابقاً كان يعمل بها صكوك ووثائق عادية يوقعها العلماء وتوضع فيها أسماء الشهود، وباحداث ادارة الطابو فى ايران على الوجه المقدم ذكره ارتفع كثير من المشاكل، التى كانت تحدث بسبب الاقتصار على الحجج والوثائق العادية، وكان الرجل ربما باع ما يملكه مرتين وحرر بذلك وثيقتين عند عالمين او عند عالم واحد فى زمانين.

واصحاب المحاضر الشرعية ومحاضر المعاملات يسمع لهم بلبس العمائم والعبي والاقبية وغير ذلك مما هو شارة لاهل العلم المحجور على غيرهم لبسه. وبعد رجوعنا من ايران الزموا بان يكون لباسهم اللباس الافرنجي من القبعة وغيرها، ومن أبى عزل فأكثرهم أبى فعزل وبعضهم قبل.

التسول:

التسول فى ايران كثير، وكثيرون يتخذونه حرفة فأينما وجدت وأينما ذهبت تجد المتسولين وخصوصا عند ارادة السفر وركوب السيارة، وفي صلاة الجماعة قبل الصلاة وبعدها.

مياه الشرب فى ايران:

على كثرة ما فى بلاد ايران من المياه العذبة المتميزة فلا يوجد فى المدن

والقصبات مياه نقية من الاوساخ، حتى فى عاصمة المملكة، مع انه فى كثير من المدن كهمذان وطهران وغيرها توجد مياه نابعة عذبة تخرج من أعالي الجبال المشرفة على هذه المدن اشراف جبل الصالحية على دمشق بحيث يمكن جزّ هذه المياه فى انابيب وتوزيعها على دور المدينة، حتى اعلى بناء فيها.

والعادة عندهم أن يجاء بساقية من هذه المياه الى المدينة فى كل اسبوع او اسبوعين، فتملأ منها انابير فى الدور كبيرة، ويشرب منها أهل الدور ويستعملونها في حوائجهم.

ومن ليس في داره انبار يستقي من انبار جيرانه، وقد مر في الكلام على مياه طهران وعلى همذان ما ينبغي ان يلاحظ.

كرم الايرانيين:

ومن الناس من يعيب الايرانيين بالبخل وهو ظلم وافتراء، فهم أجود الناس بحق الله تعالى وليس ببخيل من أدى حق الله كما في بعض الاخبار مما هذا معناه او قريب منه.

والحق ان الايرانيين أجواد ولكنهم مقتصدون في مقام الاقتصاد بذالون في مقام البذل، وقد يظن الجاهل الاقتصاد بخلاً والسرف كرماً.

أبينة ايران:

الابنية في ايران كلها إما بالآجر المطبوخ أو باللبن، ويندر او لا يوجد البناء فيها بالصخر والحجارة، والخارج من العراق اليها لا يرى فرقاً بين دور العراق وأبنيتها وبين دور ايران وابنيتها.

والعراق لا يوجد فيه أحجار وصخور، وايران وان وجد فيها صخور في كثير من الأماكن الا ان بناءهم كله بالآجر واللبن.

عادة الايرانيين في الدعوة الى العشاء:

كنا اذا دعينا الى العشاء عند احدهم، فبعد أداء فرض الصلاة نحضر إلى محل الدعوة، فاول ما يقدمون الشاي ثم أطباق الفاكهة والخضر من العنب والتفاح والكمثرى والبطيخ الاحمر والاصفر وغيرها، فكل من يحضر يقدم له ذلك، حتى تبلغ الساعة الثالثة بعد الغروب.

وحينئذ يبتدأ بتهيئة العشاء ووضعه على المائدة، ثم يتناول العشاء ثم الشاي بعد العشاء.

فلا يفرغ من ذلك حتى تكون الساعة قد بلغت الرابعة، أو قاربت، وحينئذ يشرع بتهيئة فراش النوم ثم يكون النوم.

شعوب الايرانيين:

في ايران عرب وهم في المحمرة[1] ونواحيها. وفي نواحي اصفهان أو غيرها عرب، أتى بهم الشاه عباس الاول الى بلاد ايران، وهم يتكلمون العربية الصحيحة الى اليوم، لكنهم قد يخلطونها بالفارسية.

ويحافظون على تقاليدهم العربية فيتزوجون من الفرس ولا يزوجونهم

ورأيت منهم جماعة في النجف الاشرف، جاؤا للزيارة فقال لي احدهم: جئت بلا زاد ولا نعلين وسألته ما الذي جاء بكم الى ايران.

فقال: جاء بنا الشاه عباس.

وقال لي آخر (ما ازعجم زن ميگيرم بعجم زن نميدهيم) نحن نتزوج من العجم ولا نزوجهم.

ومن خلطهم اللفظ العربي بالفارسي قولهم (بالك الكزالة لا تطيح في الكندالة وتصير گردن شكسته).

---

(١) مدينة خرمشهر.

فبالك بالكاف المقلوبة شينا عربية والكزالة أي العجلة فارسية وتطيح عربية والكندالة أي الحفرة فارسية وتصير عربية وگردن العنق وشكسته مكسور.

أي احذر أن تقع العجلة في الحفرة فينكسر عنقها. وفيهم عرب غرباء سكنوا ايران واستعجموا.

وفيهم اتراك وهم اهل آذربايجان ونواحيها كتبريز واردبيل وخوي وغيرها.

واهل قرى همذان كلهم أتراك، ولذا جميع أهل همذان يعرفون التركية.

وفيهم أكراد بنواحي أصفهان وكرمانشاه، وعلى حدود العراق.

وهم شيعيون وسنيون ومنهم اتباع الشيخ عبيدالله الذين كثيرا ما كانوا يتمرّدون على دولة ايران.

الصوفية:

وفي ايران تكثر الصوفية ولهم مركز في دماوند قرب طهران، واهل العلم والدين في ايران تنفر منهم، وينسبون اليهم أشياء تنافي الشرع، مثل أن المرشد يلزم اتباعه في كل ما يأمر به مما كان وقد يكون غير جائز في الشرع.

وقد كنت طبعت اعلاناً عن كتابي أعيان الشيعة وذكرت فيه انني اذكر كل من له ميزة، وذكرت من جملتهم المتصوفة فأنكر علي ذلك بعضهم وقال كيف تذكر في كتابك المتصوفة؟

شمس العرفاء:

وفي طهران سيد يلقب شمس العرفاء هو رئيس الصوفية فيها، زارنا فيمن زارنا وذهبنا مع الشيخ اسحق لنرد له الزيارة فلم نجده.

ورأينا حجرة في داره معلقا فيها الطبرات والكشاكيل وغيرها من أدوات الصوفية، وهو وأتباعه على جانب من حسن الخلق.

الدراويش:

وتكثر الدراويش في ايران وهم من شعب الصوفية يجوبون البلاد حاملين الكشكول والطبر وغيره، وينشدون الاشعار الفارسية وأكثرها في مدح أمير المؤمنين عليه السلام وابنائه.

ويقال ان اصلهم أو كثرتهم كان في عهد الصفوية. كانوا يقصدون بهم نشر محبة أهل البيت في الناس.

ولهم طرق متنوعة في تحصيل الرزق، فهم ينشدون الاشعار المتنوعة في مدح أهل البيت وفي التصوف، فتجتمع عليهم الناس.

ومنهم من يستصحب معه ولده الصغير وإذا اجتمع الناس حوله سأله مسائل من أصول الدين وغيرها مما يستطرف واجابه عنها.

ومنهم من يحمل بيده حية وهو ينشد الى غير ذلك، وهم منتشرون في كل مدينة وقرية من بلاد ايران وكثيرا ما يأتون الى العراق.

ايران على العموم:

بلاد ايران واسعة فيها خراب كثير مع انه قابل للعمران، وهي كثيرة المياه والأنهار جيدة الزروع والثمار.

وفي جلّ أراضيها أينما حفر يخرج الماء وفي بعض اماكنها قد سيق الماء من أرض الى أرض بعيدة بأقنية تحت الارض ثم يخرج الماء على وجه الارض.

وثمارها غاية في الجودة، فالكمثرى في طهران لا مثيل لها، وهي اصناف متعددة، وكذلك التفاح والدراق الكبير فيها لا نظير له كأنما ملىء بالسكر، وماء الليمون والسفرجل في أصفهان لا نظير له في الدنيا، والمشمش في كل ايران جيد جدا وكذلك الرمان، والبطيخ في خراسان كأنه مصنوع من السكر، وقد وصف لنا بطيخ اصفهان بغاية الجودة.

وفي سبزوار بطيخ يسمى الطالبي جيد جداً، وكذلك البطيخ الاحمر في

ايران كثير الجودة، ويزرع في نواحي شيراز ورشت الليمون بأنواعه والبرتقال ومنها يجلب الى جميع بلاد ايران.

وقد مررنا بأرض بنواحي همذان أو غيرها بعيدة عن البلد جداً فسارت بنا السيارة في محاذاتها مدة غير قصيرة، ونحن نرى الارض قد قسمت سهاما وزرعت بأنواع الخضر من البطيخ الأصفر بأنواعه وغيره.

والسهم عرضه مرئي أما طوله فلا يرى آخره، والبطيخ مصفوف على أطرافه كأنه عسكر منظم، وليس هناك حائط ولا ناطور في سهول فسيحة منبسطة.

وتزرع في ايران الحبوب بأنواعها الحنطة والشعير والحمص، ويأخذ صاحب الملك خمس الحاصلات والفلاح أربعة أخماس.

وفي رشت ونواحيها يزرع الارز الفاخر الذي يحمل منه قسم وافر الى روسيا، ولما منعت ايران دخول المحصولات الروسية الى بلادها منعت روسيا استيراد الارز من ايران، فتعطلت تجارته فرفعت ايران المنع.

وتوجد في ايران الخيل والبغال والحمير والابل والغنم والماعز لسعة الاراضي، ولكن بعض البلاد لا يمكن بقاء المواشي فيها في الشتاء، يلتزمون نقلها الى بلاد اخرى بردها اقل ويسمونها (گرم سير).

وهم يحملون على البقر كما يحملون على الخيل والحمير، والابل في نواحي خراسان أكبر جثة منها في بلاد اخرى، ويكثر في ايران الحجل.

وهي بلاد رخيصة الأسعار جداً واللحوم فيها جيدة جدا، وكذلك الخبز والسمن، أما اللبن فلكونهم يأخذون دسمه بالآلة أصبح غير لذيذ، ولكن الدسم المأخوذ منه المسمى في سوريا (قشدة) مبذول ورخيص، وكذلك الزبدة والسمن.

ويكثر في بلاد ايران العسل وهو رخيص، والثمار المجففة وتحمل الى العراق وغيرها، والجوز واللوز والبندق والفستق، وفيها الاشجار العظيمة من الحور والدلب وغيرها، يشقونه الواحاً ويعملون منه الابواب والسقوف، ولا

يستجلبون شيئاً من الخارج.

وعندهم القطن يعملون منه البسط، التي لا تبلى، ويعملون منه الأعدال والاخراج ويخيطون به بدل (المصيص)، ويصنعون منه الحبال الدقيقة والغليظة، ويصنعون منه الاحذية المسماة (گيوه) خفيفة على الرجلين قوية بطيئة البلى، يلبسها جلّ طبقاتهم، ويصنعون الجوارب الصوفية والقطنية.

أما صناعتهم الطنافس المسماة بالسجاد[1] من الصوف فغنية عن الوصف.

ويصنعون بسطاً من القطن غاية في المتانة يفرشون بها المساجد والمشاهد والمدارس.

ومصنوعاتهم النحاسية غاية في الابداع والاتقان، وكذلك مصنوعاتهم من الأسلحة.

وقد احدثوا معامل للغزل والنسج منها لباس الدرك والشرطة وطلاب المدارس.

ويصنع في خراسان البرك تعمل منه الجباب والأقبية، وينسج في كرمان قماش من الصوف غاية في الابداع والاتقان وصناعتها في تقدم.

وتصنع في ايران العبي التي لا نظير لها في الدنيا، وهي تصنع من صوف الغنم، ومن صوف الابل، واكثر صنعها في اصفهان ونواحيها.

ويصنع فيها القماش المسمى قلم كار أي عمل القلم لانهم ينقشونه بالقلم، ويبدعون في نقشه ويجعلون فيه التصاوير، ويكون منه وجوه اللحف والستائر والبقج.

ويصنعون قماشاً ازرق اللون يتخلله بياض يكون منه المصلى، ويفرش فوق فراش المجالس.

ويصنعون الدوي من الورق ويدهنونه وينقشون فيه ابدع النقوش،

---

(١) تدعى: پشتى.

ويصورون فيه أعجب التصاوير.

ويصنعون أحذية يسمونها صاغري ويصبغونها بصبغ أخضر، ويعملونها من جلود الحمير ويلبسونها في الشتاء.

الضياء في ايران:

ايران كلها تضاء بالنفط، وليس فيها كهرباء الا في طهران في الشوارع خاصة، اما الدور فانها تضاء بالنفط ولكن جله (باللكسات) الكبيرة ويسمونها جراغ برقي[1]، ويضعون في المجالس الكبيرة وفي صحن الدار الواسعة اكثر من واحد.

(١) تدعى حالياً چراغ زنبوري، ومن المستبعد تسميتها برقي لان البرق كهرباء.

رحلة العراق شعراً

وجدنا منها هذه الأبيات ولم نجد باقيها:

الى الجانب الغربي مـن ارضِ بـابلِ
حـــنيني واشـواقـي وفـرطُ بـلابلي
ولي نـــحوَ كـــوفانٍ تـباريحُ وامـقٍ
وبـــالنجفِ الاعـــلى لُـباناتُ آمـلِ
تـــوطنته دهـــراً وغـــصنُ شـبيبتي
بـــنيلِ الامـــاني نـاضرٌ غـيرُ ذابـلِ
وفـــارقتُه كـــرهاً ثـــلاثين حـــجةً
ونـــيفاً فـــردّتني اليـــه وســـائلي
ســـرتْ تـــقطعُ البـيدا بـنا مشـعلةٌ
تلفُ بساطَ البيدِ من ارض «عـامل»
تفوتُ ومـيضَ البـرقِ فـي جـريانها
وتسبق بـالمسرى هـبوبَ الشـمائل
اذا ســـبقت مـــرّ الريـــاح فـعاذر
لبزلِ المـطي فـي سـبقِها كـل بـازل
ولو ادركت عصرَ ابنِ داودَ لم يكـن
سرى الريحُ من آياته فـي الأوائـل

وتـــملأُ اجـــوازَ الفـــلا بـــزئيرها
وفي جوفِها امـثالُ غـلي المـراجـلِ
تخال عـلى المـوماةِ غـضبى كأنـما
رمـــتها ســـباريتُ الفـلا بـالغوائـلِ
سرتْ من دمشقٍ ضحوةً، وضحى غدٍ
بـــزوراءِ بـــغدادٍ رمت بـــالكلاكـلِ
فـــقلتُ لنـــفسي يـــقظةٌ مـا تـرينه
جرى لكِ ام طيفُ الخـيالِ المـزاولِ
ولاحتْ قبابٌ للـجواديـنِ اشـرقتْ
كبدرٍ تراءى في دجى اللـيلِ كـاملِ
بها الذهبُ الابريزُ يلمعُ في الضـحى
تراه كـما لاحَ السـنا فـي المشـاعلِ
ومرّتْ بـنا تسـري الى ارضِ كـربلا
كما انقضَّ صقرٌ من صـقورٍ أجـادلِ
وسارت بنا من كـربلا تـنهبُ الفـضا
كبرقٍ تراءى في السحابِ الحوافـلِ
فـــما هـــي الا سـاعةٌ اذ بـدت لنـا
يـلوحُ سـناها قـبةُ المـرتضى عـلي
بدت يـخطفُ الابـصارَ نـورُ بـهائِها
ولاحتْ كطودٍ في ذرى الجـوِ مـائلِ
يرد بهاها الشـمسَ حسـرى ضـئيلةً
ويـزري سـناها بـالبدورِ الكـوامـلِ

وردنا فـزرنا روضـةً طـاب نشـرُها
تــعاظم عــن تشــبيهها بـالخمائلِ
سقى الغيثُ اكنافَ العـراقِ وجـادَها
مـلثُ الحـيا بـالغادياتِ الهـواطـلِ
ويــا ســاكـني ارضِ العـراقِ لقـيتمُ
نــعيماً مــقيماً دائــماً غــيرَ زائـلِ
فكمْ فيكمُ مـن فـاضلٍ فـاتَ رفـعةً
مــناطَ الثــريا بــالعلى والفـضائلِ
بنى مجدَه بـالعزمِ والحـزمِ والحِـجى
وبــذلِ النــدى لا بـالقنا والذوابـل
وكــم مــن ذكــى فــيكم بـذكائه
يــعد أيــاس عــنده مــثل بـاقل
خُــصِصتمْ بـماءِ الرافـدين كـلاهما
عليكم بـبذل الرفـد ليس بـباخل[1]

قصيدة تصف ـ فيما تصف ـ الرحلة العراقية الايرانية

ابـا الثـمانين مـا فـيها سـوى عـدد
دون الاصــابعِ كـانت فـترة اللـعب
نــهضتَ مـن بـعدِه للـعلِم ذا شـغفٍ
تــرقى اليــه بــجدٍ سُــلَّمَ الطـلبِ
مــا بــين آونــةٍ تــمضي وآونــةٍ
يشعُ مـنك السـنا للـناسِ كـالشهب

---

(١) من قصيدة نظمها صاحب الرحلة في سفره هذا الذي يتحدث عنه.

حـــتى بـلغتَ مـن العـلياءِ ذروتَـها
وطار صـيتُك بـين العـجمِ والعـربِ
اضـفتَ للـعلمِ مـا ألّـفَت مـن غُـرَرٍ
اضـــافتِ الذهبَ الابـــريَز للـذهبِ
ودعـــــوةٌ لك فـــيها أيُّ مـعجزةٍ
كم فرّجتْ عن وجوهِ الخلقِ من كربِ
دعوتها والسما بـالغيثِ قـد بـخلت
والعـامُ انـذرَها بـالجدبِ والسـغبِ
مـــددتَ كـــفَّكَ للـــرحـمن مـبتهلاً
فكان ما كان من نوءِ الحـيا السـربِ
فاهتزتِ الارضُ من ماءِ الحيا وربت
وانـبتتْ مـن بـهيجِ الزهـرِ والعشبِ
«ورحـــلةٌ» لك فـــيها كـــلُّ مكـرمةٍ
غـــراء تـحدو بـها الركـبانُ للـنجبِ
سريتَ فـيها وشـيبُ الرأسِ مشـتعلٌ
تطوي الفـلاةَ ومـنك العـزمُ لم يشبِ
مكاتبُ «النجفِ» الأعلى قد ابتهجتْ
لمـــا رأتك ومـــا فـيها مـن الكـتبِ
نشرت منها على الايام مـن طـويت
اخبارُهم ومضوا في سـالفِ الحـقبِ
واهـــلُه وهـــم الاعـــلونَ مـــنزلةً
قد اكبروا بك شخصَ الفضلِ والحسبِ

وذادةُ الفرس للاعـظامِ مـذ سـعدوا
خـــفوا لمـلقاكَ مـن نـاءٍ ومـقتربِ
يســـتطلعون مـــتى تـبدو لاعـينِهمْ
انـــوارُ طـــلعتِك الغـراءِ عـن كـثبِ
حـــتى رأوك فـــقالوا جـــلَّ بـارئه
هـــذا نـــبيٌّ او وصـــيٌّ نـــبي
طافوا حـيالك والهـاماتُ شـاخصةٌ
وان هم جـلسوا جـنباً عـلى الركبِ
ورحتَ تبحثُ في جهدٍ وفـي تـعبٍ
عن كلّ غـامضةٍ فـي العـلمِ والادبِ
للهِ انتَ فكـــم اظـــهرتَ مـن رجـل
لولا يراعك لم يعرف مـن الصـخب
يا شيبةَ الحمِد ما في الناس من احدٍ
الاّك في جده استولى على القـصبِ
مـــاضي العـــزيمة لم يـــعبأ بـنازلةٍ
إن رام امراً ولا يـخشى مـن النـوب
زاكي النجار زكي النفس قد جـمعت
فيه المحامد لم يـذمم ولم يـرب[1]

---

(١) وجدت بين اوراق صاحب الرحلة هذه القصيدة المرسلة اليه بعد عـودته مـن سـفره الى العراق وايران، ووصوله الى بلاده، وفيها اشارة الى الرحلة وصاحبها، ولكن الذي يؤسف له مجهولية اسم ناظمها.

رحلة شعرية

عدا عن الرحلات المتقدمة التي وصفها صاحبها نثرا وجد له وصف شعري لرحلتين قام بهما. الاولى كانت في لبنان بمنطقة البقاع، والثانية كانت من لبنان الى العراق. ورحلة لبنان لم يحدد تاريخها فيما كتبه عنها ولكن من المؤكد انها كانت خلال طلبه العلم في جبل عامل وقبل سفره الى العراق. وهذه هي:

الحـــمد لله الانـــيس فـــي الســـفر
اذ لا انـــيس والمـعين فـي الحـضر
مـــن قـــد هـــدى بـــفضله العـميم
عـــــــباده للـــــمنهج القـــــويم
نـــــحمده عـــلى ســبوغ النـــعم
ونســـــتزيده جـــــزيل القســـــم
ســـــيرنا فـــــي بـــــره والبـــحر
وقـــد هـــدانـــا بـــالنجوم الزهـــر
وخـــــصنا بـــالمصطفى المـــختار
مـــــــــحمد وآله الاطـــــــــهار
صـــــلى عـــــليه ربـــنا وســلما
ما لاحت الانـجم فـي افـق السـما
وبـــــعده فـــــالدهر ذو اطـــوار
والنـــاس فـــي ذاك عـــلى اخـطار

فـــبين مســـرور بـــما قـــد نـــالا
وبـــــين مـــــن يكـــابد الاهـــوالا
وبـــــينماترى الفـــتى فـــي قـــرح
اذ صـــار مـــن زمـــانه فـــي تـــرح
وكم ترى الحنظل في جـوف العسـل
يـــخبئه الدهـــر فكـــن مـــمن عـــقل
واللـــــيث يـــفتر اذا مـــا غـــضبا
وكـــم رمـــاد تـــحته الجـــمر اخـــتبى
مـــــا للـــــيالي فـــرقت احـــبابي
بـــــغدرها وشـــــتت اصـــــحابي
وهـــــدمت بـــــصرفها اطـــوادي
مـــن بـــهم قـــد ارغـــمت حســـادي
تـــــعجمني بـــــنابها الخـــطوب
وان عـــــودي يـــــابس صـــليب
تـــــــغمزني لتـــــبتلي ثـــــباتي
ولم تـــــــلن لغـــــامز قـــــناتي
وكيف اخشـى مـن صـروف الدهـر
وعـــترة الهـــادي النـــبي ذخـــري
عـــــليهم فـــــي هـــذه اعـــتمادي
وحـــــبهم ليـــــوم حشـــــر زادي
بـــــالسفر الله عـــلينا قـــد قـــضى
وكـــــلما قـــــدره الله مـــــضى
وهـــا انـــا اذكـــر مـــا فـــيه جـــرى
ومـــــا رأيت مـــن بـــلاد وقـــرى

فـــــــقلت والله والي العـــصمة
مـــــن الخـــطا وســـاتر للـــوصمة
ســـافر فـفي الاسـفار ادراك المـنى
وانـــما الراحـــة مـــن بـــعد العـــنا
واقـــــتعد العـــيس تشـــق البـــيدا
تـــــواصـــل الذمـــيل والوخـــيدا
وذات خـــدر تـخجل البـدر الاتـم
قـــــد ودعـــــتني بـــبنان كـــالعنم
ظـــلت تـــرش الطـــل فـوق الورد
وذاك دمـــع ســـال فـــوق الخـــد
تـــــقول هـــــل الى اللـــقا ســـبيل
قـــــلت نـــعم ان قـــدر الجـــليل
حـــــينما جـــــئنا الى (دبـــــين)
نـــــلنا بـــها مـــن عـــنب وتـــين
ثـــــم ســـرينا نـــطلب (البـــقاعا)
ونـــــقطع الســـــهول والتـــــلاعا
وفـــــي الطـــريق قـــرية درزيـــة
عـــــلى شـــــفير نـــهرها مـــبنية
صـــــغيرة (بـــــبرغز) تســـــمى
وعـــــندها جسـر اليـــها يـــنمى
ثـــــم الى (قـــــليا) الى (قـــلايا)
ســـــرنا حـــــثيثا والى (زلايـــا)
وعـــــــندها مـــــغارة مـــــبنية
فـــــي شـــــاهق مشـــرفة عـــليه

قـــيل وفـــيها بـــركة بـناؤها
بـــالكلس والآجـــر عـذب مـاؤها
وبـــــارد بـــــرودة شـــديدة
فـلم يـطق مـن شـدة البـرودة
ليس بـــناقص ولو مـــنه نـقل
ولا بـزائـد عـلى عـنق الرجـل
والنـاس تسـتشفي بـه والمسلك
اليـــه صـعب لا يكـاد يسـلك
ثـــم اتـينا (بـحمرا، ومـحمرا)
كـــما قـــضى الله لنـا وقـدرا
(بســـحمر) بـتنا ولمـا ان بـدا
صـباحنا سـرنا نـجوب الفـدفدا
فكـان فـي طـريقنا (القـرعون)
والله للانســـان نـــعم العـــون
وعـــندها جسـر اليـها نسـبا
فـــي ارضـها مـا ذقت الا تـعبا
(وجب جـــنين) وذي لديـــها
جســـر طـــويل يـنتمي اليـها
(وغـزة) و(الحـوش) و(الحـريري)
وقـــد بـنوا بـاللبن كـل الدور
(والمرج) (والاصطبل) جزناها وفي
ذا الاسـم سر واضـح غـير خـفي
وغـــير هـــذه مـــن البـلدان
وكـــلها بشـــاطىء اللـــيطاني

مـــبنية بـــاللبن لا بـــالحجر
بـــالنهر تســـقى وبـــصوب المـــطر
لم نـــزل ظـــهر الفـــلاة نـــفري
حـــتى اتـــينا (العـــلي النـــهري)
عشـــية فســـاقنا صـــرف الزمـــن
لدار مـــن كـــنيته ابـــو حســـن
ذو كـــــرم لكـــــنه اصـــم
خـــطابه بـــه يـــزيد الهـــم
وقـــربنا فـــي البـــيت ام حســـن
نـــائمة مـــن مـــرض فـــي البـــدن
تكـــثر مـــن انـــينها والجـــزع
ومـــن تـــجشيها اصـــمّت مسـمعي
ســـمعتها تـــقول عـــند المـــغرب
يـــارب انـــي فـــي عـناء مكـرب
فـــلا تـــؤاخـــذني يـــا ربـــاه
بـــــتركي الصـــــلاة يـــــا الله
ومـــا ارادت غـــير كشـــف العـــذر
عـــن تـــركها الفـرض امـام السـفر
وقـــد درى العـــليم بـالسر الخـفي
ان الصـــــلاة دهـــــرها لم تـــعرف
بـــــناتها احـــــداهـــما (دوريـــة)
تـــدعى واخـــرى مـنهما (كـردية)
فـــــيا لهـــــم مـــن مـــعشر كـــرام
عـــليهم عـــمر المـــدى ســـلامي

ثـم خـرجـنا الصـبح مسرعينا
حتى وردنـا فـي الضـحى (تـمنينا)
ثـم خـرجـنا فـي اشـتداد الحـر
وكـان مـا كـان بـها مـن امـري
حـتى وردنـا فـي المـاء (بـعلبك)
كأنـنا طـير اسـير فـي شـبك
مـياهها اكـثر مـن ان تـحصى
اشـجارها بـالوصف لا تسـتقصى
تـرتع مـنها اعـين النـظار
فـي روضـة غـزيرة الانـهار
وقـربها اعـمدة ثـمانية
لبـنية عـلى العـروش خـاوية
قـبة (دورس) تسـمى وبـها
مـا لا يـرى له الانـام مشـبها
قـلعتها عـظيمة البـنيان
فـما رأت نـظيرها العـينان
عـالية يكـل عـنها الطـرف
مـحكمة يـعجز عـنها الوصـف
فسـيحة الارجـاء لا يـقاس
بـناؤها بـما بـناه النـاس
ان ظـن قـوم ان بـاني تـدمر
جـن فـبانيها بـذا الظـن حـري
احـجارها كأنـها جـبال
مـلصقة مـا بـينها انـفصال

لو ان الفـــا او الوفـــا تـــجتمع
فـــيها لرفـــع حـــجر لم يـــرتفع
فـــي الحـــائط الغـربي مـنها حـجر
بـــل جـــبل تـــحير فـــيه الفكـــر
قـــد صـــف فـــيها عـــمد طـــوال
فـــي رأســـها كأنـــها جـــبال
وقـــد بـــنوا مـــن فـــوقها بـــنيانا
مـــا ســـمع كـــمن رأى عـــيانا
فـــي رأس كـــل واحـــد مـن العـمد
قـــد صـــورت ايـديهم رأس الاســد
وفـــوقها المـــاء النـــمير يـــجري
وســـط قـــناة حـفرت فـي الصـخر
يأتـــي اليـــها المـــاء مـــن بـــعيد
ثـــم يـــصب مـــن فـــم الاســـود
في مقطع الاحجار قـد ابـقوا حـجر
يـــظن عـــن امـــثاله عـــجز البشـــر
يـــبلغ مـــنه الطـول خـمسين قـدم
بـــحجر الحـــبلى لديـــهم اتســـم
مـــنقوشة احـــجارها الصـــلاب
وفـــي النـــقوش العـــجب العـجاب
فـــيها مـــراق وعـــليها يـــصعد
لمـــوضع دون مـــداه الفـــرقد
قـــد نـــحتت فـــي الصـخر كـالبنيان
مـــع ارضـــها والسـقف والحـيطان

وقـــطعة واحـــدة قـــد اصـــبحت
مـــن صـــخرة واحـدة قـد نـحتت
وكـــم بـــها مـــن صـــور الانســان
وغـــيره فـــي الســـقف والجـدران
وصـــــور الوحـــــوش والطـــيور
بـــــارزة فـــي الحـــجر المـــنقور
ومـــــن ســـنابل ومـــن اعـــناب
مـــا قـــد اتـــي بـالعجب العـجاب
لم يـــــبق مـــن اثـــارها العـــظام
عـــلى مـــرور الدهـــر والاعـــوام
الا قـــــــليل نـــــادر يســـــير
لكـــــنه فـــــي نـــــفسه كـــــثير
واصـــــلها مـــــن القـــديم مـــعبد
اوثـــــــــانه دون الاله تـــــعبد
ثـــــم غـــدت تـــعد فـــيالقـــلاع
بـــــما بـــــها احـــــدث للـــدفاع
وعـــــندما حـــط الصـــباح رحـــله
ســـــرنا حـــثيثا فـــاتينا (نـــحله)
وهـــــي كـــثيرة المـــياه والشـــجر
وليس مـــن يسـمع مـثل مـن نـظر
ولم نـــــزل فـــي الارض ســـائرينا
حـــــتى اتـــينا بـــعدها (يـــونينا)
بـــــها نـــــزلنا مـــــنزلا كـــريما
فـــــيه اصـــــبنا الخـــير والنـــعيما

بـــدار شـــهم بـــاسم عـــباس
ليس له مـــن مشـــبه فـــي النـــاس
فـــلم نـــجد دارا ولكـــن جـــنة
لجـــارها مـــن الصـــروف جـــنة
تـــضحك فـــي اكـــنافها الازهـــار
لطـــفا وتـــجري تـــحتها الانـــهار
وتـــرقص الاغـصان ان هب الصـبا
فـــيها وتشـــدو الورق فـــيها طـربا
تـــلا عـــلينا مـــن رقـــيق الشـــعر
والنـــــثر مـــا يـــزري بـــعقد الدر
فـــــيا لهـــــا مـــن بـــلدة تـــحار
فـــــي نـــعتها العـــقول والافكـــار
يـــومين فـــيها قـد بـقينا والضـحى
سرنا نـجوب صـحصحا فـصحصحا
حـتى اتـينا فـي المسـاء (الهـرملا)
فـــانجاب عـنا الهـم فـيها وانـجلى
غـــــزيرة المـــــياه والانـــــهار
كـــــثيرة الاشـــــجار والاثـــمار
عشـــــرة انـــــهار بـــها وواحـــد
وكـــــلها عـــــذب فـــرات بـــارد
بـــتنا بـــها مـــن اللـــيالي اربـــعة
فـــي خـــير اكـــرام ورحب وسـعة
وقـــــربها مـــــنبع نـــهر العـــاصي
نـــــهر عـــظيم واســـع الاقـــاصي

يشبه عين الديك في الصفاء
وماله من مشبه في الماء
ثم الى (الساقيات) جئنا
وليلة في ارضها قد بتنا
لكنها كانت بطول الدهر
فما رأيت مثلها في عمري
في موضع اعد للضيوف
اذهلني بشكله اللطيف
تهب فيه لفحة الهجير
كأنها من لهب السعير
لم يفترق شيئا عن القبور
الا بلون مثل لون القير
فيه الطويل يغبط القصيرا
وتطرد الظلمة فيه النورا
ما ثار من امامه الغبار
الا تساوى الليل والنهار
لما دخلنا ربعه المحلالا
قام البراغيث لنا اجلالا
وبعدما اهدوا لنا السلاما
تقدموا فقبلوا الاقداما
وانتشروا في كل انحاء البدن
زحفا وركضا مدة من الزمن
من مفرق الرأس الى بطن القدم
كالحرث لما نفشت فيه الغنم

فـــيا لهـــا مـــن غـــارة شـــعواء
قـــد ارخـــصت غـــوالي الدمـــاء
ثـــم اتـــينا قـــرية تســـمى
بـــالدلبوز اســـم عـــلى مســـمى
لكـــن بـــها جـــماعة اخـــيار
امـــــاجد اكـــارم ابـــرار
ثـــم اتـــينا بـــعدها للـــغور
فكـــان هـــذا آخـــر المســـير

رحلة شعرية الى العراق في أواخر

شهر رمضان سنة ١٣٠٨ هـ

احـــــمدك اللـــهم جـــاعل الورى
فـــي الحـــفظ مـــنه حـضرا وسـفرا
وجـــــاعل النـــجوم والكـــواكب
ادلة الحـــــائر فـــــي الســـباسب
مســـخر الفـــلك لنـــا فـــي البـــحر
مـــــواخـــرا انّـــى نشـــاء تـــجرى
والخـــــيل والبـــــغال والحـــميرا
والبـــزل قـــد ســـخرها تســـخيرا
نـــــحمده عـــــلى عـــظيم الصـــنع
ووافـــــر العـــــطا بـــــغير مـــنع
وان هـــــدانـــــا ســـبل الايـــمان
مـــــنيرة بـــــواضـــــح البـــرهان
وخـــــصنا بـــــاكـــــرم العـــباد
مـــــحمد الهـــــادي الى الرشـــاد
صـــلى عـــليه مـــا تـغنى الحـادي
وســـارت الركـــبان فـــي البـوادي

وآله وصـــــــحبه الامـــــجاد

خـــير الورى مـــن حـاضر وبـادي

وبـــــعده فـــلم تـــزل اشـــواقـــي

تـــــذكو فـــــتصبيني الى العـــراق

والدهـــر يـــرميني بكـــل صـــائب

يـــــصدني عـــنها مـــن النـــوائب

ولو يـــــريش مـــــرة جـــناحي

لكـــــنت طـــــائرا مـــع الريـــاح

ومـــا الى العـــراق بـــي مـــن شـــوق

ولا لمـــــغناها حـــــنين نـــــوقي

مـــــا شـــــاقني نـــوازل بـــالكرخ

تســـــتاف مـــن عـــراره والمـــرخ

ولا صـــــبا قـــــلبي الى غـــزلانه

ســـــانحة تـــــرتع فـــــي كـــثبانه

لولا الأُلى بـــــارضها قـــد سكـــنوا

مـــــن آل احـــمد وفـــيها دفـــنوا

فـــــهم بـــــلا شك نـــجوم الارض

تشـــرق نـــورا والسـبيل المـرضي

فـــــمنيتي ازديـــــارهم وبـــغيتي

جـــوارهـــم فـــي مـبدئي وعـودتي

والاجـــتنا مـــن ريـــاض الفـــضل

وكشـــف ظـــلمة العـــمى والجـــهل

حـــتى اذا ريب الزمـــان اغـــمضا
عـــــني طـــرفه وســـاعد القـــضا
خـــرجت تـــاركاً لاهـــلي والوطـــن
مـــيمما ليث الشـــرى ابـــا الحســـن
ارجـــو ثـــواب الله فـــي جـــواره
والاقـــــتباس مـــن ســـنا انـــواره
والورد مـــــن مـــــناهل العـــلوم
لارتـــــقىُ بـــــها ذرى النـــجوم
مـــــــفوضاً لله جـــــل وعـــــلا
امـــــري مـــــوجهاً اليـــه الأمـــلا
مـــــودعاً للاهـــــل والاصـــحاب
مـــــقدماً الى الســـــرى ركـــــابي
وفي الضحى خـرجت مـن (شـقراء)
فـــــلم نـــــزل نســـير للـــمساء
(بـــــدير قـــــانون) التـــي للـــنهر
تـــــضاف بـــتنا وطـــلوع الفـــجر
ســـرنا وفـــي (صـيدا) غـدا المـبيت
وبـــــعدها مـــــنزلنا (بـــــيروت)
ثـــم ركـــبنا البـــحر مـــن بـــيروتا
نـــــتخذ النـــــجم لنـــــا خـــريتا
فـــــي مـــوكب يـــدعى بـــقيصري
مـــــا كـــان لي بـــالمركب الهـــني

جـــادت لنـــا بـــنوئها الســماء
فـــي حـــيث مـــا عـــنه لنـا وقـاء
يـــومان فـــي كـــرب وفـــي عـناء
مـــــن هـــيجان المـــرة الصـــفراء
ثـــم خـرجـنا مـنه فـي المسـا الى
(اسكـــندرونا) وبـــها الغـم انـجلى
بـــــمائها المســـــلسل الرحـــيق
وروضـــــها ذي المـــنظر الانـــيق
فـــزال عـــنا مـــا لقـينا مـن نـصب
ومـــا عـــرانـــا مـن كـلال ووصب
مـــــــــقامنا يـــــوم وليـــــلتان
فـــيها عـــن رخـــص مـن الاثـمان
وهـــي قـــديماً مـن بـنا الاسكـندر
اليـــه تـــنمى فـــي صـــحيح الاثـر
ثـــم خـــرجـنا بـين وخـد وخـبب
عند الضحى نؤم بـالمسرى (حـلب)
فـــــي عـــجلات فـــوقها الظـــلال
تـــــجرها الخـــــيول والبـــــغال
فـــــاقتادنا الســـير الى (بـيلانا)
اذ اصـــــبحت ارجـــاؤها جـــنانا
فـــوق الجـــبال مشـــرف بـــنيانها
ومـــن خـــلاله جـــرت غـــدرانـها

ثـــم الى خـــان بـــه بـــتنا عـــلى
مســـاء بأعـــلى قـــيمة مـــن الغـــلا
ثـــم الى خـــان (العـــفرين) انـــتهى
مـــن البـــراغـــيث بـــه غـــيث هـــمى
اصـــــابنا بـــــالليل فـــيه المـــطر
ثـــــم خـــرجـــنا غـــدوة نـــبتدر
حـــتى دخـــلنا فـــي المســـاء (حـــلبا)
وقـــــد لقـــــينا تـــــعبا ونـــصبا
مـــــــــدينة كـــــبيرة جـــــميلة
آثـــــــارها عـــــظيمة جـــــليلة
فـــيها البســـاتين العـــظام جـــلها
مـــن فســـتق لم يُـــرَ قَـــطُّ مـــثلها
يـــدعى (وقـــا) نـــهرها ويـــنقطع
عـــــن ســـقيها فـــهو له لا يـــتسع
قـــــلعتها مـــــبنية فـــــوق جـــبل
مـــن حـــوله خـــندقها بـــه اتـــصل
فـــى وســـطها بـــئر بـــعيدة المـــدى
اضـــحت لمـــن يـــقطن فـــيها مـــوردا
ومســـــجد القـــــلعة ذو مـــــناره
عـــــلوها تـــــعيى بـــــه العـــباره
ومســـــجد البـــلدة فـــيه العـــحب
مـــــــعظم لزكـــــريا يـــــنسب

ودخولنا قد كـان مـن بـاب الفـرج
لهـا وعـنا مـنه شـرها خـرج
(لخـان مـوسى) بـعد هـذا جـينا
تسـعة ايـام بـه بـقينا
وبـعدها الركب العـراقـي غـدا
مـن حـلب بـنايجوب الفـدفدا
سـاروا بـنا مـن حـلب الشـهباء
حـتى اتـوا (جـبريل) فـى المسـاء
رئـيسها المـطاع شـيخ اعـور
لا يـحضر الشـيطان حـين يـحضر
فـليت عـيني رأسـه سـواء
وذا هـجاء فـيه او ثـناء
قـد بـاعنا البـيض بأغـلى ثـمن
وذاك بـعض فـعله المسـتحسن
وعـندها قـبر ولي ذكـروا
له كـرامـات وفـيها عـبر
وانـه اشـتفى بـه مـن العـمى
شـخص فـعاد مـبصرا قـد سـلما
وقـال شـخص انـا ذا مـن اشـتفى
مـن العـمى بـه فـاحرز الشـفا
وإنّ خـاله العـظيم الشـان
البـاز عـبد القـادر الجـيلاني

دحـــا له الانـــاء مـــن بـــغداد
فـــــجاءه مـــمتلئاً بـــالزاد
جـــاء مـــن الزور الى ارض حـلب
وفـــيه حـــر النـــار بـاق مـا ذهب
وقـــبل ان تشـــيب طـــرة الدجىٰ
بـــالصبح ســار الركب عـنها مـدلجا
حـــتى وردنـــا بـــعد عـون القـادر
لبـــــلدة تـــدعى (بـــدير حـــافر)
نـــلنا بـــها لحـــماً عـــلا ومـا غـلا
ثـــم ركـــبنا اللـــيل مـــنها جـــملا
ومـــــذعلا النـــهار والظـــهر دنـــا
حـــطوا رحـــالهم بـقرب (مسكـنى)
وقـــــبلها لاح لنـــــا الفـــــرات
فـــــنغصت مـــــني بـــه اللـــذات
واســـتبشر القـــوم بـــه لمـــا بـــدا
الا انـــــا امـــــتلأت مـــنه كـــمدا
ذكـــرت اهـــلي الأُلى قـــد نـــزلوا
فـــــي كـــــربلا حـــــتى قـــتلوا
قـــضوا عـــطاشى والفـــرات يـلمع
لهـــم وهـــم عـــن ورده قـد مـنعوا
وبـــــعدها لمـــنزل يـــدعى (أبـــا
هـــــريرة) بـــمن بـــه قـــد لقـــبا

حـــيث غـــدا بـــجنبه مـــدفونا
وهكـــــذا ابـــــنتاه يـــــزعمونا
وعـــــنده قـــد نـــزل الاعـــراب
واعـــــليت لهـــــم بـــــه قـــباب
وقـــــد أُتـــــينا بـــلحوم الضـــان
مـــنهم عـلى رخـص مـن الاثـمان
ثـــم الى (الحـــمام) ثـــم (الرقـــة)
وفـــــيهما بـــــتنا عـــــلى مشـــقه
وفـــي الاخـــير فـرقة مـن العـرب
اطـــنابه البـخل لديـهم قـد ضـرب
جـــئنا لنســـتسقي المـخيض فـابى
جـــمعهم مـــن مـــذقة ان نشـــربا
الا بأغـــــلى ثـــــمن لو يشـــترى
بـــــمثله شـــــهد لكـــــان اكـــثرا
جاءوا وما جن الدجـى ولا اخـتلط.
لنـــا بـــمذق هـل رأيت المـاء قـط
(والصـــبخة) اجـــتزنا بـها صـباحا
عـــــلى بـــــغال تســـبق الريـــاحا
حـــــتى اتـــينا ارض (زور) شـــمر
ثـــــم نـــزلنا فـــى ثـــراه المـــقفر
وعـــــنه ليـــلاً قـــد ســـرينا نـــقطع
فـــــدافـــــدا فـــــضاؤها مـــتسع

نـــؤم مـــنزلاً يســـمى (التـــبنه)
لا يـــــرتضيه وطـــناً ذو الفـــطنة
فـــــضربت فـــى ربـــعه القـــباب
وشـــــدت الحـــبال والاطـــناب
والارض تـــغلي بـــلظى الهـــجير
كأنـــــما الفـــــلاة فـــــي تـــنور
وأقـــبل العـــرب الى بـــيع اللـــبن
والســـمن والجـــبن بـــابخس الثـــمن
واقـــــبلت مـــــنهم فـــتاة تـــرفل
بـــثوبها والزبـــد نـــحوي تـــحمل
تـــــقول هـــــذا نـــــافع للـــــباه
بـــــعظم نـــــفعه بـــــلا اشـــتباه
فـــقال بـــعض القـــوم عـــن تـــجاهل
مـــــاذا الذي تـــعنين اوضـــحيه لي
فـــــصرحت بأبـــــلغ التـــصريح
مـــا خـــجلت مـــن لفـــظها القـــبيح
فـــــقال هـــذا صـــح بـــالتجارب
أم انـــــه مـــقال شـــخص كـــاذب
فامتلأتْ ضـحكاً وصـارت تـعجب
قـــــائلة بـــــل انـــــه مـــــجرب
فـــــقال انـــــي اشـــتكي العـــزوبه
وليس فـــــي قـــولي هـــذا ريـــبه

فـــانصرفت بـــالزبد مـن غـير شـرا
والله يـــعفو عـن جـميع مـا جـرى
وطـــــارت الريـــــاح بـــالخيام
واكـــــتست الســـــماء بـــالقتام
فـــلا يـــرى الانســـان مـــا امـامه
كأنـــــنا فـــــي ظـــلمة القـــيامة
ثـــم تـــرحـــلوا وحـــثوا الســـيرا
قـــبل الصـــباح يـــطلبون (الديـرا)
وفـــي الطـريق قـابلوا ركب العـجم
كأنـــهم رجـــل الجـــراد قـد هـجم
يـــــنحون نـــــحو البـــلد الحـــرام
مـــــن شـــيخة أو شـــيخ أو غـــلام
ولم نـــــزل نســـــير فـــي القـــفار
حـــتى دخـــلناها بـــعون البـــاري
فـــــيالها مـــــن بـــــلدة لطـــيفة
رخـــــــــيصة انـــــيقة ظـــــريفة
وبـــعد يـــومين خـــرجـــنا نـــقطع
مـــــهامهاً بـــــها الســـباع تـــفزع
(وللـــميادين) بـــنا الركب انـــتحى
مـــن اول اللـــيل الى وقت الضـحى
فـــــــخيموا بـــــقربها والحـــــر
نـــال القـــلوب مـــن لظـــاه الضـر

ومـــذ تـوارت بـالحجاب الشـمس
خـــف بـــنا الى المســير الانس
نـــطوي حـزون الارض والسـهولا
وبـــــالوخيد نـــصل الذمـــيلا
والركب قـد مـالوا مـن النـعاس
على المطي ميل النـزيف الحـاسي
حـــتى اتـــوا (للـصالحية) الضـحى
والقلب من سكـر الهـموم مـا صـحا
وريـــــثما بـــه نـــزلنا جـــازا
ركب العـــــراق يـطلب الحـــجازا
يـــــصحبهم صـــــديقنا مـــحمد
الفـــاضل البـــر التـــقي الاوحـــد
قـــــد ابـــــعدته نـــوب الايـــام
كـــــرهاً عـــــن العـــراق للشـــام
فـــزال مـــن لقـــياه بـــعض الوجـد
لكـــــــنه زاد بـــــذكر البـــــعد
ثـــم خـــرجـنا فـى دجـى الليـالي
نـــــؤم بـــــالسير (ابـــا كـــمال)
ومـــــا بـــه غـــير كـــمال النـــقص
وانـــــه عـــــن الكـــمال مـــقصي
وعـــنه قـــوضنا الى (القـــائم) فـــي
جـــنح الدجـى نسير فـى التـنائف

وهـــو لعـمر اللـه جـند نـائم
اخـــطأ مـــن لقـــبه بـالقائم
فـــيه اتـــانا خـبر الاعـراب
وانـــهم كـــالرمل والتـــراب
وفـــي غـــد طـريقنا يكـون
عـــليهمُ وشـــرّهمْ مـــظنون
جـــئنا الى مـــديره لنـــطلبا
جـــنداً مـــخافة العـدو فـابى
واللـه اغـنى عـنه وهـو المغني
فـــحاطنا مـــنه بـثوب الامـن
والعـــرب فـى طـريقنا تسـير
راحـــــلةً وجـــمعها كـــثير
فـــوق مـــتون الضُّـمَّرِ الجـياد
كـــل طـــويل البـاع والنـجاد
مشـــرعةً عـــوامـــلَ المـران
كأنـــها كـــواســـر العـــقبان
وفـــي مـــتون البـزل العـراب
كأنـــــهن قـــطع الســـحاب
تـحمل فـوق الضُّـمَّرِ الهـوادجـا
من أحمر الصوف اكتسبت نسـائجا
كأنـــما الاظـــعان والحـدوج
كـــــواكب تـــضمها بـــروج

ومـــا بـــرحـــنا نـــقطع البـــريه
حـــتى نـــزلنا مـــنزل (النـــهيه)
واقـــبل اللـــيل فســـرنا بـــالمطى
ضـوامـرا تسـرع فـى نـقل الخـطى
واللـــه ربـــي مَـــنَّ بـــالإعانه
بـــفضله حـــتى دخـــلنا (عـــانه)
وهـــي لعـــمري عـــانة البـــلدان
قـــد نـــبتت فـــى ذلك المكـــان
لا عـــانة الظـــباء والغـــزلان
هـــام بـــها قـــلب المـحب العـاني
ثـــلاث ســـاعات عـــلى الفـــرات
تســـير فـــيها عـــادم اللـــذات
ثـــم اتـــينا بـــعدها (الفـــحيمه)
نـــصلى مـــن الحـــر بـــها ســـومه
وبـــعدها ســـاروا الى (الحـــديثة)
فـــخيموا بســـوحها الخـــبيثه
اســـم عـــلى غـــير مسـمى يـعرف
مـــن قـــرية اقـــذارهـــا لا تـوصف
ثـــم ســـروا فـــى واضـح الانـجاد
لمـــنزل يـــعرف (بـــالبغدادي)
ومـــنه ســـاقتنا النـــوى (لهـــيت)
لمـــعدن الزفت مـــع الكـــبريت

عـــين بـــها المـــاء الزلال الصـافي
وخـــــالص القـــير عـــليه طـــافي
قـــــد طـــلوا الحـــباب والجـــرارا
بـــــذاك والبـــــيوت والديـــــارا
واول اللـــــيل زجـــــجنا العـــيسا
بـــــوازلا لا تـــــعرف التـــعريسا
تســـري بـــنا فـى واضـح الانـجاد
حـــــتى اتـــينا قـــرية (الرمـــادي)
وللـــــرماد نســـــبة فـــيها تـــرى
واضـــــحة لمـــــن درى وابـــصرا
عـــــــامرة لكـــــنها خـــــراب
وان عـــــلت بأرضـــــها القـــباب
عـــند الضـــحى بأرضـها قـد نـزلوا
وفـــى المســاء عـن فـناها رحـلوا
يـــنحون فـي مسـراهـمُ (الفـلوجه)
حـــــتى أتـــوا ربـــوعها البـــهيجه
عـند الضـحى فـخيموا فـي أرضـها
والعـــين فـيها شـبعت مـن غـمضها
وعـــــندها جســـر عـــلى الفـــرات
يـــــعبر عـــــنه كـــل ركب آتـــي
مـــن ســـفن مـــنصوبة قـد ربـطت
مـن جـانبي نـهر الفـرات فأسـتوت

ثـــم ســـروا عـــنها عشـــية الى
ان هـــزم اللـــيل النـــهار وعـــلا
فـــصادفوا ســـد الفـــرات انكســـرا
والمـــاء للأرض الفـــضا قـــد غـــمرا
فـــما تـــخلصنا مـــن العـــبور
الا بـــــجهد واذى كـــــثير
وقـــاربوا بـــغداد عـــند العـــصر
فـــخيموا عـــلى شـــفير نـــهر
فـــي مـــنزل للـــبق فـــى اكـــنافه
صـــدح وفـــقد الا مـــن اوصـــافه
بـــتنا بـــه عـــلى اضـــطراب ووجـــل
فـــحاطنا بـــحفظه عـــز وجـــل
وفـــي الصـــباح يـــمموا بـــغدادا
واســـتقبلوا الكـــاظم والجـــوادا
ومـــن بـــعيد لاحت القـــباب
يـــلمع فـــيها الذهب المـــذاب
فـــانشرحت لذلك الصـــدور
وفـــي الوجـــوه ظـــهر الســـرور
ثـــم وردنـــا الكـــاظيمة الضـــحى
والهـــم عـــنا قـــد نأى وانـــتزحا
وبـــعد ان زرنـــا الجـــواد المـــجتبى
مـــحمدا وجـــده المـــنتجبا

جـــئنا الى بـــغداد مـــا بـــغداد
اوصـــــافها ليس لهـــــا تـــعداد
مـــــــــدينة كـــــبيرة فـــــخيمه
واســــــعة جـــــليلة عـــــظيمه
دار الســــــــلام وكـــــذا الزوراء
بـــــغداد بـــــغذاذ لهـــــا اســـماء
والكـــرخ فـــيها وكـــذا الرصـــافه
وهـــــي قـــديماً مـــركز الخـــلافه
اول مـــــن احـــــدثها المـــنصور
والامـــر فـــى احـــداثـها مشـهور
وجـــــانباها الجـــــانب الشـــرقي
مـــــن دجـــلة والآخـــر الغـــربي
بـــــينهما جســــر وفـــيه الســـفن
مـــــنصوبة عـــــنها العـــبور هـــين
قـــــبر (الكـــليني) بـــها مشـــهور
مـــــن عـــــبر الجســـر له يـــزور
وقـــبر (عـــبد القـــادر الجـــيلاني)
بـــــها مشـــــيد مـــحكم البـــنيان
وهكـــــذا قـــــبر ابـــــي حـــنيفه
مـــــع قـــــبور أُخـــــر مـــعروفه
ثـــــم قـــــصدنا ارض ســـامراء
حـــــتى وردنـــــاها مـــع العـــناء

وفـــي طـــريقنا الدجـــيل وبـــلد
فـــيا له مـــن ســـفر اوهـــى الجـــلد
وجســـر (حـــربي) قـــرب ســـامراء
وهـــو قـــديم مـــحكم البـــناء
انشأه بـــعض بـــني العـــباس
فـــهو وثـــيق مـــحكم الاســـاس
قـــد كـــتبوا عـــليه بـــالاجر
كـــتابة فـــاصبحت كـــالحفر
شـــرقي دجـــلة غـــدت (ســـامرا)
ومـــن لهـــا يـــعبر يـــلقى الضـــرا
فـــى قـــفة يـــعبر مـــن لهـــا عـــبر
ليس بـــها جسـر يـــقي مـــن الخـــطر
تـــدعى بســـامراء، ســـرا مـــن را
وســـر مـــن رأى كـــذا ســـامرا
والمـــــتوكل الذي بـــــناها
فـــاصبحت فـــى الحســـن لا تـــضاهى
لكـــنها اليـــوم كأمـــثال القـــرى
امســـى خـــرابـــا مـــا بـــها قـــد عـــمرا
فـــيها بـــناء مـــحكم قـــديم
ســـامي الذرى مـــرتفع عـــظيم
كأنـــــه مـــــنارة مـــــبينه
مـــا بـــينهم يـــعرف بـــالملويه

له طـــريق مـــن قـــفاه ذاهب
مـــتسع يـــمشى عـــليه الراكب
بـــالقرب مـــنه مســجد عـــظيم
بـــاقي الجـــدار ســـقفه مـــهدوم
والظـــن فـــيه انـــه مـــنار
بـــه ســـريعاً تـــرسل الاخـــبار
تـــعرف فـــى النـــهار بـــالدخان
وان دجـــا اللـــيل فـــبالنيران
وبـــعده عـــلى جـــناح الطـــائر
قـــد كـــتبوا مـــن ظـــاعن لحـــاضر
وبـــعده اســـتعمل ســـلك البـــرق
كـــم بـــينه وبـــين ذا مـــن فـــرق
زرنـــا بـــها قـــبري امـــامي الهـــدى
مـــن عـــترة الهـــادي النـــبي احـــمدا
عـــلي الهـــادي الامـــام المـــؤتمن
نـــجل الجـــواد كـــذا ابـــنه الحســـن
دارهـــما التـــي بـــها قـــد سكـــنا
بأرض ســـامراء فـــيها دفـــنا
ســـردابـــها يـــدعى مـــحل الغـــيبه
له وقـــــار وعـــليه هـــيبه
قـــد كـــتبت فـــيه بـــحفر الخشب
كـــتابة مـــا مـــثلها شـــخص كـــتب

بأمـــــر يأتـــيه الامـــام النـــاصر
خـــير المـــلوك ذي الثـناء الفـاخر
وقـــــبر عـــــمة الامـــام المـــهدي
وامـــــه ذات التـــــقى والزهـــــد
وبـــــعدما فـــــارقت ســـــامراء
اتـــــــيت بـــــغداد فكـــــربلاء
ثـــم اتـــينا بـــعدها ارض النـــجف
ارض الكـــمال والمـعالي والشـرف
وعـــــندها انـــــتهى بـــنا المســـير
وتـــــم بـــــالنعمى لنـــا الســـرور
في ظل حامي الجـار مـولانا عـلي
افـضل خـــلق الله بـــعد المـــرسل
صـــلى عـــليهما الهـــي مـــا دجـا
ليـــــل ومـــــا ثـــــناهما تأرجـــا

على هامش الرحلات

مما يؤسف له ان مسودات (الرحلة العراقية الايرانية) وجدت مبعثرة بين أوراق صاحب الرحلة، مختلطة مع غيرها. وبعد محاولة جمعها وتنظيمها، كان بعضها مفقودا، مما قطع اتساق الكلام وتتابعه.

وحرصاً على نشر كل ما كتبه المؤلف من المواضيع فقد أثبت كما هو وإن جاء مبتسراً أما من أوله او آخره، لان ما بقي لا يخلو من فائدة من جهة، ولانه تسجيل لآراء صاحب الرحلة ووصف لمشاهداته.

من ذلك مثلاً ما جاء في حديثه عن الكاظمية وبغداد فانه ناقص من أوله

ومن آخره ولم يبق منه الا بعضه.

وكذلك في حديثه عن صفات الايرانيين الطيبة، وفي حديثه عن عودته من خراسان الى طهران، بغداد فدمشق.

- ١ -

في الكاظمية وبغداد

السيد حسن الصدر

... وزرنا العلامة المتتبع السيد حسن ابن السيد هادي الموسوي العاملي الكاظمي المشهور بالسيد حسن الصدر في منزله، وكان طريح الفراش لكبر سنه. وقد قضى عمره كله فى خدمة العلم والتأليف والتنقيب وطلبنا منه الدعاء لرجاء الاستجابة في داع مثله من الشيوخ المسنين في خدمة الدين...

آل الحيدري

... ودعانا في الكاظمية الى العشاء في الحسينية المنسوبة اليهم السادات الفضلاء الكرام النجباء آل السيد حيدر.

وهم طائفة كثيرة العدد طيبة الاخلاق، أهل علم وفضل وتقوى وصلاح كثرهم الله وينطبق عليهم قول القائل:

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم

مثل النجوم التي يهدى بها الساري

السيد محمد مهدي الصدر

... وزارنا في الكاظمية علماؤها الكرام السيد محمد مهدي نجل المرحوم السيد اسماعيل الصدر العاملي الاصل وهو رجل العلم والفضل والسيادة والنبل

والتقوى وحسن الاخلاق وكان لا يخلو منه مجلسنا في غالب الايام، وهو يؤم الجماعة في الصحن الشريف واخواه السيد علي والسيد جواد السيد...

جعفر أبو التمن

... ودعانا الى منزله الزعيم الشهير الحاج جعفر ابو التمن. (والتمن): بالمثناة الفوقية المكسورة والميم المشددة المفتوحة هو الأرز باصطلاح أهل العراق، لست اعلم أهي عربية أم لا، لأن جدّه الحاج سلمان كان من كبار تجار بغداد، ويشتغل بتجارة التمن (الارز) فنسب اليه.

وهو رجل قد ملئ اخلاصاً لوطنه ولبني قومه وغيرة على مصلحتهم.

وكانت له اليد الطولى في تأسيس مكتب الترقي الجعفري في بغداد بعد الدستور العثماني.

ولما أعطى مشروع شركة اصفر في أخصب أرض العراق لشركة انكليزية كان من اشد المعارضين حتى انه بكى في مجلس النواب.

وكان من اشد المعارضين للاحتلال الانكليزي وتولى إحدى الوزارات بعد الاحتلال.

ونفي مع من نفي الى جزيرة سيلان في الهند وكان معه في المنفى رجل من أهل الموصل، فلما اراد الانكليز الافراج عنهما طلبوا اليهما ان يوقعا ورقة بعدم تدخلها في السياسة بعد ذلك، فوقعها الموصلي وأبى هو أن يوقعها.

وتولى الوزارة بعد ذلك عدة مرات، وله عند أهل بغداد مكانة عظيمة.

وبتنا في داره العامرة ببغداد، وكان الفصل شتاء فاشعلوا النار في مكان عمل في الحائط لهذه الغاية شبيه الداخون الذي يصنع في جبل عامل.

ولما انتهينا صباحاً أول طلوع الفجر وجدناه أمامنا ورأيناه قد قاطع شركة الكهرباء واشعل مصابيح النفط، لان الأهلين يومئذ كانوا مختلفين مع شركة

الكهرباء على القيمة، والحكومة بامر الانكليز كانت تجبر الاهلين على استعمال الكهرباء فكان المقاطعون قليلين...

- ٢ -

الفوضى في صلاة الجماعة

يبدو أنه كان يتحدث عن فوضى صلاة الجماعة التي ربما حدثت سواء في مساجد ايران او في العراق، وانه طلب الى احد الخطباء ان ينبه الى ذلك، وان الخطيب تكلم بهذا.

ومن المؤسف ان الأوراق التي قبلها والتي بعدها مفقودة، فلم يُعرف اذا كان جرى هذا في العراق ام ايران.

قال:

... اذان الصلاة كما يفعل في بعض مساجد ايران وفي العراق، فيؤذن للصلاة جماعة كثيرون بأصوات مختلفة ونغمات متعددة، واحد من هنا وواحد من هنا.

ويبتدئ واحد بالاذان، ويبتدئ آخر والأول في وسط أذانه أو في أوله أو آخره، فتختلط تلك الاصوات، ويذهب رونق الأذان ويذهب الخشوع والهيبة اللذان يحصلان من الاستماع الى الاذان والتأمل في فصوله.

ثانياً: ترك اللغط في المسجد، ورفع الاصوات فان ذلك يذهب رونق الجماعة، ويبطل ما فيها من الهيبة والخشوع.

وقد رأينا الجماعة في المسجد الحرام يجتمع فيها عشرات الألوف ولا تسمع لهم ضجة ولا لغطاً.

وهنا تبقى الضجة مستمرة بالكلام خارج الصلاة وبرفع الأصوات بتكبيرة الاحرام الى وسط القراءة فتهدأ الأصوات في الجملة الى أن يجيء وقت القنوت، فتعود الضجة بالجهر بالقنوت ثم تهدأ في الجملة، حتى تتم الصلاة فتعود الضجة

الى اشدها.

فخطب المذكور بهذه الأمور ونحوها ليلة او ليلتين ثم ترك وما تفيد خطبته ليلة او ليلتين في ترك أمور اعتادها الناس عشرات السنين.

- ٣ -

في طريق العودة

بعدما أقمنا في المشهد المقدس شهراً كاملاً وستة أيام عزمنا على العودة الى الوطن فخرجنا من المشهد المقدس ومررنا بالبلاد التي كنا مررنا بها في الذهاب من بلاد ايران.

وكان قد دعانا شخص من تجار المشهد الى قرية له ذات اشجار وأنهار وحدائق لنقضي فيها أياماً ونستريح من تعب الاشغال.

فأجبناه الى ذلك فقال: غدا أرسل اخي فتركبون معه في العربة، وتحضرون الى هنا، ولكن الذي كان في صحبتنا من جبل عامل ساءت أخلاقه فعدلنا عن الذهاب الى القرية، وعزمنا على القفول، وتذكرنا ما ينقل عن أحد الملوك انه أوصى ولده فقال: اذا غزوت بأهل الشام فعجل رجوعهم فانهم إذا اخرجوا من بلادهم تخلقوا بغير اخلاقهم.

فلما جاء اخو الرجل اخبرناه بعدولنا عن الذهاب الى قريتهم، فتأسف لذلك وخرجنا من المشهد المقدس الرضوي في جمادى الثانية سنة ١٣٥٣، بعدما صلينا المغرب والعشاء وودعنا الحضرة الشريفة وسرنا حتى وصلنا (قدم گاه)، فبتنا بها وتابعنا السير الى الغروب، فصلينا المغرب والعشاء في البرية المقفرة القاحلة التي بين قدمگاه ودهن زيدر، التي كان الزوار لا يجتازونها الا بعسكر ومدافع، ووصلنا مقهى:

دهن زيدر:

بعد العشاء فبتنا هناك في بعض الحجر، وبعدما صلينا الفجر سرنا وتابعنا السير نهارنا وليلتنا حتى اصبحنا في:

شاهرود:

فصلينا الصبح قبل دخولها ثم تابعنا السير حتى وصلنا:

سبزوار:

ضحوة فوجدنا حفيد السبزواري صاحب المنظومة قد أرسل جماعة وقفوا لنا في الطريق، ودعونا الى منزله فحضرنا، ووجدنا عنده حاكم البلد وبعض أهل العلم.

وتغدينا عنده على مائدة أنيقة وأحضر لنا من البطيخ الطالبي المشهور في سبزوار، ومن سائر الفواكه وعند العصر تابعنا السير.

وكان النهار حارا والهواء كأنه النار وقريب مغيب الشمس مررنا بمكان اظن انه اسمه:

فيروز آباد:

وقد قيل لنا ان أهله لصوص، وهم يصنعون المسابح من حصى عندهم مخصوص ويبيعونها على الزوار، وكذلك يصنعون من الحجارة أنابيب للفائف التبغ ولم نشتر منها ووصلنا (جابان)

الى همذان فكرمانشاه:

... ثم عزمنا على التوجه الى همذان، وبعدما استأجرنا سيارة الى همذان، أخبرنا أنه اتى خبر هاتفي من أحد تجار سلطان آباد الملقب (بارسا) الى مصباح

ولد المتولى باشي في قم بان يركبنا مصباح في سيارته، وأن بارسا يدعونا الى النزول عنده في سلطانباد، فلم يخبرنا مصباح بذلك الا بعد أن استأجرنا، وقرب سفرنا.

وقبل ان نصل سلطاناباد وجدنا (بارسا) وجماعة في انتظارنا فأنزلنا في داره الواسعة الفسيحة، وتناولنا عنده طعام الغداء وأردنا متابعة السفر فأبقانا عنده تلك الليلة، وقال اني عند مروركم من هنا في الذهاب كنت في طهران لعمل عملية جراحية في المستشفى، فلما برئت وعدت الى سلطان آباد كتبت الى مصباح ابن المتولي باشي في قم، وهو صديقي أن يخبرني عن مجيئكم الى قم، وعن سفركم منها وان يركبكم في سيارته.

ثم سرنا في الصباح فمررنا بملاير ولم ننزل بها وتابعنا السير الى همذان فنزلنا في دار مضيفنا الاول الحاج محمد جعفر شمس، ثم سافرنا منها الى كرمانشاه فبقينا فيها أياماً في منزل الحاج عبدالحسين صاحب، ثم خرجنا منها قاصدين قصر شيرين ثم تابعنا السير واجتزنا بقصر شيرين ليلاً حتى وصلنا الى آخر حدود ايران.

الى العراق:

ثم سرنا حتى دخلنا المنذرية أول مخفر للعراق، وكان الحر لا تزال أواخره باقية، وكان الوقت أواخر ايلول فيما أظن، وشاب يحرك مروحة كبيرة معلقة في السقف لجلب الهواء.

وبعد رؤية الجوازات والتأشير عليها خرجنا الى خانقين والطريق بينها وبين المنذرية مزفت، ودخلنا الى الكمرك ثم انتقلنا من الكمرك الى محطة السكة الحديدية، وبقينا الى نحو الساعة الثالثة من الليل.

وركبنا القطار قاصدين بغداد وفي أثناء الطريق انقطعت القاطرة التي نحن فيها، واحتجنا الى الانتقال لغيرها، فحصل لنا بذلك مشقة، ولولا أن ذهبنا الى

المحطة ووبخنا أهلها حتى جاء أحدهم وأوسع لنا مكانه في القطار لبقينا هناك.

وبقينا في الطريق بقية تلك الليلة ويومها والليلة الثانية، وعند الصباح وصلنا بغداد وذهبنا في العربة الى الكاظمية.

وبعد أيام قليلة سافرنا الى كربلاء في السيارة فزرنا بها زيارة أول رجب المرجب ١٣٥٣ ورأينا هنا السيد أبا الحسن الاصفهاني فأول ما رآنا قال: نخاطبكم بالعربي أو بالفارسي. فقلنا: ما شئت. ثم قال لنا: ان اخباركم جميعها عندي تأتيني في كل يوم مفصلة من يوم دخولكم الى يوم خروجكم. ثم سافرنا الى النجف الاشرف، وجددنا العهد بزيارة مولانا امير المؤمنين (ع) ثم عدنا الى كربلاء ثم الى....

ـ ٤ ـ

من قصيدة

هذه ابيات من قصيدة طويلة لصاحب الرحلة في وصف الرحلة من بعضها وفقد أكثرها:

وخانقين تركنا خلفنا ونحت
وبنا الى قصر شيرين مطايانا
لا من جديل ولا من لاحق نتجت
ولا غذتها بنو الاعراب ألبانا
ولا غدا الشيح والقيصوم مقضمها
ولا رعت نفلاً يوما وحوذانا
بنت البخار ترد الريح قاصرة
عن شأوها وترد الطرف حيرانا
نطوي الفلاة بها طي السجل اذا
في جريها امعنت في السير إمعانا

وفي أول هذه القصيدة يقول:

حيا الحيا بمحاني الشام أوطانا
وجاد اربعها سحاً وتحنانا
مرابع كن للآرام مرتبعاً
وكان غصن الصبا فيهن ريانا
يا ساكني الهضب من اكناف «عاملة»
والنازلين على ارجاء لبنانا
حيث النسيم سرى غضا يموج به
قطر الندى ويهز الرند والبانا
لم تنظر العين مذ فارقت ارضكم
في طيبها كبلاد الشام اوطانا

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصحفة
كلمة المركز	٧
السيد محسن الأمين	٩
الرحلة الاولى الحجازية	١٣
بور سعيد	١٣
الخديوي	١٤
الاسماعيلية	١٤
المطبوعات أيام السلطان عبد الحميد	١٥
مصر القاهرة	١٦
الاهرام	١٧
أبو الهول	١٩
الكنيسة	١٩
حدائق الحيوانات	١٩
الاسد	١٩
الزرافة	٢٠
القنغر	٢٠
حمار الوحش	٢٠
والفيل	٢١
قلعة الجبل	٢١
الانتيكة خانه	٢٢
الخلفاء الفاطميون والجامع الازهر	٢٣

مشهد راس الحسين عليه السلام ٢٥
مشهد السيدة زينب ٢٥
مشهد السيدة نفيسة ومشهد الامام الشافعي وغيرهما ٢٦
القناطر الخيرية ٢٦
الكبري ٢٦
تمثال محمد علي باشا وابراهيم باشا ٢٦
الشيخ عبد المحسن الكاظمي ٢٧
مناظرة مع نقيب اشراف مصر ٢٧
السويس وبور توفيق ٢٩
نذر الاحرام قبل الميقات ٣١
المغاربة في حلقة الذكر ٣٢
الجزيرة في جدة ٣٣
الوصول الى جدة ٣٤
مدينة جدة ٣٥
الخروج من جدة ٣٥
بحرة ٣٦
اول الحرم ٣٧
مكة المكرمة ٣٧
منى وعرفات ٣٧
المزدلفة ٣٨
يوم عيد النحر ٣٨
الجمرات الثلاث ٣٩
بئر زمزم وقناة زبيدة ٤٠
العودة الى مكة ٤١
الزينة بمنى ٤٢
المزارات بمكة المكرمة ٤٢

أبو قبيس ٤٢
الدخول ليلا الى الكعبة المشرفة وصفتها ٤٢
الشريف عون والي مكة ٤٣
الخروج من مكة الى المدينة ٤٤
الشيخ محمود ٤٤
وادي فاطمة ٤٤
عسفان ٤٤
الخليص ٤٧
الكظيمة ٤٧
رابغ ٤٧
غدير خم ٤٨
بئر الشيخ ٤٩
بئر الدراويش ٤٩
المدينة المنورة ٤٩
الجرف ٥١
بئر جبر ٥١
اصطبل عنتر ٥١
هدية ٥٢
براقة ٥٢
قلعة الحديد ٥٢
قلعة الزمرد ٥٢
سهل مطران ٥٢
آبار الغنم ٥٢
مدائن صالح ٥٢
العلا ٥٣
ظهر الحمراء ٥٣

جبل ابو طاقة ٥٣
المعظم ٥٤
الأخضر ٥٤
ظهر المغر ٥٥
تبوك ٥٥
القاع ٥٥
ذات حج ٥٥
المدورة ٥٦
تحت العقبة ٥٦
فوق العقبة ٥٦
معان ٥٦
عنزة ٥٦
القطرانة ٥٧
الزرقاء ٥٧
الرحلة الحجازية الثانية ٥٩
القنطرة ٦٠
الجامع الازهر ٦٢
تكايا الايرانيين في مصر واقامة عزاء الحسين عليه السلام ٦٢
المدرسة الايرانية في مصر ٦٣
حديث مع شاب مصري ٦٤
ما جرى لنا في السويس ٦٦
نذر الاحرام قبل الميقات والاحرام من المحاذاة ٦٧
حرمة التظليل للرجل المحرم عند أئمة أهل البيت ٦٨
محجر الطور ٧٥
الرحلة العراقية الايرانية ٧٩
السبع بيار ٨١

الرطبة ٨١
الرمادي ٨٣
الفلوجة ٨٣
في بغداد ٨٣
في الكاظمية ٨٤
المسيب ٨٥
مشهد عون ٨٦
السدة ٨٦
في كربلاء ٨٨
خان الحماد ٨٩
النجف الاشرف ٩٠
السيد أبو الحسن الاصفهاني ٩١
الميرزا حسين النائيني ٩٢
مدينة النجف ٩٣
سور النجف ٩٣
محال النجف ٩٤
عدد سكان النجف ٩٤
الماء في النجف ٩٥
وصف اسحاق الموصلي النجف في شعره ٩٦
الغري أو الغريان ٩٧
سبب بناء الغريين ومن بناهما ٩٧
الحضرة الشريفة العلوية ١٠٢
النجف دار العلم ١٠٤
مدارس النجف ١٠٤
العلوم التي تعلم في مدارس النجف ١٠٤
عدد الطلاب في النجف ١٠٥

الماء في النجف ١٠٥
المكتبات في النجف ١٠٥
شغلنا في النجف ١٠٩
طريفة ١١٠
ياجوج وماجوج ١١٠
الطبول أمام الجنائز ١١٣
مسجد الكوفة والسهلة ١١٤
الكوفة ١١٦
مسجد ملا ظفيرة ١١٧
نهر سعد ١١٨
التاجية ١١٨
الحيرة ١١٨
العودة الى النجف ١١٩
العودة الى كربلا ١١٩
في بغداد والكاظمية ١١٩
في الكرادة ١٢٠
مكتبة السيد هبة الدين ١٢١
قبور العظماء ببغداد ١٢١
سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان ١٢١
أيوان كسرى ١٢٢
في سامراء ١٢٣
سامراء ١٢٣
الملوية ١٢٦
العودة الى الكاظمية فكربلاء فالنجف ١٢٧
الى خانقين ١٢٩
أهل العراق ١٢٩

بعض ما يجب اصلاحه في المشاهد المشرفة ١٢٩
الى بلاد ايران ١٣٥
قصر شيرين ١٣٥
النفط في قصر شيرين ١٣٨
اكرنت ١٣٨
هارون آباد ١٣٩
ماهي دشت ١٣٩
كرمانشاه ١٣٩
احتراق مكتبة ١٤٠
الشيخ بهلول ١٤١
وصف بلدة كرمانشاه ١٤٢
حكاية ١٤٤
طاق بوستان ١٤٥
بيستون ١٤٨
الى همدان ١٤٩
همذان ١٥٠
جريدة كمالي ١٥٦
ابن سينا ١٥٧
مكتبات همذان ١٥٧
مساجد همذان ١٥٧
حسينيات همذان ١٥٧
أواني الفخار في همذان ١٥٧
مرور ابي تمام بهمذان ١٥٧
طلسم همذان ١٥٨
الواعظ شمس ١٥٨
وصف همذان على العموم ١٥٩

بهار ١٥٩
الى ملاير ١٦٠
سلطان آباد ١٦١
قم ١٦١
بلدة قم ١٦٢
الشيخ عبد الكريم اليزدي ١٦٢
المتولي باشي ١٦٣
مدرسة قم ١٦٣
الميرزا عبد الله الطهراني ١٦٤
السيل في قم ١٦٤
معصومة قم ١٦٥
قبور العلماء والرواة في قم ١٦٥
أرحامنا في قم ١٦٦
أعمالنا في قم ١٦٦
البحيرة المالحة ١٦٧
بلد الشاه عبد العظيم ١٦٨
مدينة طهران ١٧٠
مكتبات طهران ١٧٠
١ ـ مكتبة مدرسة سبهسالار ١٧١
افجة ١٧٢
ناران ١٧٣
ما نسخناه في طهران من الكتب ١٧٤
خطباء طهران ١٧٤
ميرزا عبد الله الطهراني ١٧٤
ميرزا يحيى ١٧٤
الشيخ محمد ١٧٤

الشيخ محمد المستعرب ١٧٥
عملنا في طهران ١٧٦
صلاة الجماعة ١٧٦
موسى جار الله التركستاني ١٧٧
الماء في طهران ١٨١
الكهرباء في طهران ١٨١
البقر ١٨١
شوارع طهران ١٨٢
السائح الهندي ١٨٢
شمرانات ١٨٢
تجريش ١٨٢
الى خراسان ١٨٣
جابان ١٨٣
شاهرود ١٨٤
قدم گاه ١٨٥
المشهد المقدس الرضوي ١٨٥
وصف مدينة المشهد ومبدأ عمارتها ١٨٧
أحياء المدينة وحماماتها وفنادقها ١٨٨
مدارسها ١٨٨
مدينة طوس ١٨٨
سنا آباد ١٨٨
نوقان ١٨٩
طابران ١٨٩
مدينة طوس أو المشهد كما هي اليوم ١٩٠
مبدأ عمارة المشهد ١٩١
وصف المشهد ١٩١

الروضة كما هي اليوم ١٩٢
مسجد العجوز ١٩٢
مسجد گوهرشاد ١٩٢
الصحن العتيق ١٩٣
الصحن الجديد ١٩٤
الكتابات في المشهد ١٩٤
دار الحفاظ ١٩٥
دار السيادة ١٩٥
الأبواب والأبنية كثيرة ١٩٦
مقبرة الشيخ البهائي ١٩٧
مقبرة الحر العاملي ١٩٧
مقبرة طهماسب وعباس ميرزا ١٩٨
الفيروزج ١٩٨
جبل سنا آباد ١٩٨
المكتبة المباركة الرضوية ١٩٨
المصاحف الشريفة المنسوبة الى خطوط الائمة ١٩٩
بعض المخطوطات النادرة الموجودة في المكتبة الرضوية ٢٠٥
كتاب خواص الأشجار ٢٠٦
مجموعة الامثال ٢٠٧
أوقاف المشهد المقدس ٢١٢
المطبخ ٢١٢
البست ٢١٢
النقارة خانة ٢١٣
خدام الحضرة الشريفة ٢١٣
الخاجة ربيع ٢١٤
بعض عادات الايرانيين ٢١٤

ما يعاب على الايرانيين ٢١٦
صناعات ايران ٢١٧
الشاي عند الايرانيين ٢١٨
أصحاب المحضر ٢١٩
التسول ٢٢٠
مياه الشرب فى ايران ٢٢٠
كرم الايرانيين ٢٢١
أبينة ايران ٢٢١
عادة الايرانيين في الدعوة الى العشاء ٢٢٢
شعوب الايرانيين ٢٢٢
الصوفية ٢٢٣
شمس العرفاء ٢٢٣
الدراويش ٢٢٤
ايران على العموم ٢٢٤
الضياء في ايران ٢٢٧
رحلة العراق شعراً ٢٢٩
قصيدة تصف ـ فيما تصف ـ الرحلة العراقية الايرانية ٢٣١
رحلة شعرية ٢٣٥
رحلة شعرية الى العراق في أواخر شهر رمضان سنة ١٣٠٨ هـ ٢٤٧
على هامش الرحلات ٢٦٥
في الكاظمية وبغداد ٢٦٦
آل الحيدري ٢٦٦
السيد محمد مهدي الصدر ٢٦٦
جعفر أبو التمن ٢٦٧
الفوضى في صلاة الجماعة ٢٦٨
في طريق العودة ٢٦٩

دهن زيدر ٢٧٠
شاهرود ٢٧٠
سبزوار ٢٧٠
فيروز آباد ٢٧٠
الى همذان فكرمانشاه ٢٧٠
الى العراق ٢٧١
من قصيدة ٢٧٢

* * *